

قطف الأزهار من كتابات
العالمة المنار

كتابات متفرقة
للعالمة المنار



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَلِّغْ رِسَالَتَكَ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا أَهَلَّ حَلَاكَتَكَ،
وَحَرَّمَ حَرَامَكَ، وَعَلَّمَ كِتَابَكَ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا أَقَامَ الصَّلَاةَ، وَأَتَى الزَّكَاةَ، وَوَعَى عَلَى مِيزَانٍ،
وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا صَدَّقَ بُوغْدِيكَ، وَأَشْفَقَ مِنْ وَعِيدِكَ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا غَفَرْتَ بِهِ
الذُّنُوبَ، وَسَتَرْتَ بِهِ الْعُيُوبَ وَرَفَعْتَ بِهِ الْكُرُوبَ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا وَفَعْتَ بِهِ
الشَّقَاءَ، وَكَشَفْتَ بِهِ الْغَمَاءَ، وَأَجَبْتَ بِهِ الدُّعَاءَ، وَجَنَّبْتَ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
كَمَا رَحِمْتَ بِهِ الْعِبَادَ، وَأَجَبْتَ بِهِ الْبِلَاءَ، وَقَضَيْتَ بِهِ لِبَابِهَا، وَأَهْلَكْتَ بِهِ الْفِرَاعَةَ،
وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا أَرْخَفْتَ بِهِ الْأُمُومَ، وَأَخْرَجْتَ بِهِ مِنَ الْأَفْوَاجِ، وَأَسْرَرْتَ بِهِ
الْأَضْنَامَ، وَرَحِمْتَ بِهِ الْأَنَامَ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا بَعَثْتَهُ بِخَيْرِ الْأَوْيَانِ، وَأَخْرَجْتَ بِهِ
الْأَيْمَانَ، وَتَبَرَّزْتَ بِهِ الدُّوَانِ، وَعَظَّمْتَ بِهِ النِّبْتَ الْفَرَامَ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ
الظَّاهِرِينَ الْأَخْيَارِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا.

توطئة

إنّ من ممن الله تعالى على عباده أن لطف بهم وبعث لهم بالحجج، ثم جعل من بعد الحجج علماء، يحملون للناس مشاعل الهداية، ويخرجونهم من ضعف الشك إلى قوة اليقين، ومن تضعض الظن إلى ثبات الإطمئنان.

ولا شك لمن اطلع يوماً على نتائج العلامة المنار، وما خطته يده على صفحات شبكات الإنترنت سواءً في شبكة هجر أو غيرها من وسائل التواصل العامة والخاصة في العالم الافتراضي، أن وجد فيها ضالته ورأى على سطورها قوة الفكر وسلامة المنطق.

وعالمٌ بموسوعية العلامة المنار وغزارة قلمه مضافاً إلى إثارة بث العلم ونشره على ظهور اسمه وإعلان شخصه، وكما عن أمير المؤمنين عليه السلام: يستدل على العقل بحسن المقال. نتاجاته غنية وكافية ووافية لتنبينا بفضل العلم واستطاعته الفكرية ومكانته العالية، ومثله يستحق أن تحفظ أفاضاته لألا يطويها الانترنت في خزائنه المدفونة ويضيع بذلك على الراغبين بالاستفادة الفوزَ بعطائه.

ومن هنا، كان القرار بجمع مقالات وكتابات العلامة حفظه الله ومتعنا بطول بقائه ودوام عطائه في كتب إلكترونية خرج منها عناوين متعددة متاحة على شبكة الفكر للكتب الإلكترونية، بل ووجد بعضها طريقه للطباعة والنشر الورقي كذلك. وهذا الكتاب هو استكمال لسلسلة كتب العلامة السابقة، وفيه جمع لكتابات متفرقة ومقالات

ومداخلات متنوعة لم تجمع في كتاب سابق، كتبها العلامة المنار في شبكة هجر وفي الملتقى الحضاري، وأفاض ببعضها من خلال وسائل التواصل الخاصة، لعلنا بذلك نستطيع ردّ بعض الجميل إليه وبما قدمه من خلال ارشفة عطائه وجعله متاحًا لمن يريد الاستفادة حقًا.

ونسأل الله سبحانه أن يتقبل منّا هذا الجهد البسيط، وأن يتولانا مولانا الحجة عجل الله فرجه الشريف برعايته ويشملنا بعنايته، وألّا ينسانا القاريء الفاضل من دعائه بالتوفيق والتسديد، وللعلامة بالحفظ والصحة وطول العمر.

وصلّى الله على النبي الأكرم وآله الطاهرين

المُعَدّ

ليلة ولادة منقذ البشرية

الحجة المنتظر عجل الله فرجه

شعبان المعظم / ١٤٣٨ هـ

الفهرس

- ٩ من أسرار الاعتداء على الديانات
- ١٤ القنوات العربية الوثائقية وتلميع البوذية
- ١٩ تعميم الإرهاب البوذي
- ٢١ لماذا لا يحب الوهابية أمير المؤمنين
- ٢٩ علامة انهيار الثقافة العربية
- ٣١ الفرق بين معالجة الشيعة ومعالجة مخالفيهم لإرث البنات
- ٣٥ أزمة السؤال الفلينة!
- ٣٨ السر في سلوك الوهابية
- ٤٨ الفصل بين النظرية والتطبيق في الحكم عند الشيعة
- ٦٤ التحليل السياسي
- ٧٧ الجيوبولتيكا
- ٨٤ الإرهاب المتسنى
- ٨٧ خطر الحركات التكفيرية
- ٩٢ ظاهرة زيارة الأربعين
- ١٠٦ استقالة البابا: الحاجة للقراءة بعيون جديدة
- ١١٣ مفهوم الضرر والشعائر الحسينية
- ١١٩ من هو الطائفي في الحرب السورية؟
- ١٢٤ القراءة والقرآن
- ١٣١ الإخوان المسلمون والطائفية
- ١٤١ هل يوجد دليل على استثناء الإمام علي من سرية أسامة؟
- ١٤٣ قبر السيدة زينب عليها السلام
- ١٤٧ رأي السيد محسن الأمين في قبر السيدة زينب عليها السلام
- ١٥٠ تقييم الدكتور مصطفى جواد
- ١٥٣ تأملات في زيارة وارث
- ١٥٨ منهجية استدلال دجال البصرة على إمامته

- ١٦٢..... أساليب مكافحة التشيع
- ١٦٥..... الدين الجديد للأيزيدية
- ١٧٢..... الموسيقى والأعيب الدجالين
- ١٧٧..... السحر والموسيقى ودعاوى الدجالين الضالين
- ١٩٣..... دليل الرؤيا عند المدّعين
- ٢٠٢..... قتل المرتد
- ٢٠٤..... الرؤيا، واستدلال الدجال أحمد الحسن بها
- ٢١٣..... ملاحظة لاهوتية
- ٢١٤..... إيليا في الديانات السماوية
- ٢١٨..... الفارقليط
- ٢٢٠..... الجهاد والمرجعية
- ٢٢٥..... الرسم القرآني
- ٢٢٧..... دليل صرف أموال الخمس
- ٢٣٠..... قضية ذو القرنين
- ٢٣٥..... أصول الحوار العلمي
- ٢٥٠..... حوار في إثبات الحمورية!
- ٢٦٣..... مؤسسة الضمان الاجتماعي في الإسلام
- ٢٧٧..... الإسلام ودعاوى المتغربين
- ٢٨٠..... الفرق بين النصوصيين والعقائين
- ٣٠٤..... الهجوم على الأزهر داخليًا: التوقيت والأسباب
- ٣١٢..... الفرق بين السلفيين والإخوان والعلاقة مع إيران
- ٣١٩..... الانتخابات والمجتمعات العربية
- ٣٢٥..... نظرية الحكم عند الأعلام
- ٣٣١..... ولاية الفقيه المقيدة والمطلقة
- ٣٣٦..... علة عدم توفيق العامة للفطر والأضحى
- ٣٤٧..... خلل نظرية كانط الأخلاقية
- ٣٤٨..... ضرورة آدم في نظرية دارون

- لماذا خلقنا الله؟ ٣٥٢
- الولاية الخاصة والولاية العامة ٣٥٣
- الولاية عند السيد السيستاني والميرزا النائيني ٣٦٣
- الولاية عند السيد السيستاني ٣٧٣
- غالب الشايندر وأفكار حزب الدعوة ٣٧٥
- اعتقال علماء العراق ٣٨٢
- مقارنة بين كتابي الأمير لمكيافيلي والإمامة والسياسة لابن قتيبة ٣٨٥
- أهمية المنهجية في الحوار مع الملحدين ٤٠٦
- هل حُرّم الخمر تدريجياً؟ ٤٠٨

من أسرار الاعتداء على الديانات

هناك أسرار خفية لا نعرفها قطعاً لأننا لا نجالس المجرمين ولا نطلع على نواياهم ولكن الظواهر وربط الأحداث توجه التفسيرات باتجاهات إجبارية في بعض الأحيان.

ولعله في بعض الأحيان نجد الصدف تكشف المستور وتلعب دورها.

بالنسبة للاعتداء على شخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، قلت في وقتها بأن هذه فتنة يُراد جرّ المسلمين إليها لأهداف خبيثة، والأفضل التغافل عنها، ولكن كان التيار العام يريد تصديق الاعتداء والاستجابة لما خططوا له.

في كوبنهاغن، عاصمة الدنمارك، دعينا لمركز إسلامي وقد قيل لنا في الطريق بأن صاحب المركز هو الذي كشف قصة الصور المسيئة - وهو سوري حموي من الإخوان المسلمين الهاربين من سوريا ويدعي أنه عالم بالإسلام -، فثار عندي الفضول لأنني أريد أن أعرف لماذا نشرت صور من مجلة قروية ليس لها قيمة ولا قراء لتنتشر عالمياً وتحدث بلبلة ودمار للإقتصاد الدنماركي، وكان معنا رجل دسته الحكومة الدنماركية لمراقبتنا أمنياً - وهذا من حقها كما تفعل كل الدول - فعرفت أنه رجل أمن محترم عندهم، فقلت له:

لماذا يقوم هذا الرجل بنشر هذه الصور ويثير هذه البلبلة؟

فقال لي سأكشفه لك في مجلسه.

فدخلنا مؤسسته الكبيرة ووجدناها مليئة بالوهابية، والمؤسسة ذات تمويل عال، فباركت له المؤسسة وتمنيت أن أعرف كيفية قيام مثل هذه المؤسسة وتمويلها فآخذ أول الأمر يوحى بأن إيران هي الممولة، ثم شرح لنا هدايا الزعيم الليبي ومن ثم هدايا السعودية وقطر ومصر وما شابه ذلك، وهنا قال له مرافقنا بأن مثل هذه المؤسسة ينبغي أن تمول من دولة الدنمارك فلماذا لا تستفيدون من هذا التمويل؟

فهنا بدأ يشرح أن دولة الدنمارك لم تقصّر، ثم انتهى بعد لي للكلام إلى أن ٨٠ بالمائة من التمويل هو من دولة الدنمارك المباركة، قلت في نفسي هذا أول الغيث، ثم بعد قليل قال له أن فلاناً [تبيين فيما بعد أنه مدير مخابرات في الدنمارك] يذكرك بالخير كثيراً، فقال هذا حبيبي من أيام فلان، وبدأ يشرح مغامراته معه وصداقته العميقة مع الشلة، ثم تطرقاً لأمر معرفتهما بها وكأنهما شريكين في السلاح حتى وصلا إلى رئيس وزراء الدنمارك الذي أمر الصحفي بنشر الصور المسيئة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا بالشيخ صديقه وحبيبه وأنه قد تلقى منه هبات إنسانية لدعم الدعوة الإسلامية، فهنا تفجرت في ذهني التساؤلات عن هذه الحركة كلها، وتكشفت خيوط المؤامرات، فبقيت استهزئ من الموقف وطلبت من صاحبي وليس من الشيخ توضيحاً عجيباً يتعلق بالمقاطعة للمنتجات الدنماركية وهل أثرت على الدنمارك لنصرة الإسلام؟ فقال صاحبي أنها أثرت قليلاً وتم تعويضها، فقلت لعل هذا الكلام يفسر لنا شيئاً غريباً وهو أن أغلب معامل الألبان في البلاد العربية خصوصاً السعودية ومصر هي دنماركية ولم تتأثر مطلقاً بل كانت مستعدة قبل الحدث باظهار إسلامها وتدينها، ثم ضحكنا. فقد انكشف لي أخطر سر وهو أن المسلمين الذين هيجوا الدنيا كانوا من ضمن المنظومة التي افتعلت الحدث.

يتذكر الإخوة أيام حوارات البالتوك الساخنة كان يوجد شخص متحمس للتشيع مناصر للمؤمنين ببذاء شديدة ويعتدي على عرض الصحابة بما لا يقوله الشيعة، اسمه (عقروق)، وكان ولعه بعرض السيدة عائشة، فشكى الشباب إلى المراجع منه ووجهوا استفتاءات إلى جميع المراجع منهم السيد السيستاني والسيد الخامنئي حفظهما الله، فحرموا ذلك. فقيل له يا فلان إن العلماء أفتوا بحرمة هذا السب والتعرض للأعراض وأن المراجع الفلاني والفلتاني حرما ذلك، فأخذ ينال من أعراضهم وأنه سيفعل بأخواتهم وبناتهم وما شابه ذلك من كلام بذيء سمعته بأذني، فاستدعانا هذا أن نسأل عنه وعن طبيعته، فتبيّن لنا أنه شخص كويتي من البدون سلك في مسلك المخابرات كمخبر غير موظف، وقد طلب منه مسؤوله أن ينال من الصحابة والشيخين ونساء النبي بأقذع الألفاظ عسى أن ينال رحمة الكويت فيحصل على الجنسية بدل وضعه (البدون). ففهمنا حماس هذا المحتاج المسكين، ولماذا شتم أعراض المراجع الذين يفشلون مهمته بفتاواهم الباطلة، ألا يتقون الله ويسمحوا له بالثتم والبذاءة عسى أن ينال المقسوم؟

وهكذا يتبين أن الأمر بالثتم هو من يتظلم من الثتم كذباً وزوراً.

وأمثال هذه القصص كثيرة ومثيرة وبعضها سري قيد الكتمان، ولا يهمننا منها إلا تحليل ما يريده الدافعون بالحدث نحو الكره الطائفي.

الأسباب قد تكون مختلفة ولكن مصبها واحد هو مصالح الغرب. فإن نشر الكراهية وردود الأفعال العدوانية مع التهيج الشعبي غير الفعال، هو ما يراد من أجل اسقاط المجتمعات الإسلامية وإشعارها بالشلل والعبثية في التصرفات وعدم الوصول إلى نتيجة.

قد يقول قائل أن أول من فعل ذلك هو السيد الخميني قدس الله سره، فنقول أن السيد فعل ما فعل لمنع تحويل قصة كتبت ونشرت قبل ثمان سنوات من فتواه إلى فلم للإساءة للرسول، كعمل رادع، وقد وقع الردع، ولم يكن تصرفه هلامي لغير صالح المسلمين كقرار المقاطعة الذي قابله مقاطعة الجامعات الاوربية من قبول المسلمين إلا بحدود ضيقة جداً وتدهور العالم الاسلامي اقتصادياً وعسكرياً. فقد أمر السيد بمعاقبة المرتكب فقط. ولم تكن معاقبة فعلية وإنما هدر دمه، وهو خارج قبضة المسلمين. وللأمر حيثيات كثيرة، فهذا يختلف تماماً.

الآن [سبتمبر/٢٠١٢م] فيدورة جديدة لعلها خامس دورة من الاعتداء على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يظهر لنا فلم مسيء يصور الرسول بصورة غير واردة وليس عليها أي دليل. فهو مجرد اختلاق. ويثور المسلمون. فماذا سيحدث؟

لا شيء.

المهم إدامة الشحناء والضعينة من أجل تهديد أمن المجتمعات الإسلامية.

اخيراً ظهر علينا "أبو إسلام" يحرق الإنجيل ويهدد بالتبول عليه^(١).

طيب هل في الاسلام الاعتداء على الكتب السماوية، خصوصاً وأنّ أبو اسلام سلفي يتبع ابن تيمية الذي يرى أن هذا الانجيل هو الذي أنزله الله وانه الكتاب المقدس عنده كما عند النصارى، فهل يصح الاعتداء على الكتاب المقدس الذي تؤمن به (أو لا تؤمن) من أجل رفض فلم يكذب على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ أم أن وراء الأكمة ما ورائها؟

^(١) نُشر الخبر في سبتمبر ٢٠١٢م.

ثم من أين هذه الأخلاق الجميلة الذي تدعوه للتبول على الإنجيل؟

طيب أحرقت الإنجيل أمام الناس، فكيف يتبول على الإنجيل أمام الناس على تلفزيونه

المبارك؟ هل لبيان قياس مبوله الشريف؟

إذن نحن نواجه مشكلة اختراق الأعداء لتجعل مصيرنا بيد من لا نعرفهم ولا نعترف

بفعلهم ولا نرضيه.

وهذا هو المقصود، ولو فهم الشعب المسلم هذا لما سمح للقاعدة بالنمو، ولما سمح

بالجرائم في العراق وسوريا ولبنان واليمن وليبيا وتونس وباكستان وغيرها أن تنمو بهذا

الشكل المريع الذي تؤكد كل الأحداث أن وراءه القوة الغربية.

على كل أنقل اليكم خبر أبي إسلام الذي يملك قناة فضائية التي تكلف في السنة

بحدود ستة ملايين دولار وقد أتى بها من كتابة الرقية الشرعية للمؤمنات؛ والحمد لله

على الرزق الحلال الطيب!

القنوات العربية الوثائقية وتلميع البوذية

منذ أربعة سنوات تقريباً^(١)، والقنوات العربية أو المعربة مهتمة جداً بإظهار البوذية كممثل للعقل والروحانية وحب السلام - سلام الروح - والمصالحة مع العالم والاتحاد مع الكون بحب وسلام داخلي وهذه الرسالة في كل قناة تتكرر في الأسبوع مرتين أو ثلاثة تقريباً. فإذا كان التحقيق عن الشاي كان أغلب التحقيق عن البوذية وطقوس الشاي وإذا كان التحقيق عن الجاموس كان أغلب التحقيق عن سلام البوذية الداخلي وإذا كان التحقيق عن الملح كان أغلب التحقيق عن البوذية واعتناق الأوربيين لها بفرح وامتناء روحي، وإذا كان التحقيق عن الصين أو كوريا أو الهملايا أو التبت أو تاريخ الصين أو سريلانكا أو الفيتنام أو الخمير الحمر، أو التقدم العلمي في الشرق، فكل ذلك مناسبة لأن يكون نصف أو ربع الموضوع عن حسنات البوذية وعظمتها وسلامها الداخلي.

الحقيقة هي أن المسلمين لا يتماسون مع الرهبان البوذيين فلا يعرفون حقيقتهم، غير أنني قبل سنوات عديدة لفت نظري في إحدى سفراتي إلى الهند أن ما نراه في القنوات الوثائقية من ترحيب البوذيين ومسالمتهم بعكس الواقع الذي رأيته فقد رأيت مجموعة رهبان بوذيين تنتظر الطائرة معنا فحييتهم للمجاملة فعبسوا كعبوس الشيطان بما يشابه وجوه الوهابية العوران، مع أنني لم أسلم عليهم بل ابتسمت لهم وأشارت لهم بالترحيب،

(١) كتبت هذه المقالة في شهر أكتوبر / ٢٠١٢ م

فتبين لي أن كل ما يقال عنهم إنما هو تلميع متعمد لنشر الوثنية وحبها بين الشباب المسلم من مدخل العلوم والوثائق العلمية.

فعدم التماس مع البوذيين ورهبانهم لم يعطنا فكرة عن تعبئة هذه الطائفة ضد المسلمين إلى درجة نسيانهم ما يدعونه من مبادئ الحياة والأخلاق النبيلة والتصالح مع الكون، فإذا بهم لا يريدون الصلح مع المسلم في نفس الوقت الذي يتصالحون فيه مع كل الوحوش والحشرات الضارة القاتلة ويعلمون ذلك بالمصالحة الداخلية مع الكون والشعور بالحب لكل الوجود.

فهذا أمر غريب حقاً.

إلا أن ما يثير الحمية والغضب هو استمرار قنوات مثل الجزيرة الوثائقية والناشيونال جغرافيك أبو ظبي في عرض تلميع البوذية ورهبانهم بينما نرى بأمر اعيينا قتلهم للمسلمين بوحدانية لا يشبهها إلا قتل الوهابية للمسلمين سنة وشيعة وأباضية من الهند إلى المغرب.

ومن هنا يعرف لماذا نرى الوهابية حريصين على قتل السوريين السنة وتقطيعهم بحجة قتل العلويين والشيعة، بينما ٩٥ بالمائة من قتلاهم من أهل السنة الشوافع والأحناف وفي نفس الوقت لا يعملون أي شيء لنصرة المسلمين من أهل السنة في ميانمار الذين يذبحون بأيادي الرهبان البوذيين، بل نراهم يفعلون نفس الفعل، وأن القنوات الملمعة للبوذية والوهابية هي واحدة وهي نفسها التي تلمع الطرفين. فهل ذلك من محض الصدق؟

إنها حرب بالوكالة لقتل كل مسلم بتعليقات مختلفة فلماذا يقال أنه مسلم ويجب على البوذي قتله ولذا يقال أنه شيعي ويجب على الوهابي قتله بينما المقتول سني، ولغيره يقال بأن المقتول علوي أو بعثي يجب قتله وفي الجزائر يقال أنه ترس لدولة الكفار الحاكمة

في الجزائر وفي المغرب يقتل المسلم السني المالكي الصوفي بحجة أنه ساحر وفي تونس وليبيا يقتل بحجة أنه أباضي خارجي وفي أغلب الجميع لا يوجد صدق في ادعائهم والمقتول مسلم سني عادي مسكين.

الوهابية والبوذيون يشتركون بتنفيذ مؤامرة واحدة من مخطط واحد.

وحين يتظاهر رهبان البوذية ضد منظمة العمل الإسلامي الوهابية^(١) لا يتأثر الوهابيون، وكأن الأمر لا يعنينهم.

وحين يتظاهر رهبان البوذية لطرد المسلمين وقتلهم، وكأن القضية غير مهمة للتساؤل عن هذه الحكمة الروحانية والتصالح مع الكون واستشراق الروح الانسانية الهادئة داخل الكاهن البوذي خصوصاً بعد شرب الشاي بالحليب كما تخبرنا الوثائقيات! فأين هذه الروح من قتل المسلمين وطردهم لأن أحد المسلمين اعتدى على فتاة كما يدعون والدنيا كلها اعتداءات فما علاقتها بأديان أو مجموعات بشرية؟^(٢)

ولعل كفار الغرب يضحكون علينا حينما يقررون أن المجتمع الدولي بأكمله لا يبالي بالمسلمين في ميانمار^(٣) (وثلث دول هذا المجتمع دول تحمل صفة الإسلام) فلا يثار شيء بينما حينما يتفق الوهابية مع اليهود على فلم مسيء أحدهم ينتجه والأخ يُصَحَّب عليه، تُثار الدنيا، لأنَّ الهدف هو "أوباما" لأنه لا يقبل بضرب إيران وهو لا علاقة له بالموضوع

^(١) نشرت بعض الوكالات الاخبارية في أكتوبر ٢٠١٢م خبراً مفاده: رهبان بوذيون يتظاهرون ضد منظمة العمل الاسلامي بميانمار.

^(٢) في شهر يوليو ٢٠١٢م نشرت وكالات الاخبار خبراً مفاده: مظاهرة بوذية لطرد مسلمي ميانمار اتباعاً لرغبات الرئيس.

^(٣) نشرت الوكالات الاخبارية في أغسطس ٢٠١٢م خبراً مفاده: هيومن رايتس: المجتمع الدولي يتجاهل المجازر ضد مسلمي ميانمار

فلا هو المنتج ولا هو الصاحب والمفتعل ، ولا الفلم أساس مثل لهذه القضية إنما هو فلم ساقط لتمثيل الشهوات الغرائزية فدلج صوتياً فقط.

بينما زعيم مقرب من الوهابية يرى أن المجتمع الدولي لا يعنى بقضية مذابح ميانمار لأنهم مشغولون بقضايا أهم، ولعله يقصد وجوب القضاء على المسلمين في سوريا وليبيا وباكستان⁽⁴⁾.

أقول، ألا نقرأ في الخبر أن حدود دولة مسلمة مغلقة أمام المسلمين حتى يبادوا في مواطنهم بدون أي جلبة؟

وهكذا هي حدود العالم الإسلامي مغلقة للاجئين الإنسانيين ومفتوحة لكل لاجئ للفتنة والأذى والقتل والتهجير.

فهذه هي فوائد قنواتنا الوثائقية التي ينبغي أن تزودنا بالعلم والمحبة وتمييز الخطأ من الصواب بدل هذا التزوير الحقيير لحقائق هذه الأديان الدموية الخطيرة التي هي أسلحة دمار شامل للبشرية.. وهكذا هو مجتمعنا، مخدر مبيت الإحساس يحركه طغمة من الفجار

(4) نقلت وكالات الاخبار حينها خيراً جاء فيه: " حمل سكرتير المجلس الاستشاري للجاليات الاسلامية عزمي تيراس المجتمع الدولي مسؤولية السكوت عن المجازر المروعة التي تحصل ضد مسلمي ميانمار وقال ان المجتمع الدولي يعتبر ابادة مسلمي ميانمار قضية ثانوية كما دعا الى اجتماع طارئ لمنظمة المؤتمر الاسلامي لبحث القضية وضرورة تحرك المنظمات الاسلامية في العام من اجل وقف الابداء.

وقال تيراس في مقابلة مع قناة العالم الاخبارية اليوم الاربعاء: ان الوضع الدولي الان لايسمح للدول بالنظر في مشكلة ابادة مسلمي ميانمار لان هذه المشكلة تعتبر بالنسبة لهم ثانوية.

وردا على سؤال هو ما هو المطلوب اليوم من المسلمين لوقف المجازر في ميانمار قال تيراس: اعتقد بانه يجب ان يكون هناك اجتماع طارئ لمنظمة المؤتمر الاسلامي وكذلك التنسيق بين مختلف المنظمات الاسلامية الاخرى كي تتحرك من اجل تعبئة الرأي العام الاسلامي والعالمي ضد هذه المجازر التي ترتكب الان بحق المسلمين.

وختم بالقول: نحن نأسف بان حدود بنغلادش لا تزال مغلقة امام اللاجئين الميانماريين من المسلمين الذين يفرون من القوات الميانمارية والجماعات البوذية المتشددة"

بأدوات تارة وهابية وأخرى رهبانية بوذية وأخرى يهودية، فكم نحن في عالم خائن
يخوننا فيه أبنائنا الذين يدعون الإسلام وهم أرخص من عرض الفاجرات.

تعميم الإرهاب البوذي

حين يقوم الوهابية بالأعمال الاجرامية نرى القسم الاكبر من المسلمين يرفض ذلك صراحة ويدين هذه الأعمال فلا يصح التعميم ومع ذلك يعممون، فأين إدانة هذه الوحشية من قبل البوذيين وديانتهم مركزية كما هو معلوم؟

لقد التقينا بزعماء البوذية في هولندا ودار بيننا حديث ودي وأصبح بيننا معرفة، وحين راسلناهم وطلبنا منهم استنكاراً فلا حس ولا خبر، فهل هذا سلوك من لا يقبل؟

ثم كيف يقبل الدالاي لاما ممن يلبس لباس بوذا البرتقالي أن يشارك بالقتل والترهيب ونشر الكراهية بظاهرة عامة وباسم البوذية؟ كان يمكن أن يلتبس الأمر على الناس حينما يكون الأمر مجرد حالة سياسية أو اجتماعية، بخلاف أن يتبناها الرهبان بعشرات الألوف.

على أن البوذية مستهدفة من قبل الأصولية المسيحية حيث عقدت صفقة مع الهندوس لتدمير المسلمين والبوذيين معاً، فكيف تنساق البوذية بهذا الشكل الوحشي للقتل الشنيع للمسلمين؟ ولو فعل ذلك الوهابية لما استغربنا لأنهم عملاء الأصولية المسيحية بلا شك وباعتراف القوى الغربية بل باعترافهم هم حينما يجعلون المسلم أخطر من الكفار ويجب قتل المسلم قبل الكافر وهذا فكر الأصولية المسيحية وتوجيهها لعديمي الشرف من المسلمين أمثال البهائم الوهابية.

إن ما قام به رهبان البوذيين يمثل البوذيين قطعاً كما أن ما يقوم به الوهابية يمثل الوهابية تماماً.

أما عن طبيعة العنف في تعاليمهم فهذا يجب أن يدرس ولكن الاخ المنهجي^(١) وضع يده على قضية خطيرة وهي التفاخر بالعنف في الأديرة بعنوان التمرس على فنون القتال، ولعل من يدرس تاريخ البوذية في كوريا واخترع أشد أسلحة القتل وقطع الرؤوس من قبل الرهبان يدل على عدم وجود مانع لديهم من القتل لأسبابهم الخاصة، وهذا يعني أن مبادئهم يمكن تكييفها لتخطي الخطوط الحمراء في حرمة دم الإنسان.

(١) محاورٌ في الإنترنت، وكان قد كتب تعليقاً على العلامة المنار: "لكن، قد يُشكل البعض عليكم بالقول:

- ما شاهدتموه من الرهبان البوذيين من وجوه عابسة لا يمكن أن يُعمَم على جميع الرهبان البوذيين، فضلاً عن جميع البوذيين العاديين.

- ما حصل في ميانمار لا يمكن تعميمه أيضاً على جميع البوذيين، فكما لا يقبل المسلمون تعميم أعمال الإرهابيين الذين يدعون الانتساب إلى الإسلام زوراً، فقد يُقال إن تعميم ما قام به (بوذيون) في ميانمار على جميع البوذيين لا يصح. وهنا أطرح سؤالاً للاستفادة والتعلم:

هل تودون القول إن البوذية (بغض النظر عن البوذيين) هي ديانة عُقُوبية، وأنَّ ما يُشاع ويُرَّوج عنها من أنها ديانة التصالح مع الكون وديانة السلام الروحي هو محضُ كذب؟

إن كانت البوذية ديانةً عُقُوبيةً، فما أدلة ذلك من نصوص الديانة نفسها أو من سلوك كبار قادتها الدينيين؟ أما إن كان المقصود بيان أنها ديانة باطلة لا ينبغي للمسلم وغيره -بحال- أن يفكر في الانتساب إليها، فإنه (في حال عدم وجود أدلة على أن البوذية -بذاتها- ديانة عُقُوبية) يمكن بيان بطلانها عبر مناقشة الأسس التي تقوم عليها، وهذا لا يخفى عن مثلكم طبعاً. فماذا تقولون حفظكم الله وأعرِّكم؟"

لماذا لا يجب الوهابية أمير المؤمنين

.. إذا كانت التقية تنفي فائدة البيان للمكلفين وفائدة العصمة فكيف ستجابه تقية صحابة الرسول صلى الله عليه وآله من الكفار وهو أمر ميثوث في أصح كتب أهل السنة في باب الإكراه هذا اذا كنت مسلماً سنياً، وان كان كلامك يدل على أنك قبطي من أقباط لوس انجلس قرب هوليوود تشتم الاسلام بطريقة التدخل بين المسلمين وادعاء الاسلام كما انتجتم القلم المسيء للرسول من هناك، فهذا نفس النفس المعهود منهم.

وإن كنا نرى نفس العداوة للإسلام عند الوهابية ولكن مثل هذه الجرأة في سب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فإنها نادرة جداً، لأن الوهابية حريصون على عدم شتم أمير المؤمنين علناً حتى لا ينفضحوا وإن صدرت منهم بعض الكلمات، فهذا النسب شتم أمير المؤمنين والأئمة بكلمات قصيرة لو جمعناها من مجموع مشاركاته التي تناهز الألف صفحة وأكثر لجمعنا قرابة صفحة أو يزيد قليلاً وبعضها يحتاج إلى بيان للنبر والاعتداء على الله ورسوله، ولكنك يا مدعي الوهابية قريب من الكنيسة القبطية في أمريكا التي تبرأ منها الاقباط أنفسهم تقوم بهذا الشتم العلني السريع، خصوصاً وأنت تضع كلمات لأمير المؤمنين عليه السلام التي تتهم الشيخين بالضلال وأمة الإسلام بالتقصير في حق أهل البيت عليهم السلام وفي حق رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن ثم تستهزء من كلام أمير المؤمنين في عهده لمالك الأشتر!

إن هذا لمن أعمق النصب والعداء لرسول الله وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام.

كان يمكن أن تشكك في السند على طريقة الوهابية وأما أن تقول عن كلام أمير المؤمنين ذاته بقولك: (ما هي الأحداث التي نهض بها علي ومع من؟ حتى زاح باطلها وزهق! واطمأن الدين وتنهته وانتعش واستقام عوده؟).

فهل هذا كلام مسلم؟

إن أمير المؤمنين يقول بأنه عمل على تثبيت الاسلام واستقامة أمره ونشر تعاليمه، وأنت تسخر وتستنكر عليه قوله وتستفهم عن الأحداث التي ادعاها أمير المؤمنين، أنه عمل أكثر من هذا بكثير.

بل هو من أعطى الدولة الاسلامية الصفة الحضارية وقد قلده الجميع حيث حول دولة الاسلام من الهمجية التي اعتمدت مبدأ الغزو والسرقة والنهب إلى مبدأ الحضارة والاستقرار المدني والمجتمعي.

أنا الإنسان البسيط جداً أقول لك ماذا فعل أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد قاتل المارقين والناكثين والقاسطين من أهل الضلال، وهذا أعظم إنجاز ديني وحضاري حيث قابل المارقين على المجتمع المسلم ففضى على اعتدائهم بدون انتقام وإنما التأديب فقط.

لقد علّم المسلمين أحكام البغاة.

وقد أقام معاهد التعليم وأمر بالكتابة لكلامه وأقام الدروس اليومية صباحاً وعصراً ومساءً بما لم يستطع أي إنسان القيام به، فقد أعطى من العلوم ما يعجز عنه إلا الانبياء وأهل الحظوة عند الله.

وقد أسس الجامعة الاسلامية وهو حاكم، بينما غيره ادعوا أنهم انشغلوا بالصفق بالأسواق وحين الحكم انشغلوا بالحكم. ولكن أمير المؤمنين لم تشغله حتى الحروب عن العبادة والتعليم فقد ضرب أروع الأمثال وهو الخليفة الوحيد الذي حارب بنفسه وقاد الجيوش بينما الآخرون يكتفون بأمر الناس بالقتل من دون تماس مع المعركة وإذا حضر أحدهم فيحتمى بأتباعه كما فعل الأمويون والعباسيون.

لقد أسس حوزة الدين، حيث بدأ بالمواضيع المنفصلة شارحاً أصول الدين وفروعه، كما حدّث ونقل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله، فلو نظرنا إلى خطبه المسندة في غير نهج البلاغة لوجدنا وحدة موضوع عجيبة وبها شرح غريب. مما يعني بداية الحوزة الدينية التي تعتمد الدراسات الطولية والمواضيع المفهرسة، وليس الأحاديث الموقعية غير المفهرسة كما هو حال محدثي بني أمية اللاحقين لعصر أمير المؤمنين بل إلى بدايات العصر العباسي إلى نهاية القرن الثاني الهجري، حتى أنهم لم يعرفوا الفهرسة إلا تقليدًا من غيرهم فلم يسموها الأصول ولا العناوين بل اسموها الترجمة. وهذا دليل تخلف شديد حيث أن ترجماتهم ظهرت بعد سنة ٢٠٠ هجرية تقريباً وأمير المؤمنين يطرح مواضيع متكاملة أيام خلافته. فأين هذا من غيره؟

فقد طرح العقيدة والفقه والأخلاق والعلوم الانسانية والطبيعية حتى انكشف في هذا الزمن الحالي عميق علمه وسبقه لزمانه، فعلى صعيد العلوم الطبيعية انكشف أنه يعرف صنع أسس حضارتنا الحالية فقد فهمنا الآن قوله لو شئت لأخرجت لكم من هذا الماء الجاري ناراً وقيل نوراً حينما عاد من النهروان وقال بعض جنده لقد اتعبت الحرب أمير المؤمنين، بأنه قصد تحويل الطاقة الهيدرو مائية إلى طاقة كهربائية ثم إلى طاقة حرارية أو طاقة ضوئية، وقد نقل كتاب محيط العلوم الذي صدر من وزارة التعليم العالي المصري قبل

ثلاثين سنة وأكثر قليلاً أن علي بن أبي طالب اشار إلى صنع الطاقة النووية بل إلى القنبلة النووية ونقل بيت الشعر الذي اتذكر منه :

خذ الفرار والطلقا وشيئا يشبه البرقا

إذا ج، ودته سحقا ملكت الغرب والشرقا

فقال أن الفرار هو الزئبق عند العرب والطلق هو معدن ثقيل مضيء أفضل مصاديقه اليورانيوم المنشط والشيء الذي يشبه البرق هو الشرارة الكهربائية وهذه هي أهم مكونات الانفلاق النووي، وهذا قمة العلم الفيزيائي. وهناك علوم طبيعية كثيرة رويت عنه مثل تفريقه العجيب في الطيور بين من يبيض ومن يلد بأن الفرق هو وجود الآذان وفي هذا الزمن في أواسط القرن العشرين بعد الاستقراء شبه التام تبين صحة هذا التفريق العجيب.

وله كلام يشرح أموراً نجهلها سابقاً، والآن كلنا نعلم أن سيد العلوم الطبيعية ومرتكزها الأساس هو علم الرياضيات وقد نقل عن الإمام تطبيقاته الرياضية السريعة العجيبة بما يبهر العقول، مثل نظرية فيثاغورس كما في قضية وزن الخلخال من دون نزعه من الجارية كما أقسم مولاها، وحل مسائل الجبر من الدرجة الأولى والثانية، كما في قضية تقسيم إرث الجمال وغيرها، ومسائل رياضية فلكية كما في حادثة جوابه للنصراني وهو راكب على فرسه حينما اعترض النصراني على القرآن بأنه يعد سنين أصحاب الكهف بثلاث مائة وتسعة بينما عندهم هي ثلاثمائة سنة فقال له الجواب فوراً ولكز حصانه ومشى: سنونكم شمسية وسنونا قمرية. وقد حسبنا التواريخ فتبين أن كل ١٠٣ سنوات قمرية تساوي ١٠٠ شمسية تماماً، وهذا هو العلم المعجز.

ومن أراد المزيد فعليه قراءة قضايا وقضاء أمير المؤمنين عليه السلام. وليس أدل على علمه بالحساب هو الفرق بينه وبين غيره في الإرث حيث وزع السهام على النسبة كاملاً بطريق الرد والمنح بالنسبة، بينما غيره اضطر للعلو والتعصيب جهلاً بدين الله لسهولة التحويل وإدخال النقص على الجميع ظلماً لأصحاب السهام الثابتة كالأزواج أو توزيع ما بقي على غير الورثة وهذا ظلم عظيم.

وأما في المجال الإنساني فهو أول من أسس علم البلاغة بشهادة البلاغيين وأول من أسس علم النحو بشهادة النحويين وأول من أسس «علم العقيدة» وليس «العقيدة» فهو من ركز على التنزيه ونفي الحد وهو من أبدع نظرية العدل ونظرية التحسين والتقيح العقليين التي أخذها عنه الشيعة والمعتزلة، هو من أسس علم الحديث وعلم الرجال الشيعيين وهو من بوّب الفقه وعمّقه، وهو من علم المسلمين الفقه وأصوله وكيفية الاستنباط وكل ذلك بشواهد وروايات معروفة بل متواترة. وعلى أقل تقدير فإن من ينظر لفتاواه وتعليقها سيجد طريقة صحيحة فطرية في الاستنباط وكيفية تكوين الحكم الشرعي من القواعد العامة أو من الجمع بين النصوص كما فعل دائماً. وهو من علم الناس صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن نسيها الناس بشهادة عمران بن حصين كما في الصحاح السنية، وهو من علمهم أحكام الحج فلم يعرف أهل السنة أحكام الحج وحدوده إلا من الإمام الباقر عليه السلام وقد رواها كلها عن أمير المؤمنين عن رسول الله عليهما الصلاة والسلام.

وهو من أسس علوم التفسير فقد كان تفسيره لكتاب الله كأنه فك الغاز متقاطعة مما يدل على معرفته لأسرار التركيب القرآني بما لا نفهمه إطلاقاً. وهذه رواياته شاهد على ذلك.

ثم إن أمير المؤمنين علم الحكام معنى نظافة اليد في استعمال المال العام، فقد كان أفضل مثال لنظافة اليد وعدم استعمال المال العام وقد وزعه كله على المسلمين بخلاف غيره ممن كان يعطيه لأبنائه وأصحابه حتى تكونت لديهم ثروات مليونية فانظر في البخاري ستجد أن أبا بكر منح أصحابه ما حسدهم عليه بنو أمية فحتى بلغ قيمة صافي تركة الزبير أكثر من خمسين مليون دينار، بنص صحيح البخاري. وأمير المؤمنين على ما في الرواية كوى يد أخيه بالحديدة المحماة ومنع ابنته من لبس قلادة على نحو الاعارة من بيت المال وليس التملك.

وهو من أنشأ الأمن الاقتصادي في بلاد المسلمين «شرطة الخميس» لمراقبة الأسواق والازدهار الاقتصادي ولهذا في أواخر سنيته لم يجد من يستحق صرف الزكاة عليه لنشر الغنى والثروة نتيجة سياسة الإمام وعظمة الأساليب الاقتصادية العجيبة، فقد كان قانونياً في مراقبة النقد وثباته ومراقبة الموازين والمقاييس وثباتها ومراقبة الاسعار وتوفير السلع والالتزام بشرف المعاملة، وقد تطور عمل شرطة الخميس إلى عمل الحسبة والشرطة الأمنيين حيث استفاد من هذا النظام من أتى بعده، وهو من اخترع السجن في الإسلام وكان سجناً غربياً حيث أن فيه اجازة اسبوعية للسجين يذهب إلى بيته. وقد أفرد الدكتور أحمد اللواتي رحمه الله رسالة أكاديمية في السجن نشأتها وعلاقتها بأمر المؤمنين، لضبط المجتمع الاسلامي من السراق والمغتصبين والقتلة وأصحاب الاغتيالات، ولكن من أتى بعده استعمل السجن كوسيلة تعذيب للمؤمنين وعباد الله الصالحين.

وهو من أسس قواعد الحرب الناجحة والتي فاز بواسطتها في كل حروبه لولا أن جيشه غره الشيطان عبر اتباعه الدعاة إلى نار جهنم فتزعزعت طاعتهم لإمامهم فأصبحوا قلة بعد

قوة، فحين فاز في صفين خانه جيشة المغرب به بواسطة حيلة رفع المصاحف والأموال المحرمة، فتوقفت المعركة بسببهم لعنهم الله.

وهو من أسس العلوم الروحانية وقد أعلن جميع صوفية الاسلام أن طرقهم تنتهي إلى علي بن ابي طالب عدا النقشبندية قالوا بأن طريقتهم مخترعة لتتصل بأبي بكر اعتباراً منهم والبناء على الأحلام، وليس لصلة معينة أو توجيه معين من أبي بكر، ولعله هذا السبب في اجرام هذه الطريقة، بينما الإمام علي له في كل مفصل الروحانية والعمل الروحي كلام مهم وقد نقل عنه الحسن البصري وغيره متسلسلاً إلى كل الصوفية والروحانيين المسلمين الكثير من الأساليب الأخلاقية والروحية والتجليات الروحانية. فهو من روى علم الرمل والجفر والطمس والتحصينات والحجب والأدعية والذكر وغير ذلك من العلوم الخفية التي يعرفها اهلها ولا نلم بها لكونها من العلوم السرية والصعبة جداً فقد نقل مؤكداً أنه علم أصحابه ميثم التمار وحبیب بن مظاهر الأسدي وكمیل بن زیاد علم المنايا والبلايا حتى أن ميثم التمار أعلن بأنه سيقتله الشقي وسيقطع لسانه حسب العلم الذي علمه اياه أمير المؤمنين ولكن ابن زياد أراد أن يكذب أمير المؤمنين فأمر بصلبه دون قطع لسانه ولكنه كان يخطب وهو مصلوب مما أجج على ابن زياد، فصدق علم المنايا والبلايا فقطع لسانه.

هكذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وهذه أحداثه - لكن الناصبة لا يرون شيئاً-، رغم أنني لا يمكنني احصاؤها لتعددتها وشمولها وإنما كتبت هذا سريعاً ومن الذاكرة واعتذر من الفضلاء والعلماء الذين يقرؤون هذا التعداد المخل، كما اعتذر جداً من أمير المؤمنين على هذا الاختصار الجهولي، فإنه فعل أكثر من هذا ولو أردنا

احصاء ما علّمه للمسلمين من أمور الدنيا والدين والعلوم المجردة لعجز عنه باقي عمري من
احصائه وتعداد عطائه.

علامة انهمار الثقافة العربية

مؤشر مؤسف في الثقافة العربية، حيث نجد الإعراض عن البحث الشخصي المستقصي، في الوقت الذي يطالب المثقف العربي بالبحوث الجاهزة، التي قد تكون ملغومة ومليئة بالفكر المنحرف والأكاذيب، وهذا سلوك أتمنى لكل مسلم أن يتجنبه فعقولنا ليست مكبات لنفايات الآخرين وعلينا بالجد والاجتهاد في متابعة أي قول، وقد حدث معي ان حاورت احد الأصدقاء المسيحيين في بلاد الشام في إيمان بولص الرسول وقصة المجمع المسكوني الأول في القدس، وذكرت له النصوص من كتاب أعمال الرسل فقال لي: سأسأل القس ليطلعني على الجواب، فقلت له انا أعطيك الكتاب المقدس وأدلك على النص العربي المبين، وأنت تلغي عقلك، وتقول سأطلع القس؟ ثم بعد أسبوع رأيت، فقلت له: ماذا قال لك القس؟

فقال: قالت لي الباحثة الفلانية أن المسألة معقدة ولا تُفهم إلا عن طريق الإيمان القلبي، وليس عن طريق العقل. فقلت له تهانينا فقد أخبرتك الراهبة بوجوب تعطيل عقلك.

وقد تحاورت مع وهابي مستجد مرة، فذكرت له بعض الحقائق وأدلتها، فقال: سأسأل إمام الجامع.

فقلت له : إذن أبشر بالكذب والدجل ، وسوف لن يجيبك عن النصوص التي أحدثك بها وإنما عن موضوع آخر وسوف ترى نفسك صغيراً حين تُكبر من يجهل أبسط الأمور. وهذا الرجل لم يقابلني مرة أخرى متعمداً ، فقد علمت بأنه قد حدث ما قلته له ، وهو يستحي من نفسه أن يقابلني.

فالمأمول من كل مسلم أن يجتهد ويبحث عن أسئلته في كل ما يستطيع ويقارن الأجوبة بلا تسرع ولا حكم مسبق ، ليرى أين معدن الإسلام؟ وأين معدن الدجل والنفاق؟

الفرق بين معالجة الشيعة ومعالجة مخالفهم لإرث البنات

من المعلوم بالضرورة أن أي معادلة يجب أن تكون متساوية الطرفين، وأن أي كسور حينما يراد لها الصحة فيجب أن تساوي مجموعها واحد. فإذا قلنا ثلث ونصف فقط فهذه لا تساوي واحد بل هي أقل منه، والمعادلة لا يتساوى طرفاها أي الواحد لا يساوي الثلث والنصف فقط. وإذا قلنا ثلثين وثلث وثمان فهذه تساوي أكثر من واحد، والمعادلة لا يتساوى طرفاها.

وفي كلا الصورتين لا تصح المعادلة.

والقرآن الكريم فيه مثل هذا الحساب في الإرث، حسب ظواهر القرآن الكريم بدون معالجة، خصوصا في إرث البنت أو البنات والأخت أو الأخوات، والأخذ بظاهر القرآن اتهام للقرآن بالخطأ، فلهذا لا يوجد مسلم يأخذ بظاهر القرآن في نصوص الإرث هذه، من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إلى أبسط علماء الفرائض في الإسلام.

ولكن ما هي معالجة رسول الله صلى الله عليه وآله لهذا الأمر؟

هنا يوجد طريقتان:

الطريق الأول: يقول إننا لم نسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا في ذلك، ونخترع من عقولنا طريقة للمعالجة، وهذا مسلك الخليفتين.

والطريق الثاني: يقول إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عالجه بعلاج معلوم ووضّحه، وهذا مسلك علي بن أبي طالب عليه السلام.

فالدعوى أنه لا يوجد سنة نبوية في ذلك، بينما كلام علي أن الحل بينه رسول الله وهو يرويه ويفرعه. وبهذه المعالجات نشأ خلاف كبير في الحقوق ومداخلات مختلفة بين المعالجتين واختلاف في طريقة الحساب.

المعالجة لهذه المشكلة:

ومختصر المعالجتين هو ما يلي:

١- معالجة الشيخين:

أ - إن أي سهام منصوصة إذا زادت على المال (زيادة البسط على المقام) فالحل الذي اقترحه عمر بن الخطاب أن يزداد من المال، لسد عول الفريضة، ويدخل النقص على الجميع، كثلثين وثلث وربع، فأصل المال أقل من السهام بمقدار ربع، فيدخل النقص على الجميع بزيادة المال افتراضاً، ويسمى هذا العول، فهنا تكون المعادلة ١٥ سهماً، مقابل ١٢ من أصل المال، أي أن البسط ١٥ والمقام ١٢، فكل ما فعله الخليفة عمر بن الخطاب هو أن جعل المقام ١٥ أيضاً، فأدخل النقص على الجميع، فأدخل نقص على الزوج وهو ممن لا يدخله النقص أبداً، وسهمه ثابت دائماً في نصوص القرآن لأن سهمه ثابت النصف مع عدم الولد والربع مع الولد، ولا يوجد أي نص يدخل عليه نقص أو يزيده.

ب- إذا نقصت السهام عن المال (زاد المقام على البسط)، فالحل عندهم أن يعطى المتبقي إلى طبقات أخرى محجوبة بالطبقة الحالية، ويسمى هذا بالتعصيب، أي توريث

عصبة الميت بدون نص أو دليل شرعي، وإنما هو اجتهاد فيما لا يعرفون التصرف به، فأهدي الزائد إلى غير الورثة، وقد عبّر بعضهم عن هذا التصرف أنه قياس، والتعصيب يمكن أن يكون للطبقة التالية مباشرة كالأخوة والأخوات ويمكن أن يكون لأبعد الطبقات كأبناء الأعمال والأحوال البعيدين، وفي هذا الحل إدخال لغير أصحاب الحق فيما لا حق لهم به وهم محجوبون لبعدهم عن الميت وطبقة الورثة.

٢- معالجة علي بن أبي طالب عليه السلام:

أ- إذا زادت السهام عن المال (زاد البسط عن المقام بالتعبير الرياضي الحديث)، فإن الزيادة تدخل راجعة على من سهمه متغير وغير ثابت كالأب والأم والبنات، لأن لهم صور متعددة في الإرث فالبنات تارة تأخذ نصف حصّة أخيها وتارة تأخذ النصف وتارة تأخذ الثلث وتارة تأخذ ثلث أو ربع الثلثين حسب تعداد البنات، وكذا الأب تارة يأخذ جميع المال وتارة يأخذ الثلث وتارة يأخذ السدس وتارة المتبقي، وأما الزوج والزوجة فسهامهم ثابتة مع جميع الطبقات، ولا يمكن إدخال النقص عليهما. وهنا سيكون الحساب معقد، ولا يحله إلا رياضي يعرف أصول الحساب، لأنه سيشكل شراكة من الذين يصح النقص عليهم، كالأبوين والبنات أو البنات، وسيدخل النقص بنسبة الشركة بينهما، وهذا هو حل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما هو عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو ينفي أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبين حل هذه المعضلة، فمن نصدق؟ من يقول: أنا أعلم وأروي الحل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ أم من يقول: أنا لا أدري واقترح الحل الفلاني! وحل علي بن أبي طالب عليه السلام يحافظ على سهم الزوجين الثابت، وهو محافظة على نص القرآن بدون إغماض عين وتداخل بين النصوص.

ب- إذا نقصت السهام عن المال (نقص البسط عن المقام) فإن الزائد يرد على من سهمه متحرك بنسبة المشاركة بينهم، فلو كان مع الأبوين بنت، فللأبوين السدسان، وللبنات النصف، والباقي رد عليهم أخماساً (بمعنى أن الزائد يقسم على خمسة ويرد بنسبة كل مستحق). ولو كان عنده إخوة للأب أو الأبوين، كان الرد على الأب والبنات أربعاً، لحجب الأخوة الأم من الرد عليها، وهكذا بتفصيل يذكر في الفقه، لأن الأقرب يحجب الأبعد بضرورة الإسلام فلا يصح توريث أخ مع وجود الابن أو الأب، ولا يصح توريث خال مع وجود الجد أو الأخ وهكذا، والاقتراح المفروض في حل الشيخين يتجاوز على هذا الثابت، بدون دليل شرعي، وهو تخصيص للقاعدة بدون مخصص. بينما حل الإمام علي عليه السلام يحافظ على الطبقات وعلى قاعدة الحجب، ولا يقبل بمنح الحق إلى غير أهله، وهو حل العدل والإحسان الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فهذا ملخص الفرق بين المعالجتين، وقد بينت السر في ذلك ضمناً.

وقد آثرت ترك الأحاديث والآيات الواردة في المقام والمناقشات فيها فهي طويلة ومعقدة بعض الشيء، وهناك رد وبدل عند الفقهاء يدور حول هذه المعاني حصراً، واكتفيت بهذا البيان، ومن يراجع سوف يجد أن هذا هو أصل المطلب بكل وضوح.

(ملاحظة كتبت هذا من الذاكرة لعدم توفر المراجع)

أزمة السؤال الفلينة!

منذ أكثر من ٣٨ سنة وأنا أحاور الوهابية والضالين، فلاحظت في وقت مبكر أن أي وهابي أو ضال من الضالين إذا بدأ بالأسئلة فلن يعترف بعثوره على الجواب مهما تقلبت معه، وكان هذا الحال منذ بداية السبعينيات من القرن الماضي وإلى هذا اليوم.

ولتقديم نماذج متفرقة للتسلية أقدم:

في الثمانينات جاءنا إلى العراق مصري متوهب، سألني سؤالاً فأجبته فقال أنه لم ير الجواب المناسب ولم نفهم سؤاله، فقلت له حدد السؤال لأجيبك حسب التحديد، فكلما ازداد تحديداً أعطيه جوابه فيقول أنه لا يرى الجواب وأن الأجوبة هي تهرب واضح، بحيث قلت له لنجيب عن كل كلمة في سؤالك بأجوبة متعددة ومفيدة وناصحة وفعلت له فلم يقبل ويقول أنك تجيب عن سؤال آخر وهكذا بقيت معي ثلاث ساعات تقريباً على هذا الحال ثم اكتشف أنه على موعد ضروري ينبغي أن يذهب إليه، وذهب بلا رجعة.

وفي سنة ١٩٩٤م دعيت في مدينة إربد إلى مجلس لأحد الإخوة الصوفية فكان شيخ الجامع هناك - كان سابقاً كناساً في الجامع فجدنته الوهابية فأصبح شيخ الجامع بعد أن عمل مؤامرة لطرده إمام الجامع -، وكان وهابياً بامتياز في ملبسه وضخامة جسمه وضآلة عقله، فما أن سمع أنني شيعي إلا واستقبلني بالسؤال فأجبته فوراً بجواب قصير فقال أنه أراد تجربتي ولكن الحقيقة أن سؤاله آخر فأجبته فقال أنه في الحقيقة يريد سؤالاً آخر

فأجبت عليه ثم غير سؤاله فأجبتُه وهنا أخذ ينكر أنني أجبت وكلما يغير سؤاله أجيبه حتى انتقده الحاضرون من أهل السنة فقالوا أننا لم نكتشف فيك هذا التلاعب، فأخذ يسألني ويلقي التهم المعدة مسبقاً والتي أعدت من قبل الوهابية ومخابرات صدام حيث وزعت على جميع مراكز الوهابية لشحنهم ضد الشيعة فكلما أشكل أجيبه وهنا فجأة اكتشف أنه كان قد دعا صهره للغداء ويجب أن يذهب إليه وذهب بلا رجعة، مع أن هذا الكذاب كان مدعواً معنا إلى الغداء قبل يوم وهو جاء للأكل بشبهة بالغة للمنسف -الذي هو المضيرة-، ولكن كانت اللقمة في جوفه ناراً لأنه لا يجد الجواب على سؤاله المهم.

وحين ظهر الانترنت في سنة ١٩٩٥ م في الشرق الأوسط وكانت المشاركات العربية بحروف لاتينية وصعبة الكتابة، فظهر للجميع مصيبة عدم رؤية محاورينا الوهابية للأجوبة، فزادت قناعتي أن هذه سياسة يتعلمها الوهابي لتخليص نفسه من فشل التورط في السؤال بلا حجل أو حياء.

فإذن الوهابي يصمم السؤال بطريقة ثعلبية ويحسب عدة حسابات شطرنجية للأجوبة وأجوبتها، فإذا أجيب بشكل يقلب عليه الطاولة، فملجؤه الأخير هو ادعاؤه عدم إجابته عن سؤاله ويتقلب في سؤاله نفسه، وان المجيبين يخافون من سؤاله الخطير الذي يهدم الأركان ويهدد البنيان ويقلع المذهب من جذوره حتى قد يسمى سؤاله الصاعقة أو المدمر أو الهلاك المبين وما شابه ذلك، بينما نجد مختلف الأجوبة الصحيحة قد وقعت له.

طبعاً هذه الحالة ليست مع الشيعة فقط، فقد رأيتهم يعملون ذلك مع الصوفية ومع الأشاعرة ومع الزيدية وحتى مع الأباضية، ومن الغرائب غير المستغربة أنني رأيت أن النواصب من النصارى يسلكون نفس المسلك مع المسلمين فإذا سأل احدهم فلن يجد الجواب

حتى لو اجبته بمقدار طن من الأوراق فكل الأجوبة خارج الموضوع الذي لا يعرفه هو بنفسه.

ومن يريد أن يتأكد من صحة مقولتي فليدخل لأي موضوع في شبكة هجر الثقافية يبدأ فيه الوهابي بالسؤال، فسيجد قضية عدم عثور الوهابي على الأجوبة متأصلة.

غير أن في الفترة الاخيرة نجد أن الوهابي يبدأ بقوله أين الجواب؟ لا أرى جواباً من أول تعليق له - أصبح مرضاً مستديماً وليس كملاذ أخير -، فهو يكرر ليس هناك جواب على سؤالي البسيط هل هدّ أركانكم؟.. إلخ، من أول مشاركاته حتى أن المثقف ليحير أمام هذا الكائن النشاز وعن سؤاله العجيب الغريب الذي يتقلب ويتفلت ويصعد وينزل ولا أحد يصطاده.

إن سؤال الوهابي فلينة كلما تريد أن تنزله لتريه الحقيقة تطفو فوراً، وكأنها نسر أعمى يشم رائحة الفريسة ولكنه لا يجدها أمامه لكونها متحركة دائماً، وفريسته هنا الجواب الذي يفلت منه كلما حدد سؤاله أكثر أو غيره، فالمشكلة إذن في السؤال والسائل وليس في المجيب وهذه هي الحقيقة الناصعة.

السّر في سلوك الوهابية

لو أردنا أن نتجاسر على مقام أهل الاختصاص طالبين صفحهم لما يبدر منا من تشخيص قد يكون بعيداً عن العلمية نتيجة عدم الاختصاص، فنعتذر منهم أشد الاعتذار لنقوم بدراسة ما هو من اختصاصهم متطفلين عليهم، وأول ما يجب أن يدرس هو دراسة الدافع حيث يمكن أن نفسّر بعض الأسرار الخفية في هذا السلوك، ثم ندرس التركيبة النفسية سواء بالطبع لكونهم من أصول وضيعة جداً أو بالطبع بالتربية والتعليم للدجل والحقْد والكرهية وما تفرزه من سلوك شاذ.

أولاً، الدافع :

نحن نعلم علم اليقين أن هؤلاء يتحركون بموجب دفع خارجي، نعرف علاقته على العموم بالسياسية الغربية وسياسة الحكام المحليين، ففضية هؤلاء تخف وتشتد كلما كان هناك صراع سياسي فإذا خف الصراع السياسي خفت حركتهم وإذا اشتد اشتدت حركتهم، وبهذا فإن هؤلاء ليسوا إلا موظفين في ماكينة سياسية لا علاقة لها بدين أو بقيم إنسانية، بل لا تمتلك أي شرف أو اعتزاز شخصي بالذات واحترام لمكونات الإنسان الداخلية، وهذا هو عمل أي شرطي لا يعرف إلا تنفيذ الأوامر والتقرّب إلى الأعلى بابتداع الحيل والأكاذيب وأساليب الدجل ليرضى عنه المسؤول ليكون متميزاً في سريته.

فهم مدفوعون بإرادة أعلى، والإرادة الأعلى لا تعرف أي قيم أو ضوابط شرف، ولهذا فحينما يختلفون مع مصر يوجهون اتباعهم بسب جمال عبد الناصر وأنور السادات وستم مصر والإيقاع بها وتكفير أهلها مع أنهم هم أهل السنة، وحينما كان صدام معهم جعلوه قديسًا ولكن حين خالفهم وعاداهم أصبح كافرًا يجب الاستعانة بالكفار عليه كما هي فتوى ابن باز، وحين أزيل عن الحكم وتحول الحكم إلى ديمقراطي وانكشف أن أغلب العراق هم شيعة، تحول إلى قديس مجاهد صاحب كرامات، وهذه كما ترون أمور سياسية ولكن الأفعال والهجمات دينية، فالدين عندهم مطية للسياسة تفعل به ما تشاء، وهذه هي التركيبية الأساسية لدينهم وليس بدعًا كما يقول السلفي المصري الذي عوتب على تأييده حسني مبارك ثم أصبح لاحقًا له بعد سقوطه مباشرة: «نحن مع السلطان نميل حيث مال وهذا ديننا الذي نتدين به» في مقابلة موجودة على اليوتيوب، فإذا كان دينهم اتباع سلطان متعرق فاسق فاجر لا يصحو من الخمر ولا يغتسل من جنابة زنا إلا بعد ثلاث زنيات ثم بعد الغسل يزني ويلوط، فهذا هو سلطانهم، وأخبارهم السرية والعلنية لا تخفى على أصحاب المعرفة.

فهل نتوقع من مثل هؤلاء السلاطين أن يأمر أصحابهم بالصدق واحترام الذات في تلبية رغباتهم السياسية والضرب بسوطهم اللاذع المفرق لشمل المجتمعات لسبب بسيط هو البقاء في السلطة والشعور بالانتصار الوهمي بواسطة التخريب والإزعاج.

وكلنا نعلم أن الموظف المرتبط ولو نفسيًا بمثل هكذا سلطان، لا يملك الخيار في تحديد أخلاقياته بل هو مدفوع لمخالفة كل القيم الأخلاقية من أجل تنفيذ أوامر سيده الأعلى.

فإذا عرفنا هذا فلنعلم أن هذا أول سر يفسر سلوك هؤلاء، فهم مأمورون ببث الشبهات والتداول على الشيعة كعدو أول، مع أنه ليس هو المقصود بالذات بل المقصود الجهة السياسية الشيعية، فإن السياسيين المرتبطين بإسرائيل دخلوا في صراع مع إيران وهم أحقر من أن يستطيعوا التأثير على الإيرانيين الأقوياء في العزيمة وفي الإرادة، فقد قرروا استخدام مذهب الأغلبية الإيرانية كأداة لضرب الإيرانيين مع علمهم بأن الإيرانيين يشكلون بما يزيد قليلاً على ١٠ بالمائة من الشيعة تقريباً، وهذه حماقة منهم فإن استعداد كل الشيعة في سبيل ضرب الإيرانيين أكبر حماقة يرتكبها هؤلاء السياسيون، ولكنهم لا يجيدون إلا الحقد والباطل والدجل، ومواده متوفرة في تراث مليء بهذا الكذب والافتراء وتزييف الحقائق، فلهذا فإن من الأسهل لهم دفعهم لإضافة ما يمكن إضافته من دجل واعتداء وتزييف.

إن أساس الأوامر الصادرة لهم هي :

- أكثروا من الشبهات.
- لا تعطوهم فرصة للجواب والتوضيح.
- اقلبوا الوقائع والمفاهيم.
- كذبوا كل ما لا يخدمكم من تراثكم أو من تراث أهل السنة.
- استخدموا أساليب السخرية والقرقوزية.
- سبوا أئمة الشيعة ليسب حمقاهم أئمة السنة ويجب استغلال هذا الأمر بإظهار معايير أئمة أهل السنة آلهة لا يجوز المساس بها، فساب الله يستتاب وساب الشيخين لا يستتاب.

● استخدموا أساليب التهيج عليهم للشارع السني حتى يبدو أن الوهابي هو حامي التنسن، ويجب إخفاء حقيقة رأي الوهابية في المشركين الكفار أهل السنة عند الوهابية.

● استخدموا أقصى ما تستطيعون من أساليب المغالطة والتزييف، ولهذا يطلبون منهم دراسة المنطق الخاص بالدليل المغالطي.

● اخلطوا بين القضية السياسية والقضية الدينية واخلطوا المفاهيم والأحداث بحيث تبدو حادثة دنيوية بسيطة كقضية عقائدية كبرى.

● انشروا كراهية الشيعة عند الناس وتخويفهم منهم كالغيلان التي تأكل الأطفال ولا بهم النظر إلى واقع الشيعة كأفضل المتحضرين وأحسن الأدباء وأصحاب العقول الراقية والذين يمكن أن يتقدم بهم العالم الإسلامي فهذا يجب أن لا يُنظر إليه.

وهكذا هناك أوامر مكملة لهذه الأوامر تتعلق بأسس نشر الكذب والكراهية والتهيج من أجل إيجاد معسكرين متعاضدين في العالم الإسلامي لإيقاف نمو العالم الإسلامي خدمة لإسرائيل والغرب.

المهم لليهود وإسرائيل ترضى عنهم والبقية ليس بهمهم.

ثانياً، التركيبة النفسية بالطبع

إن مصدر كل الوهابيين هم من المشردين والوضيعين من أهل البوادي أو من مشردي المجتمعات أو من الناقصين اجتماعياً أو ممن يمكن خداعهم ويشعرون بعقدة النقص

الداخلي، ولا يوجد بين الوهابية شريف واحد قط، ولا يمكن أن ينتمي إليهم أي شخص ذو شخصية عالية راقية، فإنهم مهما تعلموا وتعالوا بالمال والدخول بالمجتمعات الراقية فإنهم يتحولون إلى وضيعين ووحوش بلحظة واحدة بدون أي خجل أو ارتباك فيما يقومون به وأكبر دليل هو أن بعض الوهابية الذين يحاورونا في شبكات الإنترنت الذين امتلأوا بالمال والاتصال بالمجتمعات المخملية يتحولون إلى سخفاء وهابطين بمجرد أن يحشروا في زاوية الحقيقة بلا خجل أو عزة للذات، ومن نجد فيه ذرة من احترام الذات ينسحب تدريجياً ويتوقف عن توريط نفسه أكثر، ليس لجهة ارتفاع مستواه ولكن لأن الضغط النفسي كبير عليه فلا يستطيع تحمل اهانات أكثر مما يناله على أيدي المؤمنين من كشفٍ للأكاذيب وبيان للدجل وانكشاف للجهل بالدين والقيم والتاريخ وكل ما هو إنساني.

ومثل هذه الطبقات وما تعانيه من أمراض نفسية يجب أن نستعين بالخبراء في تشخيص عقد النقص فيهم وفي تحديد أمراضهم النفسية.

ونترك هذا لأطباء الأمراض العقلية وعلماء النفس وأطباؤه.

ثالثاً، التركيبة النفسية بالتطبع

ولعل مما لا يخفى أن منهج التربية على الحقد والتعليم على الكذب، هو أهم ميزات التربية والتعليم السلطاني في منطقة الشرق الأوسط، وهذا في أوج علاه في الوهابية بما لا يشك فيه أحد، ويمكن أن نسأل أي طالب ابتدائية وثانوية في السعودية على هذه التربية فسيجيبك بأنواع وسائل التربية على الحقد والكذب والدجل والتعليم من أجل المغالطة وقلب الحقائق.

وعلى كل حال فإنني صرت أؤمن بنظرية لم أقرأها في كتاب طبي ولكنني أعتقد أن كبار علماء النفس وأطباء الأمراض العقلية يؤمنون بها، لأنني شرحتها بالتفصيل لبعض الجهات فوافقوا عليها وهم يؤمنون بها، والنظرية تقول أن الأفكار كالكائنات الحية الدقيقة يمكن أن تعدي لتصل العدوى إلى التركيب المادي للدماغ، فمثلاً الأفكار الجنونية يمكن أن تزرع في عقول الأصحاء فيفكرون كالمجانين ويكون من الصعوبة شفائهم إذا استحك فيهم الداء كما أن من الصعوبة شفاء المجنون، وهذا ناتج عن خلل في تعبئة المعلومات الأساسية وتأثيرها في مغاليق ومفاتيح المسارات الدماغية، فيصبح العاقل كالمجنون في أفكاره، ولهذا فإن المبادئ الباطلة تجعل أصحابها كالمجانين حينما يفكرون في الإتجاه الباطل (صم، بكم، عمي، لا يفقهون) يعني أنهم يغلقون مفاتيح خاصة في أدمغتهم تجعل آلتهم السليمة لا ترى لا تسمع لا تفهم لا تتكلم بالواقع، وحين يتم هذا الاغلاق يصعب عليه عكس القضية إلا بهزة عالية القوة، فمثلاً ترى طبيباً في غاية الذكاء والفتنة، ينتمي لدين أو طائفة معينة حين تناقشه في الدين تجده يصبح كالمجنون يركب أفكاراً لا يقبلها هو في ممارسته الطبية ويستنتج بطريقة يستحيل أن يقبلها في مهنته، وحين يتعرض لصدمة كبيرة تراه يتعجب من نفسه كيف فكر بهذه الطريقة العجيبة التي لا تتناسب مع معلوماته؟ فيجب أن نفهم شيئاً مهماً هو أننا إذا اردنا أن ندرس أي مذهب يجب علينا أن نبحث في بعض الأوليات التي تنقل الخبال أو التعقل لنعرف مع من نتكلم، فأى مذهب لا يهمله القول بالتناقض وينفي السببية فإن أتباعه ستوقع منهم أفكاراً عجيبة غريبة لا تتراكم مع بعضها وكلما تعمق في مذهبه فيركب قضايا لا يمكن أن يركبها إلا المجنون.

فعلى كل حال هذه نظريتي التي استفدتها من خبرتي في الحياة ودراستي للديانات والأفكار وطرق معالجتها العقلية، فلعل علماء النفس وأطباء الأمراض العقلية لا يوافقونني عليها، رغم أن بعض كبارهم وافقني وزودني بأمثلة غريبة، وقالوا أن نظرية غسيل الدماغ تؤدي ما يقارب هذا المعنى ولكنها تقول بإعادة التزويد بالمعلومات الخطأ لا أنها تورث صفات الجنون نفسها أي قبول التراكيب الجنونية بداخل التركيبة العقلية كخلل عتاد (Hardware)، إلا أنهم لا حظوا حصول ذلك فعلاً في أحيان كثيرة نتيجة الخبرة الطويلة، وأن ممارستنا مع السياسيين وتفكيرهم ومع أصحاب المذاهب وتفكيرهم فإنهم يركزون أوامرهم على غسيل دماغ الناس وتعبئتهم بحيث يعمون عن أي شيء تماماً، ولو أخذت تفكير الكثير من الناس في الأمور السياسية ستجدهم يفكرون كالمجانين بنبذ الأولويات وتصيد الوهميات إلى يقينيات وكسر حاجز المنظومة العقلية السليمة، فخذ مثلاً نشر فكرة الصراع الطائفي في العالم الاسلامي في السنين الأخيرة التي انتبه لخطورتها الغرب واستخدمها كآلة حربية لإسقاط الحضارة الإسلامية فإن المنغمسين فيها لا يرون إلا الخطأ في التفكير ونبذ الأولويات واعتماد الأكاذيب والوهميات كأدلة قاطعة ترتاح لها أنفسهم، ولهذا فإن العالم الإسلامي يدخل الصراع الطائفي بشهية عجيبة، وهي قضية ضده وضد وجوده وتشكل أكبر خطر حتى على المتمدن نفسه واستقراره الأمني والعقلي، ولكنه مرتاح لهذا كالمجنون المرتاح لجنونه وتراكيبه العقلية وأوامه.

الوهابية طريقتهم في التربية هي نفس هذه الطريقة وهي من أعمق طرق غسيل الدماغ وتحويل أي عاقل ناجح في عمله ونظام عمله كطبيب أو مهندس أو فلكي أو تاجر يؤمن بترتيب القضايا وتحقيق أصولها، فإنه مجرد أن يصل للدين يتحول إلى شبه مجنون يقول بما لا يمكن فهمه ويدعي وضوحه كالشمس، ويستبعد القريب ويستقرب البعيد، ويقبس ما

لا يقاس ويستدل بغير الدليل ويتصور ما لا وجود له مقتنعاً أنه أصل الموجود وهكذا يتحول إلى مجنون رسمي ولكن في اتجاه معين، وهذا هو مبدأ الوهابية في حقيقتها وهذه هي تربيته.

فإذا عرفنا هذا نعرف الكثير من أسرار سلوكهم في الحوار، ومنه كيفية مواجهة أسئلتهم، فهي وفق مبادئ السياسة عبارة عن شبهات وتشويش وتضييع وقت حتى لا ينشغل الشيعي بالمعلومات السليمة ويقضي وقتاً في الترهات.

وهذه أهداف أساسية عندهم.

فهم بهذا السلوك ينفذون أجندة وسياسة مدروسة يعتقدون أنهم يفوزون بها.

أما وجهة نظرنا فإن مداخلات الوهابية دائماً تشحذ همم أبنائنا فتوجههم للبحث والكشف لطرق الخداع، فتدخلاتهم مفيدة بالنسبة لنا، ولا تنفعهم لا سياسياً لأن الإيرانيين لن يتأثروا بالحوار مع الشيعة فسياستهم خاصة، ولا دينياً لأننا نكشف باطلهم وأكاذيبهم ويزداد أبنائنا قوة، ألا ترى أنه كلما ازداد الوهابية في الهجوم على التشيع ازداد أبنائنا قوة ولم يهتز لهم شعرة، بينما تشيع الكثير من أهل السنة الحاضرين نتيجة انكشاف الكذب، فإننا الآن في الإنترنت نرى أن الكثير من المحاورين بقوة وعنف هم من أهل السنة سابقاً الذي فتح الله بصيرتهم وقذف بنوره في قلوبهم فبان لهم الحقائق بفضل الألعاب الوهابية وأمثالهم من الحاقدين على الإسلام، ولكنهم لا يعلنون ذلك في الغالب زهداً بالتبجح ولعله خجلاً من قضاء فترة في الغي والحرمان من نور الله والحقيقة التي تنير الكون.

وأخيراً تسائل الأخ محمد علي حسن حفظه الله عن العلاج؟

أرى أن العلاج السياسي وليس فكري لأن هجومهم ليس فكرياً وسلوكهم ليس فكرياً وإنما هي بهلوانيات قرقوشية تابعة للأوامر السياسية.

إن أصل المسألة في الوقت الحالي حسب ما أرى هي إسرائيلي كما أن أصل معركة الجمل هو الجمل.

ولعل إسرائيل هي من ينهي هذه القضية فيما إذا جن جنونهم بفضل من الله وتحرشوا بإيران، فهذه هي ساعة التبدل السياسي في المنطقة وسيتحول هؤلاء إلى أصدقاء وأخوة للشيعية وسيقولون أن الشيعة في الحقيقة سلفية حقيقية أفضل من السلفية السنية لأن سلف الشيعة هم علي وأهل بيته وهم أقرب لرسول الله بينما سلف السنة ابن المبارك وأحمد بن حنبل وأما ما قبلهم فهم سلف مرقع لهؤلاء وليسوا سلفاً للسلفية، وسترون أشكلاً من أعاجيب الكلام والتودد للشيعية حينما تنهار إسرائيل فيبقى يهود الجزيرة يتامى يطلبون السلام والعيش بأمان في ظل التغييرات الدولية، وهكذا هي السياسة.

فعندما ترون عقال الأمير في رقبتة فسترون سلفية جديدة أقرب للشيعية منها لأي مبدأ آخر. وسيرجع غيرهم مناصراً للشيعية الذين تفهمهم أخيراً بعد عشرات السنين من المناكفة الفكرية وسينسى أنه قيل أن يكون ابن جيران أبيه في سبيل الدولار والارتباط بالوهابية العظيمة المناصرة لإسرائيل التي اغتصبت بيت أبيه وجده وهجرته إلى الأردن ثم إلى الكويت ليبعث للدراسة في الفلبين ولكنه فشل لتشوش البال فانقلب إلى حمار سلفي معتق من أجل عيون الأخضر فأصبح السلفي الكذاب الفاشل بامتياز الذي لا شرف له ولا غيرة عنده على عرضه وشرفه.

طبعاً هذا لحد الآن ولكن إذا انقلبت السياسة فسترون من يكون، وكيف يكون، مناصراً للحق الشيعي، والتفهم للمبررات الشيعية، وهكذا هو وغيرهم كلهم من أنصار فكرة التقارب والدعاة إلى قبول وتفهم المبررات الشيعية، وهكذا هو الارتباط بالسلطان لا ينفك حتى تخرب الأرضية تحت السلطان.

ولو فهم الأخوة موضوعي «كيف تحاور حماراً؟» لفهموا كيفية معالجة هؤلاء في الوقت الحالي قبل بدء المعركة التي يرتقبها المؤمنون بفارغ الصبر والتي نعرف نتائجنا من أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أخبار الأئمة الطاهرين عليهم السلام. فإذا خاف اليهود بتحذير شياطينهم فعند ذلك يجب العمل على كشف هوية هؤلاء وهذا أفضل علاج كما في ذلك الموضوع الذي يمس طبيعة الحوار معهم.

نسأل الله العافية للمسلمين من هذه الأمراض الجرثومية الخبيثة التي عشت بين المسلمين منذ أن سيطر اليهود على مراكز القرار الإسلامي.

الفصل بين النظرية والتطبيق في الحكم عند الشيعة

الحقيقة لم أجد إشكالاً بمعنى الإشكال المرتب علمياً، وإنما هو استفسار وقد نقول أنه استهجان للفصل بين النظرية والواقع عند الشيعة كما يظهر حيث لم يسلموا الأمر لأهل البيت عليهم السلام.

وهذا السؤال والاستهجان نفسه مبني على تصورات مسبقة لا يقول بها الشيعة، وسنبيّن الموضوع بشكل مبسط.

ولكن لو أردنا أن نساير الدكتور^(١) فيما بنى عليه من معنى لأهل البيت ونجيبه وفق هذا المعنى ووفق الواقع، فيمكن أن نقول بأن الشيعة ليس لديهم دول كثيرة، ولا امكانات كثيرة في بناء الدولة لكونهم محاربين مقصّون، غير أن بعض الدول الشيعية قامت فعلاً على أساس شيعي، فمثلاً ما يُشتم به الشيعة من حكم ديني يمثلهم وهو الحكم الصفوي - والحكم الصفوي مبني على أسرة موسوية من أبناء موسى الكاظم فالسيد صفي الدين التبريزي أو الأردبيلي (وهو سيد من [أهل البيت] بوصف الدكتور من أصول لبنانية طرابلسية)، وبعد الدولة الصفوية جاء حكام لم يقبل بهم الشيعة مثل العجر المعروفين (المسمون بالقاجار) وقد قتلوا علماء الشيعة وآذوهم وما كانوا إلا عجباً، وجاء بعدهم رضا بهلوي وابنه محمد رضا وهم من أصول فارسية مجهولة في الحقيقة، فثار عليهم الشيعة

^(١) وكان الدكتور أحمد قد كتب مقالة في الشبكة الليبرالية العربية [يونيو / ٢٠١٣م] يستنكر فيها قول الشيعة بإمامة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ثم عدم تسليم الحكم لأحد أحفادهم في إيران أو العراق الآن!

عدة ثورات منها ثورة مصدق ومنها ثورة السيد الخميني رحمه الله، ونجحت ثورة الخميني وأسست دولة مبنية على أساس ديني يقودها سيد من [أهل البيت] كما يشتهي الدكتور أحمد، وهو موسوي من أبناء موسى الكاظم عليه السلام، وجاء بعده السيد الخامنئي حفظه الله وهو سيد حسيني من أبناء الحسين بن علي عليهما السلام، فهو من «أهل البيت» بتعريف الدكتور أحمد، ونحن ليس لدينا دولة شيعية دينية غير هاتين ولم يكن يقودهما إلا من هم من أهل البيت وفق مصطلح الدكتور أحمد، ولكن الأخوة العرب يمجّدون كل الأمم إلا «آل البيت» ولا يحبونهم ويتمنونهم بشتى التهم ويخوفون الناس منهم ويفسّرون كلماتهم بالمقلوب -كسياسيين بارعين في قلب الحقائق- بينما لم نر منهم في الحقيقة أي شر على العرب والعروبة بل ناصروا الحقوق العربية التي تخلى عنها العرب، وسلموها لأبناء عمنا! في إسرائيل مع بوسة الشوارب!

ولو أردنا أن نرجع إلى شيعة العراق وهم عربٌ أقحاح، أغلبهم من قحطان مع نسبة لا بأس بها من عدنان كالأسدبيين والهاشميين وغيرهم، هؤلاء الشيعة في العراق كانوا في أبأس حال نتيجة ظلم وجور العثمانيين الطائفيين بما لا يمكن تصوره، ولكن حين هجم الإنجليز على العراق هرب العثمانيون وأنصارهم الأبطال، وتصدى لهم شيعة العراق العرب الفقراء، وقد مشوا تحت أجسام زعمائهم معلّقين على المشانق بتهم تقليل الأتاوات المدفوعة للحكومة العثمانية الشرهة من دون نظر لهذه المخازي وكان مهمم الدفاع عن دولة الإسلام حتى لو كنا نختلف معهم وقد ظلمونا، فتم الدفاع عن الحكم العثماني السني بدون منة أو مزيدة والتصدي للإنجليز ببسالة منقطعة النظير وبتوضيحات وحركات ذكية ومدروسة أرهقت الخزينة البريطانية بحيث اعتبرت بريطانيا مقدار كلفة البقاء في العراق أضعاف كلفة البقاء في الهند وهي قارة، وكانت خسائر البريطانيين بالأرواح والمال والجهد المرهق قد

اضطهرهم للدخول في مفاوضات مع الشعب العراقي، فاجتمع علماء الدين في النجف وكربراء وقرروا أن يكون الحاكم من «أهل البيت الأشراف» والحكم شعبي ديمقراطي ملكي دستوري بدون أي تفكير بالطائفة والطائفية، واقترحوا الأمير فيصل وهو من نسل الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، وهكذا تم القرار وجلب الأمير فيصل وعين ملكاً، وتم تتويجه في يوم الغدير «يوم تنصيب النبي محمد صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام خليفة له» في صحن ضريح جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام بفرح عظيم وهو سني المذهب فلم يمنع الشيعة ومراجعهم مذهبه، إلا أن يكون هاشمياً معتدلاً، إلا أن آمالهم سرعان ما خابت وتبين أنه طائفي للنخاع لا يختلف عن الأتراك ففي تشكيل أول فصيل للجيش العراقي خطب فيهم الملك فقال ما معناه: «أسس هذا الجيش لضرب ثورتين يمكن أن تقعاً، ويجب على الجيش أن يقاتل الشيعة في الجنوب والأكراد في الشمال». فهو فرض أن الشيعة أعداء، وأنشأ الجيش العراقي للقضاء عليهم وليس لحماية الوطن من الغزو الأجنبي ولحماية الحدود من الاعتداءات^(١).

ومع ذلك لم يخلع الشيعة الحكم الهاشمي (آل البيت حسب توصيف الدكتور أحمد) مع انكشاف الطبيعة العميلة والطائفية لحكم الأشراف، وقد ساندوهم بدون أن يؤيدوهم في الأحلاف القذرة مع الغرب، وقد اعترضوا عليها، ولكنهم لم يؤذوا حكم «آل البيت» عند الدكتور أحمد، إلا أن أهل السنة الذين رفعهم حكم الأشراف الهاشميين وهم أقلية لا تتجاوز ٦٪ من المجتمع العراقي، وهم يحكمون كل العراق بحكم وراثته الإنجليز للمنظومة العثمانية وتسليمها للملك فيصل، فاتفقوا مع الإنجليز على قتل هذه الأسرة وتقطيعهم في

(١) هامش من العلامة: يمكن مراجع كتاب الشيعة والدولة القومية للمفكر حسن العلوي فسيجد الباحث كل تلك الأحداث

ووثائقها.

الشوارع على نفس طريقة التقطيع والقتل والوحشية وأكل القلوب والأكباد، تلك السياسة التي ورثوها من والدة الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وبكى عليهم الشيعة في بيوتهم ومن تلك الجرائم التي ارتكبت بحق هذه الأسرة الهاشمية، وتعجبوا من هذا الحقد المؤدي إلى تقطيع الأسرة ووزرائها بهذا الشكل، وبقوا أوفياء لهم، حتى حينما صدر قانون تحرير العراق من الكونجرس طلب الكونجرس الأمريكي ووزارة الخارجية تبيان الحكم المراد من العراق، فقال العراقيون نحن نرجع الحكم الهاشمي - آل البيت كما يفهم السيد الدكتور أحمد - فاقترحوا على الملك حسين أن يستلم العراق أو من يعينه، غير أن الملك حسين استدعى مخابراته لدراسة الموضوع فقبل له أنه في سبيل الاستقرار في العراق يجب قتل حوالي عشرة آلاف قيادي وحبس ألوف آخرين، فقال قولته الشهيرة وأنا شاهد شخصي على ذلك: «أنا الملك حسين لم أقتل أحدًا في حكم دام ٤٧ سنة لسبب سياسي وقد عفوت عن حاول قتلي في محاولات كثيرة لا أستطيع أن استلم حكمًا يجب أن أقتل فيه هذا العدد من الناس».

ورفض المشروع، وتم اقتراح حكم ديمقراطي يترك للشعب ومن يفوز فله الحكم، ولكن مع ذلك سامح الشيعة قاتليهم في العراق وقد قتل منهم في زمن صدام ما لا يقل عن أربعة ملايين حسب احصائيات مراكز الدراسات، وتنازلوا عن الديمقراطية العددية إلى الديمقراطية التعددية من أجل إعطاء الآخرين أكثر من حصتهم واعتمدوا نظام المحاصصة حتى يمنحوا السنة الذين لا يشكلون ١٠٪ من الشعب العراقي (الشيعة ٧٤ ٪، والأكراد ١٧٪، والديانات الأخرى ١٪، فكم الباقي؟ هذه هي الحقيقة) وقد سلم ٢٠ ٪ من الحكم العراقي للسنة، و٦٠٪ من المراكز المهمة، فكانت النتيجة القتل والتقطيع وذبح الإنسان وشبهه وتقديم الرأس المسلوق لطفل شيعي إلى أهله وقد بلغ عدد المقتولين غدراً بلا سبب

٦٥٠ ألف قتيل، الغالبية العظمى من الشيعة حسب تقديرات الحكومة البريطانية وكان غالب القتل البشع بسلاح حكومي مرخص من قبل من أدخل في العملية السياسية من أهل السنة. وقد رفض مراجع الشيعة الدخول في حرب طائفية، بينما منابر الآخريين تنادي بأن مجرد صعود موظف شيعي إلى الحكم في ظل حكم ديمقراطي هو إعلان الطائفية وإعلان حالة الحرب ويجب قتل هؤلاء بلا شفقة.

إذن، الشيعة لم يتخلوا عن (آل البيت) حسب مفهوم الدكتور أحمد، وقد حافظوا على مر السنين على حكم وحياء إخوانهم أهل السنة مع ظلمهم لهم، ومع ذلك فقد حركت الإدارة الأمريكية وحلف الناتو النوازع الطائفية في المنطقة، فتحول اللبراليون إلى طائفيين ينادون بالقضاء على الشيعة الذين قتلوا أهل السنة كذبًا وزورًا، ويشكلون اشكالات دينية فاسدة يعتقدون أنها دينية صحيحة محرجة للطائفة الشيعية من أجل الاستهزاء بهم والشحن الطائفي والمذهبي، كما يريد الناتو من أجل حل معضلة الأمن الإسرائيلي، بأضعاف العرب والمسلمين بطريقة التحارب البيئي حتى لا تقوم لهم قائمة، ولن يكون لهم إرادة وطنية يستقلون بها.

فما دخل الدكتور أحمد بالشيعة واهتمامهم بأهل البيت؟ ليسخر منهم بعدم منحهم الحكم لآل البيت كما يتصور! وهل قرأ التاريخ والحركات والحكم وأنساب الحاكمين؟ إنها موجة مؤثرة دافعة للعقل الجمعي بركوب بحر الطائفية المظلم. وليس هناك أي سبب آخر ليدخل من يختار الموقع الليبرالي في موجة الصراع الطائفي بطريقة رمي الأحجار من بعيد، وهذا وضع مؤسف للمثقف العربي يبكي عيوننا ويعصر قلوبنا.

فمن سؤال الدكتور يتبيّن أنه أبعد الناس فهما عن فهم الفكر الشيعي وثوابته، كما أنه لا يفهم تاريخ المنطقة ولا تاريخ الشيعة، وهذا واضح جداً من نفس السؤال ومن بعض التعليقات عليه، ومثل هذا المثقف لا ينبغي له أن يدخل في ظلمات البحر الطائفي السياسي المدفوع من قبل الناتو من أجل تفتيت الشعوب الإسلامية على طريقة لويس برنارد لفك الحدود السياسية باتجاه التصارع المذهبي والعراقي ومن ثم إعادة التشكيل على الأرض على أسس التلاؤم الطائفي والمذهبي والعراقي، مع العلم أن هذا المشروع رفضه الشيعة والأمريكان، ولم يرفضه الحكام السنة، وسبب رفض الشيعة أنه مشروع للفتنة الطائفية مع أنه لصالح التشيع تماماً حيث ستتحول الدولة الشيعية المرتقبة إلى قوة عظمى عالمية تمتلك ٤٧٪ من نفط العالم وتحول الشعوب السننية إلى شعوب جائعة لأن النفط والغاز تحت أقدام الشيعة من آذربايجان إلى الخليج ومن بانيان إلى طرطوس، (انظر خارطة التقسيم على أساس مذهبي)، ولكن مع ذلك أجمع رجال الشيعة المخلصون على عدم قبول هذا المشروع مع كونه لصالحهم ١٠٠٪، وقد رفضه الأمريكان لأنه سيكون دولة شيعية عظمى غير قابلة للسيطرة الغربية، وسوف يعرض الأمن الإسرائيلي للخطر وسيعرض المصالح الأمريكية إلى الزوال في المنطقة. فلم يكن الشيعة أغبياء حين رفضوا المشروع ولكنهم مخلصون لأمتهم محبوبون لشعوب المنطقة وحريصون على سلامتهم واستقرارهم.

فهنا على المثقف العربي أن يعيد قراءة الأحداث والتاريخ بتجرد عن الدعايات والأكاذيب، وأن يقرأ الأفكار كذلك من دون دعاوى وأكاذيب ساقطة وجهل وسوء فهم، فقد منحنا الله نعمة العولة ونعمة انفتاح المعرفة وتقارب الثقافات، فلا بد أن نشكره على هذه النعم العظيمة بأن نصحح معلوماتنا، ونتعرف على أخواننا من حيث المشتركات والآمال والطموحات ونسعى لبناء أوطاننا بالمحبة والإخلاص لبناء مجتمع متطور يتسابق

مع العالم في التكنولوجيا والقوة والمال، وليس ذلك بمستحيل، فهذه إيران محاصرة من قبل الدول العربية والغربية، ومحاربة من جميع الجهات تقريباً بحروب سياسية وطائفية ومالية وعسكرية، وقد أقام عليها العالم العربي السني حرباً لثمان سنوات بحجة حماية بوابة الأمويين والعباسيين الشرقية، فإذا بها لا يستطيع أحد اسقاطها مالياً ولا عسكرياً ولا سياسياً، ودخلت أصعب مفاصل التكنولوجيا وصنعت ما هو أفضل من طائرة F18 فخر الصناعة الأمريكية لعقود في سنة ٢٠٠٦ وأما اليوم فلا ندري ما عندها من تطورات وقد سمعنا بتصنيعهم لأنواع من الطائرات الشبحية متعددة الأغراض لا تكشفها الرادارات مثل الطائرة F35 - وهي رائدة في تكنولوجيا الليزر والنانوتكنولوجي ورائدة في الصناعات وقد صدرت بضائع للخارج في هذه السنة إلى نهاية السنة الإيرانية الحالية في منتصف شهر آذار أكثر من سبعين مليار دولار من التجارة غير النفطية واستوردت لكل احتياجات إيران أقل من ٥٠ مليار دولار (لقد صنعت مصانع إيران ٣ مليون سيارة من ١١ مصنعاً).

ألا يثير فينا كعرب، هذا الحال الهمة والعزيمة لنعرف بأننا لا نختلف عنهم ولا عن الكوريين واليابانيين بل الامم الأوربية نفسها، فإذا كان المسلم وهو محاصر بهذا المستوى من القدرة والتحمل للصعاب والتطور والانطلاق للتقدم كالسهم بحيث يقلل فارق التكنولوجيا من ١٠٠ سنة إلى عشر سنوات مع أرقى دول العالم المتقدم، فلم لا تكون كل بلداننا هكذا بدل هذا التقاتل والحوار الطائفي.

ثم لماذا هذا الهجوم على الشيعة والتشيع؟ ومن يدفع لهذا الحال النشاز؟ على أن الشيعة دائماً في موقع دفاع ولا يقبلون بالهجوم مع أنهم يملكون آليات للهجوم الثقافي لا يتخيلها الآخرون، فهل سمعت في الدنيا أن قوماً يُفجّر يومياً عليهم ٢٠ سيارة مفخخة ولا يتكلمون؟ إنه فقط لواء الفتنة وإلا فإن في الشيعة من هم أشجع الشجعان وأنصاف مجانين

إذا تركوا لقلبوا عاليها سافلها وهناك أمثلة على فلتان نصف نهار فقط فحدث ما لم يخطر بالبال أكثر من موضوع هزيمة ١٨ ألف مقاتل خادماً للمشروع الصهيوني على يد ٤٠٠ مقاتل من حزب الله فهذا لا شيء كما نعلم يقيناً، ولكن "كنترول" العقلاء والحكماء ومحبي الاسلام والمسلمين وبلادهم لم يسمحوا بذلك.

وكم يؤلمني ما رأيته في هذا الحوار بين السيد مهدي والدكتور أحمد سده الله حين أرى مثقفاً يكتب باسم رايق في موقع الليبرالية يضع صورة السيد الخامنئي ويكتب على الصورة «طن»، فهل هذه هي الأخلاق؟ وهل هذا هو الحوار الثقافي الذي يرتقي بالأمة؟ هل يصح هذا مع زعيم يقده عشرات الملايين ويحترمه مئات الملايين من المسلمين الشيعة وغيرهم؟ لكن لا عجب فنحن استعدنا تاريخ آكلة القلوب والأكباد ونعيش في ظله معتبرين ذلك فخراً وعزاً لهذه الأمة المجيدة! مع أنني لست تابعاً لإيران ولا مواطناً فيها، ولكن أليس معيباً أن نواجه شخصيات علمية قيادية بهذه الأخلاق باسم الليبرالية؟ ونترك دعاة الفتنة والجريمة والانصياع لإسرائيل بلا نقد، بحجة أننا فاقدون للقدرة عليها؟ إننا في زمن يفقد المثقف احترامه لذاته لمجرد أن يصطف مع دعاة الفتنة.

● ما هي مبادئ التشيع فيما يخص التمسك بآل البيت؟

اسم مذهبنا هو: المذهب الشيعي الإمامي الإثنا عشري.

ما هو تحليل هذه التسمية؟

طبعاً هذا المذهب هو أحد تفسيرات المسلمين للإسلام وهو يستند إلى تفسير الإمام علي عليه السلام في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث كان يؤمن بعصمة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأنه لا ينطق عن الهوى، ووجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وآله

ولا اجتهاد مقابل النص، بخلاف من خالفه في ذلك الوقت من المسلمين الذين كانوا يرون رسول الله صلى الله عليه وآله عبارة عن بريد بين الله والبشر (مبلغ فقط)، وهو يخطئ ويصيب، وتعتريه أمراض نفسية وقد كان لمدة سنة أو ستة شهور يفعل الشيء وهو لا يدري ما يفعل، وكان شتاً يلعن أصحابه فرد الله لعنه رحمة لمن لعنه، فيتبين أن الملعون أفضل من اللاعن، لأن الله ينصره عليه بقلب دعاء الإبعاد من رحمة الله إلى التقريب، وما شابه ذلك من الصورتين المختلفتين بين طرفي التفسير في الصحابة.

فالتشيع هو المتابعة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولعلي بن أبي طالب عليه السلام في تفسيرهم للنص الديني ولظاهرة الوحي وشخصية الرسول وفلسفة الإسلام وتشريعه وتعليماته الأخلاقية والتنظيمية.

الإمامي: معنى الإمامي هو أن هذه الفرقة تقول بعدم جواز ترك المجتمع بلا رئيس ولا نظام، وأنه لا يوجد في خلقة الإنسان ما يمكن أن ينفي الحاجة إلى وجود الإمام للتناصف والتمكين من الطاعة وتطور المجتمع، ودليل ذلك عقلي مبني على قاعدة التحسين والتقييح العقليين وعلى مبدأ العدل، بينما الطرف الآخر يقول أن هذا غير لازم وقاعدة التحسين غير صحيحة والعدل غير لازم على الله، ويقولون لكن النصوص أكدت هذا المعنى، فقالوا بوجود الإمامة «بالنقل وليس بالعقل»، وقد خالف بعض المعتزلة (وهم اثنان فقط كما ينقل) فقال بعدم الحاجة للإمام والحكومة لأن العقل البشري يكفي في تدبر العدالة والتناصف.

والفرق بين الفريقين هو أن الإمامة وبناء الدولة تكون حكماً نوعياً بناءً على الدليل العقلي كما يقول الإمامية، وحكماً شخصياً كما يقول القائلون بالوجوب بالنقل، فيكون

حكم دولة رسول الله صلى الله عليه وآله بناءً على قول الإمامية هو واجب على النبي قبل الشرع، وبه قوام الشرع وهذا حكم مستمر لا يختلف عليه عاقل عندهم، بينما من يقول بالنص فهو حكم مقتصر على النص والمنصوص، لأنه حكم شخصي فهو واجب على الرسول فيما لو صدر إليه أمر ولم يثبت أنه استلم أمراً بتكوين الدولة والمجتمع لهذا تركها سدى ولم يعين نظاماً اسلامياً للحكم عندهم نكراناً للواقع، ويمكن لغيره أن يهدم الدولة فيما إذا لم يقتنع بالنص، لأن النقل يحتاج إلى قناعة بصحة سنده ووضوح متنه فإذا ادعى مدع بعدم حصول ذلك فيمكنه أن يقول لا حاجة لنا للدولة والحكومة ونميل إلى الشيوعية في الملكات والأعراض والدماء بلا ضوابط قانونية، وهكذا يتحول الإسلام إلى مذهب شيوعي إباحي.

ويتفرع من كون هذا الأمر عقلي وعقلاني معاً أن الرسول صلى الله عليه وآله يجب عليه أن يحدد معالم الدولة والنظام أو يوكل من يعين ذلك ويعلم الناس الكيفية، والشريعة يؤمنون بأن الرسول عين ذلك تماماً وبالتفصيل بنصوص صريحة أو خفية للمسلمين، وفهمها المسلمون الأوائل وقال بعضهم لعلي: "بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة". وقد بايعوه بالخلافة، ولكنهم نكثوا اجتهاداً منهم، لعدم البناء على إلهية التعيين النبوي ولا على صحة تصرفات النبي صلى الله عليه وآله، فقد قيل أنه يهجر، حسبنا كتاب الله، بمعنى أننا لا نحتاج من يهذي وعندنا كتاب الله نهتدي به حتى لو كان متشابهاً. والطرف المقابل بعد أكثر من قرن من وفاة الرسول ادعى أن الكلمات صحيحة الصدور من النبي إلا أنها لا يفهم منها تعيينه للخلافة أو تحديد معالم الرئاسة لبناء الدولة، والاجتهاد يقتضي اختيار المسلمين لمن يرونه حتى لو فرض نفسه عليهم بالسيف والظلم، فهذا غير مهم عندهم.

ولأن الدين الاسلامي الصحيح يؤمن بالحرية فلم يقيم الإمام علي عليه السلام بأي معارضة بالقوة، وإنما بالمحاجة والمطالبة فقط، وقد خسر جراء ذلك زوجته بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته بحادثة اعتداء آثمة ماتت من جرائها فلا حول ولا قوة إلا بالله. فسكت الإمام علي عليه السلام ولم يعترض لأن الموضوع متروك لحرية المسلمين وتكليفهم والتزامهم باسلامهم.

المهم أن الشيعة الإمامية الإثنا عشرية يؤمنون بأن الرسول عيّن لنا ابن عمه وأحد عشر من ولده كأئمة مفترضي الطاعة يقودون المجتمع وكل واحد منهم يبيّن ما هو تكليفه وتكليف المؤمنين في وقته. فليست الإمامة عند الشيعة تعني القيادة السياسية فقط بل تعني أخذ الفتوى منهم وطاعتهم الواجبة بموجب النص، وهذا يكفي الشيعة ولا يريدون أكثر من هذا. وكذا أئمتهم لم يطلبوا أكثر من هذا فحتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نبّه المسلمين إلى عدم اهتمامه بالحكم حين طالبوه أن يحكم، وحكم ولم يقتني درهمًا أو دينارًا بعكس من كان أحد أصهاره يملك ٢٠ مليونًا وهو يعد نفسه فقيرًا بالنسبة للصهر الآخر، وهما يعدان فقيران بالنسبة للذي يحمل الذهب بالفؤوس، فأين هذا ممن حكم من بعده، علي عليه السلام؟

وهؤلاء أئمة من أهل البيت، وليس هم عموم أهل البيت، ولا تجب الطاعة إلا لمن عيّنه النبي إمامًا على المسلمين، وفي غيره من أقارب النبي وأهله بالمعنى اللغوي فحكمه سواء، إلا الاحترام من أجل رسول الله صلى الله عليه وآله وكرامة له.

نأتي إلى مفهوم أهل البيت :

أهل البيت لغويًا تشمل الأقارب والزوجات وغيرها، ولكن بعض أهل السنة مثل أنس بن مالك والشافعي وغيره قالوا أن أهل البيت من حرمّ عليه الصدقة، فأخرج الزوجات منه، وهو فهم محترم، وهذا مفهوم لغوي مشوب بالاصطلاحى لأنه ناظر إلى خصوصية أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وهو يريد إخراج الزوجات منه.

لكن هناك كرامة خاصة للنبي وأهل بيته، الذين طهرهم الله من الرجس، واللذين طالما أوصانا بهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي وجوب المودة والمحبة المفروضة من الله بقوله {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}، وهؤلاء حددهم رسول الله بنفسه أنهم علي وفاطمة والحسن والحسين دون سائر أهل بيته كما في حديث الكساء اليماني الصحيح عندنا وعند أهل السنة في بعض طرقه، وحديث المرط الصحيح عند أهل السنة كما في صحيح مسلم، وهذا حكم لا علاقة له بالإمامة، وإنما هو فضيلة وكرامة للنبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، وفيهم أربعة أئمة وهم النبي محمد صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام والإمامين الحسنين عليهما السلام، وأما فاطمة عليها السلام فهي معصومة مفترضة الطاعة والمودة عند الشيعة ولكنها ليست بإمام، والأئمة عندهم إثنا عشر فقط مع النبي صلى الله عليه وآله.

إذن، ليس كل أهل البيت يجب تسليمهم الإمامة الشرعية التي هي من الله، فإن فاطمة الزهراء من أهل الكساء ولا تسلّم الإمامة، فكيف بالبقية.

وأن الشيعة يؤمنون بأن الإمامة الشرعية منصوبة من النبي صلى الله عليه وآله بما لا يقبل الجدل، ولكن شاء الشعب المسلم رفضها فاحترم أهل البيت المخصوصون هذه الإرادة رغم خطئها، ولكن حين استلم الإمام علي عليه السلام الحكم هل احترم أقارب الثلاثة

وخاصتهم إرادة الشعب المسلم؟ أم قاموا بالهجمات على علي حتى قتلوه؟ وبعد ذلك قتلوا ولده الواحد تلو الآخر..

لقد صدر من الدكتور أحمد تساؤل هو أنه لماذا حصرتم أهل البيت بأنتمكم؟

والجواب: إن هذا سؤال غريب، فمن يدرس الحديث سنياً كان أو شيعياً يرى أن رسول الله هو من عين أهل البيت، ونفى نساؤه لا نحن. فإليك حديث المرط، كما عن مسلم في "الجامع الصحيح" (٢ / ٢٨٣) ح / ٢٤٢٤ حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير واللفظ لأبي بكر قال: حدثنا محمد بن بشر، عن زكريا، عن مصعب بن شيبة، عن صفية ابنة شيبة قالت: قالت عائشة: خرج النبي غداً وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً" وعن ابن أبي حاتم في "تفسير القرآن" حدثنا أبي، حدثنا شريح بن يونس أبو الحارث، حدثنا محمد بن يزيد، عن العوام بن حوشب، عن عم له قال: دخلت مع أبي علي عائشة فسألناها عن علي (ع)، فقالت: لقد رأيت رسول الله دعا علياً وفاطمة و حسناً وحسيناً فألقى عليهم ثوباً فقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا" قالت: فدنوت منهم فقلت: يا رسول الله وأنا من أهل بيتك؟ فقال: "فتنحي فإنك على خير" (٩ / ٣١٣١) ح / ١٧٦٧٤

فهنا نص صريح من رسول الله صلى الله عليه وآله أن عائشة ليست منهم وأنه محصور بهؤلاء الخمسة وهو ما ترويه عائشة بنفسها، وهذا الحديث روي بعدة طرق وبعده

نصوص كما هي عاداتهم بالرواية بالمعنى وكلها تدل على حصر أهل البيت بهؤلاء الأربعة مع النبي صلى الله عليه وآله.

وأما بقية الأئمة من أهل البيت فهم أئمة منصوص عليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وأله بأقدم كتاب ألف قبل تأليف أقدم كتاب سني بمائة عام، وهو كتاب سليم بن قيس وغيره من الكتب والروايات المبكرة في بداية الاسلام.

فلو قال الليبرالي السني أنا كسني لا أقبل بهذا، فنقول له انت حر فلا تقبل، ولكن ماذا تريد إذا من طرحك؟ هل تريد منا أن نتابعك ونترك الحجج الشرعية؟ فهذا ليس من حقك أساساً، كما أنه لا يصح ذوقياً أن تفرض على الآخرين ما لا يقتنعون به.

يبقى سؤال يواجه الكثير من المثقفين غير المطلعين على الفكر الشيعي يقول: إذا كنتم حصرتم الأئمة بإثنا عشر إماماً فلو أنهم ماتوا أو غابوا أو منعهم مانع فماذا تفعلون لو تسلمتم مقالات الحكم على سبيل المثال؟

الجواب: إذا كان المجتمع كله يريد تطبيق الإسلام وكانوا كلهم شيعة تقريباً، وكان الإمام المعصوم موجوداً بينهم ظاهراً معلوماً فلا يجوز إلا تسليم الحكم إليه.

وإذا لم يكن الإمام المعصوم موجوداً فيجب على المسلمين المؤمنين حفظ النظام وإقامة الدولة، وبما أنه لا يجوز سلب حرية الأفراد ولا سلطة لأحد على أحد، فينبغي إما أن يقوم الجميع بالمهمة أو يوكل بعضهم بالقيام بحفظ النظام لعدم معقولية أن يتصدى الجميع للقيام بشؤون الدولة، فإذاً يمكن التوكيل بحسب نظام التفويض الشعبي، وقد اشترطوا أن يكون الأفضل والأعلم والأعدل في قومه وبعضهم اشترط أو حذب أن يكون فقيهاً عادلاً عارفاً بأحكام الدين أو من يوكله الفقيه الجامع للشرائط الشرعية.

ثم إن من يكون قائداً وزعيماً فله صلاحيات القيادة. ولكن هنا اختلف فقهاء الشيعة حول هذه الصلاحيات وسعتها، فبعضهم رآها بأنها ليست له شخصياً وإنما عليه أن يعمل على تطبيق القانون وله بعض الصلاحيات الحسبية فهو مطبق وليس صاحب قرار، وهذا يسمى ولاية الفقيه المقيدة، وبعضهم يراها أوسع من ذلك لأن أغلب القرارات السيادية تحتاج إلى صلاحية مثل اتخاذ القرارات الأمنية والاقتصادية وبناء المجتمع، فلا بد من أن يكون القائد هو صاحب قرار وليس مطبقاً لقرار قد يكون له عدة تفاسير، ولا يمكن التطبيق أو أن يلام عليه، بينما إذا منح الحق في اتخاذ القرار فيتحذه بناءً على الصلاحية فلا لوم عليه. وهذا يسمى ولاية الفقيه المطلقة أي قيام الفقيه بصلاحيات كاملة بواجبات بناء المجتمع وحفظ أمنه وحقوقه ونظامه العام والخاص.

وقد رأينا شتائماً عجيبة للشيعة لأنهم يؤمنون بولاية الفقيه العادل الصالح، والخلاف بين الشيعة في حدود الصلاحيات هل هي بتطبيق القانون وفق التفسير المعترف به؟ أم هو بصلاحية ممنوحة مقتبسة من الشرع لتقدير وتعيين الموضوعات لا الأحكام؟ فليس من حق الفقيه التدخل في الأحكام فإن الفقيه عند الشيعة مستكشف للحكم الشرعي، وليس منشئاً للحكم الشرعي كما عند مخالفهم.

وهذا ما يشتمونا عليه بينما هم يقولون بولاية الفاسق الفاجر ولا يجوز مخالفته وإن جلد ظهره، بل يقولون حتى لو تجاهر بالفسق والظلم إلا إذا أظهر كفرًا بواحا، وأن الحاكم حكمه هو حكم الله لأن الله ليس له حكم في الوقائع وإنما يجري حكمه وفق حكم الحاكم، وما شابه ذلك من نظريات تجعل الحاكم الفاجر الظالم الفاسق أرقى رتبة من الله، والعياذ بالله، فهذا مقبول مبلوع عندهم، ولكن أن يقول الشيعة بصلاحيات شرعية تامة للقائد فهذا مستنكر جداً على الشيعة وهو مما يجب أن يعاب ويشتم وينتقد ويبنى عليه

مقولات عجيبة منها: بما أن الشيعة عندهم ولاية الفقيه فيجب قتالهم ونبذهم وطردهم من المجتمع إلى آخر ما نقرأ ونسمع من شتم.

يا عزيزي الدكتور أحمد،

إما أن نكون عقلاء فعلياً ترك هذه الأساليب التي لا تؤدي إلا إلى التأخر بسبب التناحر غير المجدي وغير الموضوعي، أو أننا مجانين نفعل ما يضرنا ويهز صورتنا وإنسانيتنا.

شاكر لك حسن التفهم لما نقول، والحمد لله رب العالمين.

التحليل السياسي

لعلّ من المناسب أن نبين بعض المتعلقات في التحليل السياسي، وكيف يفكر السياسي الحقيقي؟ وليس الإعلامي.

السياسي الممارس يفكر بطريقة غير مفهومة للعامة ولا يصح أن تكشف كل حيثيات تفكيره لأن بعضها لا يصح طرحه للعامة، ولو سألتني عن شكليات تفكير السياسي فسأجيب بسرور:

السياسي له ثلاث مهام أساسية:

الأولى: الإدارة، وهذه المهمة هي غالب ممارسة السياسيين في الشرق الأوسط وهم لا يملكون مؤهلات أخرى تقريباً.

والثانية: هي القانون، وهي في الغالب عند الدكتاتوريين عبارة عن قراراتهم هم وليس عبارة عن دستور ملزم لهم، ولكن على كل حال لا بد للسياسي أن يؤطر نفسه بقالب قانوني.

والثالثة: الاستراتيجية السياسية، وهي تحتاج إلى علوم عسكرية وسياسية واقتصادية وأمنية واجتماعية.

وبتعبير سياسي فإن السياسي يمارس الاستراتيجية والتكتيك والانضباط القانوني ، وهو يحتاج في الاستراتيجية والتكتيك إلى المعلومات وإلى تحليل المعلومات .

ويحتاج في المجال القانوني إلى ضبط ومعرفة القوانين والدساتير ومعرفة صلاحياته وكيف يمارسها بقوة. فالسياسي الحقيقي والتمكن من فنّه لا بد له من الاحاطة بخمسة أو ستة علوم وهي : السياسة والاقتصاد والإدارة والقانون والاجتماع والعلوم العسكرية.

حينما يحتاج السياسي إلى المعلومات يطلبها من عدة جهات متعددة ، وأول الجهات الموثوقة عنده في العصر الحديث هي المخابرات ، وبعدها الاستخبارات الأخرى من عسكرية ومدنية ، وبعدها المعلومات الإدارية من دوائر الدولة والوزارات ، سواء في الداخل أو الخارج من السفارات .

وهو يركز أولاً على المعلومة الصحيحة ومن ثم يركز على كيفية تضليل العامة عن هذه المعلومة ، وبعد أن يحصل على المعلومات الصحيحة أو الأقرب للصحة حسب ما يراها يقوم بتحليل المعلومة بطرق كثيرة جداً .

وأهم شيء عنده استكشاف الحدث المستقبلي ليكون قراراً مناسباً حسب مصالحه ومقتضيات بقائه إذا كان دكتاتوراً ، وحسب مصالح دولته ومؤسساتها الاقتصادية والعسكرية وغيرها إذا كان في حكم غير دكتاتوري .

على سبيل المثال ، إذا بلغه أن العدو زاد من طول مدارج مطاراته مقدار مائة متر فسيعرف أنه اشترى نوعاً من الطائرات تحتاج هذا الطول وسيبحث عن مثل هذه الطائرات ومصادرها وسبب هذه الصفقة؟ هل هو تجاري بحث؟ أم استراتيجي وتحالف عدواني؟

وأهم آليات قراءة الحدث هو تكوين مجموعة كبيرة من المعلومات المترابطة وفق نظريات مركبة بين الإحصاء والاستنباط والتخيل الواسع، وأركز على الخيال فهو أهم وسائل السياسي في التحليل رغم وجود طرق كثيرة تعتمد الجانب الموضوعي بدل الذاتي ولكن السياسي يعتمد على حدسه كثيراً في تقدير الأمور.

السياسي يعتني كثيراً بمبدأ الشك، ويرى أن الشك والاهتمام به خير وسيلة لمحاصرة المعلومات، ويبدأ من الشك في تفسير كل الظواهر التي تواجهه.

ولكن يجب أن نغادر عن عمل السياسي القائد إلى السياسي الممهد وهذا يقوم بأدوار مهمة في جمع المعلومات وتحليلها وتقديمها للقائد، مثل موظفي وزارة الداخلية والخارجية والمخابرات والاستخبارات وموظفي الدولة والوزارات والقصر الرئاسي.

هنا يستخدمون جمع المعلومات وطرق الإحصاء وطرق التحليل المنهجي، وهم بعد القيام بهذه العمليات يقدمون التقارير الجاهزة للقادة، وهنا مقتل السياسي الحقيقي حينما يتحكم به مصدر معلومات غير دقيق أو يعتمد منهج للتحليل غير مناسب.

والمناهج المستخدمة مقسمة إلى:

- مناهج التحليل الإحصائي
- مناهج التحليل الدلالي
- مناهج التحليل العقلي
- مناهج تحليل المكونات الخارجية

وأغلب هذه المناهج معروفة ومدروسة مدرسيا حتى في الثانويات العامة خصوصاً التحليل الإحصائي وتحليل المكونات الخارجية (الفهرسة الموضوعية للأشياء)، والمهم منها ومحل الأخذ والرد هو مناهج التحليلي العقلي والدلالي.

فمناهج التحليل العقلي تطورت منذ فيثاغورس الذي أخذ المنطق والفلسفة عن البابليين قطعاً وقد أثبت «الدكتور طه باقر» ذلك.

ولكن لا يُعلم هل فلسفته منقولة من البابليين نصاً أم قام بتطويرها فهذا يحتاج إلى متخصصين ليبتنوا فيه، ولحد الآن لا يوجد أجوبة جازمة، مما يعني أنه منطقة فراغ في التحقيق.

فيثاغورس اعتمد منهج التحليل الرياضي، وقال أنه حتى معرفة طبيعة الموسيقى تحلل على أساس رياضي (المعاني والأشياء ثابتة وتحلل على أساس جزئياتها رياضياً وفق بديهيات مسبقة).

فتهجم على منهجه هيراقلطس وقال بالمنهج الجدلي (لا يوجد فكرة ثابتة) وأدخل إمكانية تقنين المغالطة.

فرد عليه أرسطو بالمنهج العقلي المتشدد الجامع بين التلقي والمعلومات العقلية القبلية الحاكمة لإنتاج فكر سليم من الخطأ، ولكنه لم يعط أي قيمة لما دون اليقين، فجعل المعرفة الحقيقية محصورة باليقينيات، والباقي لا يسمى علماً، وإنما ظناً لا قيمة له.

فرد عليه علماء الإسلام وقالوا بتطوير المنهج العقلي وقالوا بالعلم الإطمئناني، وإلا فلا يمكن استبعاد العلوم التي لا تتصف بالدرجة العالية من اليقين، وبهذا قد تبطل الأديان والعلوم نفسها لعدم الوثوق بغير القطع اليقيني وهو متعذر في السمعيات والتجريبيات.

وكذلك رد عليه في الغرب ديكرت فقال بأن أساس العلم هو الذات ومنها ينبع اليقين، وليس الخارج. فكيف يعتبر تصورات الذات ليست علماً ولا يمكن أن يؤدي للكشف عن المجهول؟ بل ادعى أن وعي الوجود تابع من الذات أساساً «أنا أفكر إذن أنا موجود».

وهنا جاءت موجة نفي المنهج العقلي، وقالوا إن الإنسان لا يملك منهجاً عقلياً، وإنما تتكون معلوماته نتيجة التراكم الحسي للمعلومات «المنهج التجريبي»، وقد غالى أصحاب المنهج التجريبي في الثقة به، ونفوا أي طريق آخر للمعرفة وقالوا يجب تفحص كل معلومة بالتجربة والدليل الحسي.

فهجم عليهم «أمانويل كانت» قائلاً: أنه لا يمكن فرض معرفة مطلقاً ما لم تستند إلى معلومات قبلية خلقها الله فينا مثل الواحد نصف الإثنين وهي قضايا بديهية لا تحتاج إلى برهان عائداً في نظريته إلى نظرية فيثاغورس البابلية وإلى جزء من نظرية أرسطو معمقاً لها. فحتى التجربة لا يمكن أن تكون مصادق عليها عقلياً ما لم تستند إلى قضايا بديهية قبلية، فإن قضية إرتداد المطاط بالصلب تحتاج إلى مصادقة عقلية للقضية الكلية ولعملية الربط وهي عملية عقلية صرفة وقبلية صرفة.

وفي هذه الأثناء ظهر تطوير مهم من قبل العالم الألماني «أدمونت هوسرل» يجمع بين نظريتي «ديكرت وكانت» فقال: بوجود جانبيين للمعرفة الأول موضوعي يفرضه الظاهر الخارجي والثاني ذاتي يحلل وفق منهج مقنن في ذات الإنسان. وقد اعترض عليه تلميذه

«هيدغر» قائلاً أن نظرية هوسرل لا تخرج عن عالم الذهن كما هو حال ديكرت فهي ترجع إلى الجانب الذاتي في النتيجة مهما أقرت الجانب الموضوعي لأن الجانب الذاتي هو الحاكم، وهذا يعني أن القيمة الحقيقية للمعرفة هي قيمة ذاتية، وأنه لا يوجد في الخارج قيمة حقيقية للحقائق، فلماذا اقترح أن يقسم المعرفة إلى تحليل دلالي وتحليل وجودي «داخل الإنسان .. وخارج الإنسان» من أجل الرجوع إلى الواقع بقيمة الفن والجمال الذي لا يمكن أن يفسره منهج هوسرل.

وقد ظهر عنصر جديد هو عنصر حركة الحداثة، حيث تقول هذه الحركة أن الفكر هو معالجة المعلومات في العقل وهو مبني على أساس اللغة والدلالة، وأن العقل ليس صفحة بيضاء وإنما هو وعاء مليء يفسر أي شيء يدخله بطريقته الخاصة وحسب سوابقه المعرفية (المعرفة الخلفية – Background).

لهذا، فإن أي نص أو دلالة خارجية ستفسر وفق مشتبهات المتلقي فقط وليس وفق واقعها، وهذا هو أساس البنيوية الداخلية لعقل الإنسان. وقد استفاد من هذه النظرية كل الفاشلين الذين يريدون نفي أفكار الآخرين بهذه الحجة، وهم الآن تيار كبير باسم التيار الحداثوي ولكن في الحقيقة لا يملكون منهجاً يمكنه أن يفسر الأحداث بطريقة سليمة.

وقد اتجهت دراسات تفسير الدين والسياسة على هذا الأساس، وقد تم البناء على الفهم الداخلي للمتلقي عن الديمقراطية والدكتاتورية والإدارة والدين والنص الدستوري والديني..، وهنا مشكلة المشاكل حيث يقول هذا الاتجاه أن النصوص الدستورية تتطور وفق مفاهيمنا، فتفقد فهمها الذي أراده واضع الدستور وتصبح حسب مقرراتنا «موت المتكلم»

وقد تم تطبيق ذلك على الدين أيضاً، وهو ما يعني مثلاً أن الربا ليس حسب ما يريد المشرع وإنما حسب فهمنا منه وكذا العلاقات الزوجية والعلاقات السياسية وغير ذلك.

وهنا ظهر الرياضي البريطاني «برنت راند راسل» في بدايات القرن العشرين، وأيد المنطق الأرسطي وحاول تصحيح معطياته، وقال بأن التعويض للمجهول الذي لا يوفره الواقع ولا توفره الذات يمكن أن يكون رياضياً باستخدام المعادلات الإحصائية مثل معادلات الاحتمالات لنفي قيمة الاحتمال المضاد.

فيتولد لدينا علم ذو قيمة شبه مطلقة من استقراء ناقص أو تحليل يعتمد على حصر المدركات في اتجاهات محدودة ويكون الحكم وفقها.

وهذا المنهج جمع بين طرق الاستقراء وبين الاستنباط ولم يلتفت لمنهج «هوسرل» في التفريق بين الذاتي والموضوعي والذي يمكن أن يحل مشكلة الاتجاه الموضوعي الصرف عند «راسل».

والمنهج الأخير - منهج راسل - هو أكثر المناهج استخداماً في التحليل المعرفي الحديث في المجال العلمي والسياسي والاقتصادي، المستخدم في تحليل المعلومات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، وقد تعتمد بعض المؤسسات السياسية مناهج قديمة مكتفين بالحدس الشخصي لتحليل البيانات بطريقة خوارزمية ألفا / بيتا (استبعاد الاحتمال غير المنتج في البحث).

لكن في عالم السياسة هناك تشويش متعمد على المنهج التحليلي، يجعل المحلل غير قادر على تحديد المعلومة الصحيحة. ولهذا يمشي دائماً بعكس الاتجاه ولا يصل إلى ما يريد ولا يعرف لماذا؟ وهذا التشويش يقع بعدة أشكال منها توليف قاعدة لها وجه من

الصحة ولكنها تعمم وتكون قضية كلية في أي منهج للتحليل، ومنها توريد منهج يغالي في الثقة بالمظنونات ويعتمد عليها فيصل إلى نتائج غير واقعية دائماً، وهذا مشكلة أغلب مخبرات العالم، ومنها اعتماد المنهج الظاهري بمراقبة ظاهر الأحداث فيقع المحلل بخدعة الظاهر المشكّل عن عمد، والذي هو خلاف الواقع، مثلاً تحرك عسكري في الشمال بينما هو يريد الهجوم في الجنوب، فمثل هذه الخدع لا يمكن للمنهج الظاهري اعتبارها خدعة، وإنما هي ظاهر يجب البناء عليه، وهذا أحد مشاكل المذهب الظاهراتي لهورسل.

وعلى كل فهناك الكثير من المشاكل التي ترافق التحليل غير مشكلة المعلومات الكاذبة أو الخاطئة التي يتعمد السياسي تسويقها باعتبارها العنصر الأساسي في التغطية على ما يهدف إليه من تحرك يريد أن ينال به الفوز.

وسأوضح المشكلة بمثال معروف عالمياً.

هناك تسريبات لنظريات مشكلة قد دار حولها النقاش كثيراً مثل «نظرية المؤامرة»، قد أطرت الفكر السياسي لمجموعات كبيرة من الحركات السياسية.

لماذا هذه النظرية مشكلة؟ وما هو موقعها من التحليل؟

إنها ليست منهج تحليل وإنما هي نظرية «تقولب» الأحداث، ولكنها أصبحت قالباً حاكماً على منهج التحليل السياسي عند الحركات التحريرية وعند بعض الحكام، وهي مشكلة لأنها قد حرفت الحقيقة ودمرت التحليل الحقيقي عند الشعوب الإسلامية، وحكمت على المنطقة بعدم فهم الأحداث بشكل حقيقي.

فهي بنفسها مؤامرة كبيرة على المجتمع العربي والإسلامي ، وقد كانت أساس التحليل السياسي عند الأحزاب العلمانية كالحزب الشيوعي والبعثي والاشتراكي في كل العالم العربي وهي أساس التفكير السياسي عند حزب الإخوان المسلمين وعند حزب التحرير وعند حزب الدعوة وهي أساس التفكير عند مخابرات جمال عبد الناصر والمخابرات العراقية والسورية وغيرها.

لماذا هذه النظرية؟ ومن روجها؟ ولماذا أصبحت حاکمة على مناهج التحليل السياسي في المنطقة العربية؟

هذه النظرية روجها الفرنسيون في أوائل القرن العشرين ونشرها الإنجليز للاستفادة منها ثم تركزت على يد الأمريكان بعد الحرب العالمية الثانية.

ويقصد منها حرف بوصلة التهديد لمعرفة الأحداث ومسارها، فالتفكير بأن هناك صراعاً دولياً وأنت واقع ضمن الصراع الدولي وأن تصرفات منافسك المحلي هي جزء من المؤامرة الدولية وأنه موجّه شخصياً ضدك من المخابرات الدولية، يجعلك تفقد البوصلة بشكل تام، ولا تعرف كيف تفكر ولا كيف تهدف؟ ولهذا شاع في المجتمع العربي نسبة جميع سيئات المجرمين المحليين إلى الاستعمار.

فترى العراقي ينسب كل السيئات إلى الإنجليز وترى الجزائري ينسب كل السيئات إلى الفرنسيين. إنها تغذية متمعدة للتفكير الخاطئ، القصد منها التربية على فقد بوصلة التهديد ولا يريد منك المستعمر أن تثق فيه وتعاديه بتهديف صحيح وإنما أن تعاديه بتهديف خاطئ حتى أصبح الشخص لا يعرف عدوه الحقيقي، ولا كيف تسير الأحداث؟ وقد يستفيد من هذه الحالة العدو الداخلي حين يرى عدوه لا يفهم حركاته بشكل حقيقي،

وهذا الحال قد تطور بشكل كبير في بعض البلدان، فبالرغم من أن تحليل الحكومة العراقية مثلاً للأحداث مبني على نظرية المؤامرة ولهذا لم يستطع أن يفهم «صدام» ما يجري حوله بشكل جيد وخسر المعركة السياسية قبل أن يخسر المعركة العسكرية باعتباره سائراً نحو وهم لا صحة له في كل ما قام به من قرارات وردود أفعال بحيث تم توجيهه وفق الوهم وأنتج هزيمة له ولعسكر كبير في العالم.

فالقضية كلها عبارة عن تمرير قاعدة خطيرة تشل تفكير الشعوب وتفكير السياسيين لتضييع الهدف الحقيقي الذي هو تشخيص العدو الحقيقي.

فلهذا السبب تأخرت الحكومة العراقية في حل الأزمة المفتعلة، لأنها لا تملك منهجاً يخلصها من طوق القضية القائلة بالمؤامرة، ولم تعتمد الحكومة العراقية مبدأ التشخيص وفق المصالح الوطنية، وتحليل إرادة الآخرين وفق مصالحهم أيضاً، وليس وفق نظريات وهمية كنظرية المؤامرة التي تبرئ المجرم وتتهم الهواة.

وهذا الحال نفسه الآن في مصر وفي فلسطين وفي كثير من دول العالم الواقعة تحت إرهاب القوى الخفية والتي لا يمكن معرفتها لأن الناس يفكرون بنظرية مؤامرة دولية وقعت عليهم وتنسب الأعمال الإجرامية لتلك الجهات المجهولة.

إن أغلب الصراعات الوطنية الحاصلة في دول الشرق الأوسط والتي تفرّق المواطنين، بل تفرّق البيت الواحد، مبنية على أطر معرفية كاذبة وعلى منهج تحليل لربط الوهميات وقبول الوهم كحقيقة.

بمعلومات لا يمكن تصديقها فضلاً عن إقامة الدليل عليها، وهي التي تبني وتؤسس الصراع، وفيها خلط متعمد بين السياسة والدين والمجتمع وفعل الإنسان الناقص بما لا رابط بينهما.

فقد أضافت القوى الخفية إلى نظرية المؤامرة نظرية الشحن الطائفي وتفسير كل التحركات السياسية على أساس أن الطائفة التي تطالب بحقتها في العيش والكرامة تريد قتل الطوائف الأخرى، أي أن معنى كرامتها أن تموت الطوائف الأخرى «الشحن الطائفي في الجزائر ومصر ولبنان والسعودية والعراق وباكستان وتركيا...». وقد يثار جميع سيئات التاريخ وأكاذيبه لإقناع الرعايا بالنهج الطائفي في أي توجه وطني، وهذا إطار معرفي يحدد منهجاً سطحياً مبنياً على الأوهام والأكاذيب لتأليف تصورات من أجل تغيير جهة العداوة في الشرق الأوسط فلا تكون إسرائيل والكيان الغاصب هو العدو، وإنما الشيعة مثلاً هم العدو... لماذا؟

لأنهم لا يؤمنون بحق أبي بكر وعمر في إزاحة علي بن أبي طالب من الخلافة - فما علاقة هذا بذاك؟ - ولهذا يجب أن لا نكره إسرائيل ونكره الشيعة، ويقال للمسيحيين كذلك ضد المسلمين. إن هذا المنطق انتبه له ككتاب ومفكرين عرب سنة وشيعة ومسيحيون ودروز وغيرهم من الطوائف الدينية في المنطقة، وهو معروف المصدر ولكنه انتشر انتشار النار في الهشيم، والناشر مخبرات الدول الداعرة^(١).

^(١) كتبت هذه المقالة في بدايات عام ٢٠٠٩م.

حدثنا من نثق به، أن أحد العقلاء دخل إلى غرفة بالتوك وآرام منهمكين في الصراع المذهبي والتشاتم، فطلب التكلم فسمح له: فقال إن العدو الحقيقي هو إسرائيل، فلماذا ننسى عدونا وننهش ببعضنا؟

فأغلق عليه الأدمن، وقال له أخرج فإنك خالفت قوانين الغرفة. يعني أن قوانينها تنص على أن لا ينتبه أحد للعدو الحقيقي الغاصب، وأن يكون العدو هو أخوك في الدين وفي الوطن، ويجب نهشه وتحريكه لينهشك، ولو فكر العرب والمسلمون في هذا فقط لكفروا بكل مناهج تفكيرهم الفاشلة.

هذه كوارث حقيقية نتيجة تلاعب بالمناهج التحليلية وبالمعلومات، ولولا المنهج السطحي ومنهج اعتماد الموهومات والأكاذيب لما وصل المجتمع العربي لهذا الموقع المتخلف، ولما تم فك الطوق عن إسرائيل.

إن إسرائيل في هذا الطرف الحالي نتيجة هذا الصراع المفتعل، المبني على منهج تحليلي متخلف هي في أشد حالاتها أمناً، وقد تكفل العالم السني بفك الطوق عنها، وبإبعاد أي خطر يقع عليها من جانب السنة أو الشيعة أو المسيحيين الغاضبين من إسرائيل، لأن السني أو المسيحي الذي يناهض إسرائيل سيتهم بالتشيع ومائلته حتى لو كان سلفياً تكفيرياً للنخاع كحركة حماس. فإن هذا المنهج كفيل بوضع التشيع في موضع العدو الأول والأخطر من إسرائيل المسكينة الواقعة تحت مقصلة الجلاذ الشيوعي الحماسي السلفي المكفر للشيعة المتأسف على وصول الشيعة للحكم في العراق الذي يجب قتلهم وإرسال الجهاديين إليهم كما تشير بياناتهم وندواتهم، وها نحن أمام تركيبة غريبة جداً.

فالعالم العربي أصبح في حالة عدم تمييز المعاني بما يقارب وضع البهائم، بحيث يمكن أن يفرق الكلب بين العدو والصديق بمختلف حواسه وتفكيره، ولكن الإنسان العربي والمسلم لا يمكن أن يفرق بين العدو والصديق، لأنه يمتلك منهجاً للتحليل يعتمد الأكاذيب مصدرًا والتوهم منهجاً للمعرفة اليقينية التي يبني عليها قتل نفسها والآخريين، فبمجرد أن تصله معلومة أن هذا المسلم من جماعة الأمريكان أو الشيعة فسيقدم جسده هدية لإسرائيل لينتقم من هذا المسلم فوراً، بناءً على هذه المعلومة الكاذبة، وهو لا يدري أن حقيقة الصراع في المنطقة هو بين شيعة إيران وبين أمريكا. وأن إسرائيل تتصيد بالماء العكر، وهذا ما يقتضيه منهج الاستنباط والاستقراء الصحيح.

أرجو أن أكون قد بينت بشكل إجمالي طرق المناهج التحليلية، وبينت مشكلة التلاعب بالمنهج التحليلي ووقوع أغلب المنطقة في براثن هذا التلاعب، وقد بينت مشكلتين فقط من عدة مشاكل منهجية موجودة فعلياً في المجتمعات والحركات السياسية العربية والإسلامية.

الجيوپولتيكا

قلنا أن هناك قواعد وأفكار تؤطر مناهج التحليل وهي ليست منهجاً تحليلياً، وقد بينا قضيتين الأولى تسويق نظرية المؤامرة التي هي واقع ولكن جعلها إطاراً لمنهج التحليل السياسي عملية خطيرة وتكون بنفسها مؤامرة على المحلل الذي لا يستطيع بواسطتها الوصول إلى الحقيقة.

والثانية هي تسويق الخلاف الطائفي على أساس أنه الإطار الحقيقي للقضية السياسية وهذا من الخدع الخبيثة التي يقع فيها بسطاء الناس من أجل تلبية حاجة وشهوات القادة المتكئين من سوق الناس نحو حتفهم من أجل مصلحة الحاكم.

اليوم نبحث في قضية أخرى لها أهمية خاصة لا تشبه القضيتين السابقتين، وهي مبدأ «الجيوپولتيكا».

أولاً: ما المقصود بالجيوپولتيكا؟

الكلمة منحوتة من كلمتين هما الجغرافيا وهي معروفة والثانية هي البولتيكا أي السياسة. المقصود فيها هو السياسة على أساس الجغرافيا، أو أهمية الجغرافيا في توجيه نظر السياسي من جهة المصالح والأخطار التي يراها ويحللها.

والسياسيون اليوم يعتبرون هذا الفن من أسرارهم، وبه يقسمون المناطق والخرائط العالمية إلى مناطق مهمة ومناطق غير مهمة، ومناطق ساخنة ومناطق غير ساخنة، تبعاً لعلاقة هذه

المناطق بالموارد المادية أو كونها طرقاً للتمويل أو كونها مصدرًا بشرياً أو من مصادر الطاقة أو كونها ذات تضاريس خطيرة على بلد القائد كأن يكون فيها جبل مسيطر على مدنه أو قواه أو تحتوي على مسطحات مائية خطيرة يمكن استغلالها.

ثانياً: هذا الفن ليس جديداً بالرغم من أن المصطلح جديد تماماً، وأول من استخدمه هو السويدي «رودولف كلين» المتوفي سنة ١٩٤٠م وعرفها عللاً أنها البيئة الطبيعية للدولة، ولكن الألماني «كارل هوسهوفر» - أبو الجيوبولتيكا الألمانية - عرفها: «دراسة علاقات الأرض ذات المغزى السياسي حيث ترسم مظاهر الأرض الإطار الذي تتحرك فيه الأحداث السياسية». وهذا التعريف أكثر تفرغاً وقرباً من الفهم المدرسي لمصطلح الجيوبولتيكا، والمدرسة الحديثة الآن تتجه لاعتبار الترابط بين الجغرافيا والإنسان والسياسة.

ففي الرقم البابلية كانت تتحدث عن أهمية مواقع كالوارد المائية والبشرية وأهمية بعض الجبال وإلى خطورة الصحراء وانقطاع الطرق فيها نتيجة توفر قطاع الطرق كما هو الصحراء غرب بابل كما ورد في الرقم البابلية فقد ورد في رقم «سرجون الأكدي» شكواه من انقطاع الإمدادات غرب نهر الفرات في الصحراء الغربية وأهمية السيطرة على هذه المنطقة.

وبتطور البحث والنظر في المصالح وفهرستها تبين وجود قسم خاص من المعلومات يتعلق بالعلاقة الخطيرة بين الجغرافيا وبين السياسة.

والصيحة المتعالية عند السياسيين والعسكريين على برامج الخرائط في الإنترنت مثل الشكوى المقامة ضد برنامج «جوجل إيرث» تعبر عن مدى خشية القادة من تمكين عموم الناس من معرفة قراءة الخرائط بطريقة سياسية، ولهذا فإن السياسي الذي لا يعرف قراءة

الخرائط بطريقة سياسية لا يعرف شيئاً في علم السياسة ولا يستطيع أن يحدد مصلحة أو يشخص خطراً داهماً عليه.

لقد نقل لي من أثق به بأن الفاضل الكاتب في شبكة هجر المعروف بمعرف «بهلول الكوفي» سأل المعارضة العراقية في الثمانينات في محفل من علية القوم عن مواقع المدن العراقية في الخريطة ومعانيها فلم يجد جواباً ثم طلب منهم رسم خارطة العراق فلم يستطيعوا ذلك، فقال لهم كلمة حكيمية: «القادة الذين لا يعرفون خارطتهم لا يعرفهم مصالحتهم ومفاسدهم».

وعلى كل حال تكون المناطق على الخارطة مهمة جيوبولتيكيا إذا اتصفت بما يلي:

- ١- إذا كانت محل نفوذ البلد أو أعداءه.
- ٢- إذا كانت عقدة مواصلات أو طرق إمداد البلد أو أعداءه.
- ٣- إذا كانت موطن الموارد الاقتصادية بكل أنواعها (الخامات، الزراعة، السكن، الصناعة، الشكل الحضاري .. إلخ) للبلد أو أعداءه.
- ٤- إذا كانت تشكل عائقاً عسكرياً للبلد أو أعداءه.
- ٥- إذا كانت مورداً مائياً للبلد أو أعداءه.
- ٦- إذا كانت تجمعاً صناعياً أو بنية تحتية للبلد أو أعداءه.
- ٧- إذا كانت تجمعاً عسكرياً أو بنية تحتية عسكرية للبلد أو أعداءه.

٨- إذا كانت منطقة عازلة أو تتصف بالخطورة على البلد أو أعدائه.

ومن أهم موارد النظر في السياسة العالمية الحديثة هو مواقع النفوذ فهذه هي التي تحدد قوة الدولة وقوة انتشارها وقدرتها على تحقيق أهدافها.

ولهذا فإن الأمم الراقية تحاول أن تخترق الآفاق وتبعد في نفوذها عن حدودها إلى أبعد ما تستطيع حتى لو خرجت إلى الفضاء الذي لا يرجى منه خيراً عائداً إليها من حيث السيطرة.

ومن يعرف الخرائط وقراءتها سياسياً يمكنه أن يفسر أشياء تبدو غامضة جداً، فمثلاً نحن كسياسيين نقول أنه من السهل غزو العراق وفلسطين وسوريا ولكن من الصعب غزو إيران وتركيا ولبنان، فهذه أمور قد لا تبدو متناسقة وقد لا تبدو واقعية، ولكن بالفعل فإن إسرائيل محطمة أنوف العرب ومذلتهم لم تستطع أن تغزو لبنان غزواً ناجحاً حتى بعد أن سيطرت على أغلب أراضيه، وهو بلد صغير جداً، وخرجت منه هاربة وحين أرادت أن تستعير نظرية الجيوبولتيكا لهتلر الذي اخترع الرايخ الثالث الذي هو العازل بين خطوط التماس بشريط أمني غير مكلف اكتشفت أن هذا أيضاً لا يمكن في جنوب لبنان، هذا الأمر الذي جعل من شيعة الكوفة يحسبونهم فهاجروا إليه أيام الحكم الأموي بالرغم من قرب شريط جبل عامل على العاصمة الأموية إلا أنه أكثر أمناً من كل العراق تجاه الهجمات الأموية وفعلاً ثبت هذا ولم يفهمه الإسرائيليون كما فهمه أهل الكوفة أنصار علي عليه السلام منذ أربعة عشر قرناً.

ولنفس السر الجيوبولتيكي يقال أنه لا يمكن الهجوم على إيران لاحتلالها ولم ينجح ذلك في التاريخ العالمي إلا ثلاث مرات فقط خلال عشرة آلاف سنة، والظرف الذي نجحت

فيه تلك الهجمات غير متوفر ولهذا فليس من الممكن إطلاقاً احتلال إيران بينما يمكن احتلال دول الخليج بسرعة مسير الدبابات، وهذا يرجع إلى أسباب جيوبولتيكية معروفة.

وعليه فإن كل قائد لا يعرف مكانته الجيوبولتيكية ويتنمر على الآخرين وهو في موقف ضعيف جيوبولتيكاً فإنه يقترب من الجنون في تحدياته، ولهذا فإن مصير «صدام» وبعض الجبابرة الذين لم يعرفوا قدر خارطتهم العملية هو الهلاك والدمار، فالعراق مثلاً احتل أكثر من تسعين مرة على مدى عشرة آلاف عام، وفي القرن العشرين فقط وقع تحت احتلال العثمانيين والبريطانيين والانقلابيين البعثيين والأمريكيين في الفترة التي توقف فيها الاحتلال أو كاد. وكلها احتلالات ناجحة ولم يكن إخراج المحتل بطريقة محلية وإنما بطريقة خارجية أيضاً على أن احتلال الانقلابيين لا يمكن اعتباره محلياً رغم أنه بأيد محلية لأنه موجه خارجياً، والانقلابيون قاموا باحتلال العراق عدة مرات «رشيد عالي الجيلاني، عبد الكريم قاسم، البعثيون، عبد السلام وأخيه، البعثيون مرة أخرى أحمد البكر و«صدام» وهي موجهة على التوالي من «الألمان النازيين ومن ثم البريطانيين ومن الأمريكان ثم البريطانيين ثم البريطانيين ثم الأمريكان». فمن لا يعرف هذه الحقيقة وهذه القابلية العجيبة للوقوع في الاحتلال فهو لا يستطيع أن يمسك بزمام البلد، وعليه فإن كل بلد له خاصيته في الحكم نتيجة القابلية الجيوبولتيكية.

إسرائيل أكثر دولة هشة جيوبولتيكياً بحيث يمكن تدميرها بسهولة جداً ولكن ذكاء بعض قادتها جعلهم يفكرون بوضع حراس رخيصين وهم الحكام العرب والشعوب العربية الغبية التي تحكمهم الدعايات ومناهج السطحية في التحليل من أجل حماية إسرائيل وحفظها، لأن إسرائيل لو قصدتها أي قوة مكافئة لإسرائيل عسكرياً تريد القضاء عليها فلا تحتاج أكثر من عشرة أيام وتكون إسرائيل في خبر كان لسر جيوبولتيكي وهذا ما يراهن

عليه الإيرانيون فيما لو نشبت المعركة بينهم وبين إسرائيل، ولهذا يعتبرون الحلف بينهم وبين سوريا ولبنان اختراقاً حقيقياً للحاجز الأمني العربي الحامي لإسرائيل، وأما من جهة إسرائيل فهي تدرك هذا الوضع لهذا سعت لامتلاك أقوى ترسانة عسكرية تجعل من الصعب على أي قوة أن تكافئها، ولكن مشكلتها الآن هو العراق بعد التطورات الأخيرة وبعد تركيز الامكانيات الهائلة التي تستطيع ردم الفجوة بينه وبين إسرائيل خلال عشر سنوات لوجود عنصر جيوبولتيكي وهو عنصر الإنسان القادر على التخيل وعلى الإنجاز والذي كان في زمن الحرمان ينجز ما يمكن اعتباره معجزة فكيف في زمن بسط اليد.

والعراق فيه ميزة وهو تعريق الغزاة، وهذا أحد أهم طرق التكيف مع الغزو الذي تدرّب عليه العراقي وأصبح في جينته الوراثي، حتى المغول عرقهم العراق. فهو لا يهتم لغزوه ولن يتأثر في الحقيقة، وإنما سيؤثر فيمن يغزوه، أو يريد التأثير فيهم ولو بطريقة عكسية. وقد لاحظ بعض الأمريكيان على أنفسهم أنهم تعرقوا أكثر من العراقيين، وقد بنوا سياسياتهم في أمريكا على أساس عراقيتهم، وهذا أمر مهم وهو سر يعرفه أرقى حكماء العراق، ومن يقرأ مذكرات «بريمر» يتلمس ذلك بشدة.

ولكن هل الجيوبولتيكا علم خال من النقائص؟

مشكلة الجيوبولتيكا أنه تتوقع حول الفكر القومي والإقليمي وجعل من الانتماء للإقليم والقومية عنصراً أساسياً للتحرك السياسي والعسكري. ولهذا فقد ازدهر هذا العلم السياسي في فترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها ليوجه الروح القومية الذاتية عند القادة والعسكريين ويساعدهم في خططهم وفي تفرغ حقدهم بشكل منهجي، وقد تلبس بهذا العلم

أشد المجرمين في العالم العربي فتكاً بالمجتمع العربي للبناء على أساس الجيوبولتيكا
لتدمير الشعب العربي من الداخل بحجة الحب الشديد للعروبة والعرب.

الإرهاب المتسنى

... لماذا بمجرد أن يستلم السني المتدين السلاح يتحول إلى وحش كاسر يقتل الأطفال والنساء وكل شيء حتى يحرق الأشجار ويخرب المياه ولو وقع بيده أن يخرب السماء والأرض لفعل؟ لماذا هذا؟ هل هناك خلل في التعليم الديني؟ أم الخلل في أصل المذهب؟ فما أن يتعمق فيه أصحابه إلا ويرون فيه هذا الاتجاه!

إن الموضوع لا يتعلق بالشيعة.

فإن السلاح السني في الجزائر كان يقتل الأسر السنية وهي نائمة، على الطريقة الإسرائيلية، وحينما سئلوا قالوا بأننا نقتل الترس لأن الحكومة الجزائرية الكافرة تتمترس بالشعب! وقد قتل في أفغانستان من السنة خمسة أضعاف ما قتل من الشيعة وما انتفاضة أهل السنة ضد البعثيين والقاعدة في الأنبار وتكريت إلا لأنهم ائخنوا بقتل إخوانهم لهم فتحولوا إلى الصحوات لقتل إخوانهم القاتلين بشكل وحشي أيضاً، وكله بذريعة قتل الترس.

فهل يجوز قتل الترس عند هؤلاء؟ وهل الشعب ترس للظالم؟ أم الظالم يستعبد

الشعب؟

وفي الحولة السورية ثبت أن القتلى بعضهم أطفال سنة قتلهم لمجرد اتهام الشيعة بهم، فهل يجوز في الفكر السني قتل الأطفال السنة حتى تلتصق التهمة بالشيعة حتى يحولوا سوريا إلى نصير لإسرائيل كما قرر المجلس الاسطنبولي؟

هل في عقيدة أهل السنة أن قتل المسلم مباح كالماء؟ فلماذا كلما مسك المتدين السني السلاح تحول إلى قاتل لكل شيء بلا ضوابط أصلاً، حتى جنوده وأتباعه فإن مصيرهم الإعدام لمجرد الشك فيهم أو لمجرد ترددهم في ارتكاب جريمة أخرى فقد شعر التابع بالشيعة من الجرائم فيجب أن يقتل لأنه شعر بالشيعة من القتل.

والأمثلة على مر التاريخ منذ إحراق دار فاطمة صلوات الله عليها وكسر ضلعها وموتها متأثرة بالكسر، وقتل الجن لسعد بن عباد،، والصلاة مع مالك بن نويرة ثم ذبحه وهو نائم من قبل ضيوفه الكرام! والنزو بزوجته في عدتها لجمالها الخارق، إلى الذبح بالجملة وذبح الحسين ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وأتباعه الفقهاء، وذبح أهل الحرة وذبح أهل العراق والمذابح مستمرة حتى كانت سجونهم الإنسانية جدران عالية تحت الشمس ولهيبها والبرد وقارصته بدون سقف لأسباب إنسانية تتعلق بالرحمة الأموية الزائدة!. وحين تحول العباسيون إلى سنة إزداد الذبح والتفنن به حتى تم البناء على السادة الأشراف من أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله في الجدران ووئدوا أحياء وأحرق المسلمون وقتلوا وشردوا من ديارهم وأحرقت المكتبات ودمرت المدارس لمجرد شك أو كراهية السني المتدين.

فما هذا الفكر حقيقة؟

هل صحيح أن القرآن كله نسخت رحمته وهدايته بآية السيف كما يقول الفكر السني؟
وأن الدين تحول إلى دين الذبح والإجرام لتحقيق أتفه المطالب بل لتحقيق الأكاذيب، كما
هو حال مطالبتهم بوقفية حرم الإمامين العسكريين عليها سلام الله وصلواته.

يجب أن يدرس العالم كله هذا الفكر وهذه العقيدة العجيبة التي تحول المعتقد به على
الحقيقة إلى وحش كاسر يفوق السباع فإن الوحوش لا تأكل أصحابها بينما هذه الوحوش
تأكل أبنائها لأن أمهم، الفكر، أكلت أبنائها.

وهل فتاوى ابن تيمية بتسميم المياه وقتل الترس وحرق الأعداء وافتخاره ببناء فتحة
المغارة التي دخل فيها عشرة آلاف رافضي فارين من جرائمه وقتلهم داخل المغارة كل هذه
جاءت عن فراغ فكري؟ أم هو الفكر السني؟ وقد كان الرجل جريئاً فأظهره ليعلم الناس أن
هؤلاء الفقهاء البسطاء يستغلون الأمة بحقائق مذهبها.

إنها دعوة للتحقيق في عقائد وجذور هذا الإرهاب الوحشي الذي لا يبرره إلا اليهود في
ديانتهم ضد غيرهم، بينما هؤلاء يبررونه ضد أبنائهم أيضاً، فقد فاقوا اليهود في هذا
الانحراف الإنساني.

خطر الحركات التكفيرية

إن معرفة علاقة الحركات التكفيرية مع الأمريكان هل هي تخادم؟ أم خدمة مسيِّرة (عمالة)؟ أمر عسير في واقعه وهناك صورتان يمكن الإيمان بهما معاً لأن التصريحات والمعلومات متضادة ومتوفرة.

فالأدلة تدعم الأمرين.

إلا أن ما أراه شخصياً: أنها خدمة موجهة بالنسبة للدول الإقليمية «إسرائيل - تركيا - السعودية - قطر - الإمارات - البحرين - البعث العراقي الطائفي»، وهي متخادمة مع أمريكا لأن الكثير مما تقوم به هذه الحركات تنفع الأمريكان في إحداث تغييرات وفي الإمساك بأوراق مهمة.

ولكن بالفعل إن هذه الحركات في كثير من الاحيان تغدر بالأمريكان، والأمريكيون يغدرون بها أيضاً، وهذا يعني التخادم وليس التوظيف المباشر.

المشكلة الأمريكية هي أن الهيمنة التي تبتغيها تحتاج إلى الكثير من الجهود والمال، وليس في استخدام هؤلاء واستثمار تحركاتهم أي خسارة تذكر وهي تفعل ما لا تفعله الجيوش الأمريكية من تدمير المنطقة العربية والإسلامية، فلماذا لا تستفيد منها حتى لو كانت صناعة إسرائيلية أو سعودية أو تركية أو بعثية عراقية.

ومن يدرس القرار الأمريكي يجد فصاماً غريباً.

فإن نفس الذين يدفعون دولتهم لاستخدام هؤلاء والاستفادة من ملكاتهم المدهشة، نراهم يكرهون هذا التصرف ويحتقرونه في مجالسهم الخاصة ويصرحون بالتفكير بضربة انتقامية منهم، ولكن حين تحين الضربة نجد الكثير من العوائق إلى درجة عدم القدرة على التأثير الحقيقي فينتقل الأمر إلى المبالغات في المعالجة والآن الفعل الإعلامي المشوش.

فأنت حاولت أن تختصر مسار الحركات التكفيرية الإسلامية بما يلي: (الهوس الشديد) باعادة (الخلافة الاسلامية) ومواجهة (خطر الروافض).

في الحقيقة فإن هذا هو إعلانهم، ولكن إذا نظرت بإمعان تجدهم يشكلون الخطر على العالم السني أكثر، فإن أكثر بلائهم هو ضد أهل السنة بل قل كله إلا النزر اليسير، فجرائمهم تصطدم بحاجز القوة الشيعية على أرض الواقع الشيعي، ولكن إعلانهم هو ضد الشيعة لتضليل أهل السنة حتى لا يشعروا بأن التهديد الحقيقي لهم وأنهم هم خراف الذبح لهؤلاء؛ فهم يطالبون بحقوق أهل السنة ويذبحونهم ذبح النعاج، ويطالبون بذبح الشيعة ويتجنبوهم إلا في حالات بسيطة وخاصة محدودة بأبسط جرد لتحركاتهم.

وهذا يعني الكثير من الناحية العملية والفكرية.

إن المشغل الأساس لهم يعرف بأن قابلياتهم محدودة جداً بالنسبة للشيعة وأن الشيعة يستطيعون مواجهتهم بحرفية شديدة، فلهذا لا يريد إلا الصياح منهم وهذا الصياح هدفه أمران، الأول: هو إقناع شباب سني فاقد للهوية ولا يدري حقيقة هؤلاء وأنهم أعدى أعداء التسنن لإنخراطه في هذا المسلك، فمن هذا الصياح ينقاد الكثير من الشباب المغفل، والثاني: هو إخفاء حقيقة ما يدبر هؤلاء من محاولة تجميد أو تحييد العالم السني في الصراع مع الغرب، أو قل الصراع مع الصهيونية. فإنهم ينظرون إلى هذا التحييد كحالة

مهمة مريحة تخرج معسكراً كاملاً عن ساحة المعركة، ويبقى التفرغ للمعركة مع الشيعة لأنهم أصحاب مبدأ لا يتنازلون عنه. ثم إن الجسد السني هو الأكبر في العالم الإسلامي وهو المالك للقرار في أغلب العالم الإسلامي، وتدمير هذا الجسد هو تدمير لأغلب القوة الإسلامية ولن يكون التدمير في الغالب إلا من الداخل خصوصاً في زمن قوى ودول متماسكة أمنياً واقتصادياً وسياسياً حيث أنه بدون التهديم من الداخل يصعب كسر هذه القوة، وهذا هو الهدف الأساس من تكوين ودعم الحركات التكفيرية فإن الدول الاستعمارية لا تثق حتى بالحكام التابعين لهم فهم يرون بأن هؤلاء يمكن أن يزولوا على يد شعوبهم ويتم القرار الوطني وتتآلف قوى المسلمين لتشكيل مناعة منهم وهذا غير مطلوب إطلاقاً.

ولعل الباحث حينما شخص قابليات هذه الحركات التكفيرية في ايجابياتها بالنسبة للمعسكر المعادي للإسلام كان تشخيصاً صحيحاً وإن كان يحتاج إلى بعض القيود ليكون أدق.

فقوله:

- القابليات:
- طبيعة الحركات التكفيرية وعدائيتها للجميع وسهولة توجيهها في أي اتجاه
- قابلية الحركات التكفيرية للسيطرة والتوجيه
- التشرذم الفكري والقيادي
- ضعف الوقاية الأمنية وسهولة الإختراق
- فقدانها للتمويل من قبل دولة اسلامية مستقلة

يمكن أن يطور على الشكل التالي:

- القابليات :
- طبيعة الحركات التكفيرية وعدائيتها للجميع وسهولة توجيهها في أي اتجاه بما فيها الاتجاه الداخلي لها (أي باتجاه تدمير نفس القوى التكفيرية) لأنها لا تملك هوية محددة.
- قابلية الحركات التكفيرية للسيطرة والتوجيه الخارجي (حيث يمكن صنع قيادات توصف بالتقديس الآني الذي يسمح لها بتبرير كل عمل مهما كان ضد ذات المجتمع المنطلق منه)
- التشرذم الفكري والقيادي (لعدم وجود ثوابت حقيقية وإنما الثوابت عندهم هو ما يقره القائلون آنيًا، ولعدم جود المرجعية الدينية والفكرية)
- ضعف الوقاية الأمنية وسهولة الاختراق تبعًا للتشرذم الفكري والقيادي
- فقدانها للتمويل من قبل دولة إسلامية مستقلة (أي مستقلة عن القرار الغربي)

(المعادي)

إن هذه القابليات للحركات التكفيرية تعتبر مثالية للاستفادة منها وتوظيفها لمشتبهيات القوى المعادية.

إن أهم قضية يجب أن تدرس هو أن عقيدة هذه الحركات الحقيقية هي تابعة لحركة شيطانية تجيز أي شيء ولا تقف عند حد معين أبدًا. فليس لديها أي خطوط حمراء للتجاوز على النظم الانسانية وليس لديها أي خط أحمر للتجاوز على الإسلام نفسه، فإن هذه الحركات منحدره من فكر يستطيع تحويل القرآن إلى كتاب ضلال يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف بطريقة بسيطة جدًا وهي طريقة التلقين الغبي والتأويل غير المنضبط فما يجب

فيه التأييل لا يجوز عندهم التأييل وما لا يجوز فيه التأييل يؤول فوراً فينقلب الحق باطلاً
والباطل حقاً.

وهذا هو حال القرآن للأسف في مرحلة التفسير عند الفكر الذي ينحدر منه الفكر التكفيري
الإرهابي والتكفير يستند إلى نصوص قرآنية مؤولة بطريقة غير منضبطة بحيث تصبح ضد
الإسلام نفسه بدون أي موانع وحصانة للإسلام من هكذا ممارسة.

ظاهرة زيارة الأربعين

انتهينا أمس من مراسم زيارة الحسين عليه السلام في الأربعينية المباركة^(١)، وقد وجدت أنه آن الأوان لبحث هذه التجربة الروحية النورانية.

لعلّي واكبت زيارة الأربعين منذ أكثر من خمسين سنة، ولهذه الزيارة التي حرص الكثير من أهل العرفان في النجف على أن تبقى مشياً على الأقدام لأهمية ذلك نصوصياً وروحياً ونورانياً وهم ثلة ليست بالكبيرة، فقد كان من سلفنا الصالح الشيخ علي القمي وشيخ مشايخنا الشيخ ملا حسين قلي الهمداني ومن بعدهم وصل الدور إلى مجموعة السيد علي القاضي ومن ثم تلاميذه وغيرهم الكثير المتنوع من أرباب السلوك والمعرفة الصافية يحرصون على أداء زيارة الأربعين مشياً على الأقدام في وقت ظهور السيارات ووسائل النقل الحديثة في عهدهم ومن بعدهم من تلاميذهم، وقد عرفنا من شيوخنا أن هؤلاء كانوا يواظبون عليها رغم تقدم سنهم وعدم وجود أي مصدر للراحة، وفي خمسينيات القرن العشرين تشكلت مواكب سميت بمواكب «الكسبة» بفتح الكاف نسبة لكسب القوت بالمتاجرات في الأسواق، ثم تطورت لمواكب الأطراف، وغير ذلك وكان كل موكب يحمل معه الزاد والراحلة على عربات تجرها الدواب أو سيارات تحمل العدة ولكن العربات كانت أفضل لأنها تواكب المسيرة مشياً على الأقدام وهي تمد المشيين بالماء والزاد وكان طريق النجف كربلاء يقطع في أربعة أيام بانتظام مع أن بعض المشاة يقطعها بأقل من ١٨ ساعة كما حصل بالتجربة.

^(١) كتبت هذه المقالة في ديسمبر / ٢٠١٤ م

وكان أعداد الزوار في الخمسينات بالمئات بسبب جذب السيارات أغلب الزائرين للحسين عليه السلام لما توفره من راحة واختصار في الزمن، وقد تطورت وأصبحت بالآلاف من أهل النجف وفي السبعينات أصبحت الأعداد بعشرات الألوف، لكون المشي للحسين عليه السلام على الأقدام تجربة نفسية وروحية كبيرة اكتشفها كل من جربها وبشّر بها بحيث بعث الرغبة بمحيطة فازدادت الأعداد باطراد. ومع نهاية الستينات بدأت مدن أخرى مثل الكوفة والهندية والمشخاب وغيرها تنظم بأفراد ثم بمواكب صغيرة لهذه المسيرة، حتى وصلنا إلى أواسط السبعينات فكان قرار الحكومة العراقية الهجوم على الشعائر الحسينية فكان أول الأمر منع ثلاثة ظواهر وهي التطبير وعزاء المشاعر ومسيرة المشي إلى كربلاء في الأربعينية.

سنة ١٩٧٦ كانت الفاصل بمنع المسيرة وتحدي النجفيين للحكومة وخروجهم للزيارة ومن ثم توجيه التهديدات للناس ومضايقتهم، وفي سنة ١٩٧٧ حدث أمر أكثر خطورة حينما أبلغ أهل النجف بشكل رسمي بأن زيارة الأربعين ممنوعة كلياً فقرر أهل النجف بكل أصنافهم من رجال الدين إلى أبسط الحرفيين والعمال فكان قراراً شاملاً لا يمكن التراجع عنه بأداء الزيارة مشياً على الأقدام وإقامة العزاء على طول الطريق، فقام النظام بالهجوم بالدبابات والمدرعات وصادف أن كانت الطائرات في جولات تدريبية فاعتبرت مشاركة في الهجوم على العزاء أيضاً - وقد قيل أن إرسالها كان متعمداً لضرب المسيرة ولكن أحد الطيارين من أصدقائنا نقل لنا أمراً مختلفاً تماماً - وهذا المستوى من الهجوم بالجيش والشرطة والمدرعات والتحليق بالطائرات العسكرية من نوع ميغ، وأخرى من نوع الطائرات السمتية والمرسلة للهجوم الفعلي، يعتبر هجوماً عسكرياً على الجيوش وليس على عزاء حسيني مستمر منذ أكثر من ألف سنة وقد تطور ليصبح عدده بعشرات الألوف من المحبين

للحسين عليه السلام وكان البذل والعطاء في تلك السنة مميّزًا ومضاعفًا ومتسمًا بروح التضحية والتحدي، وقد حدث أن تم إلقاء القبض على الآلاف من المؤمنين وقد تم إخلاء الكثير منهم في الطريق وقد زج بالسجون عدة مئات وحكم على بعضهم بالإعدام وآخرين بالسجن.

وفي هذا الموقع هناك شرح لحادثة انتفاضة الأربعينية لا بأس به

<http://alkafeel.net/fourty/ext/index.php?id=11>

ولكن يبدو لي أن كاتب المقال لم يكن مع القيادات ولم يعرف الأسرار التي وقعت خصوصاً موضوع اعتقال السيد محمد باقر الحكيم رحمه الله وقضايا أخرى فإنني أعرف أشياء كثيرة جداً عن المعدومين ولماذا اختارت الحكومة إعدام التسعة؟ فإن اثنان منهم لم يكن بسبب التحضير للمسيرة، وهم «السيد وهاب الطلقاني» الذي اتهم بحزب الدعوة والحقيقة أن عنده أكبر موكب للشباب النجفيين، و«صاحب أبو كلل» لسبب كونه قام بنشر أهازيج فيها تعريض بأحمد حسن البكر وعفلق وصدام وغيرهم من القيادات البعثية العراقية الطائفية، والبقية كانوا يحضرون لمدة طويلة مع العشرات بل المئات من أهل النجف الأشرف لهذه المسيرة وكيفية الخروج بطريقة لا تتمكن الحكومة من منع الناس فريدياً للرحيل إلى كربلاء. وقد كنت في وسط أغلب الأعمال التحضيرية للانتفاضة وكنت شاهداً لبطولة الأبطال، وشاهداً على سرقة من سرق تلك البطولات من النفعيين والوصوليين، وعرفت من كان رأس الحربة بالفعل ومن كان هامشياً وقد أخذ يروي الروايات الغربية وهو ليس له علاقة بالموضوع، وعلى كل حال، بعيداً عن هذه السلبيات البسيطة فإن أغلب أهل النجف الأشرف شارك بروح فدائية، وهنا أقول كلمة مهمة وهي أن هذه الانتفاضة كانت هي الشرارة الأولى للثورة الإسلامية الإيرانية وكانت الثورات

الشعبية في العراق أسبق من بقية الثورات بالفعل، وأظنني تحدثت في مرة في موضوع التحليلات فشرحت بداية نشوء الثورة الإيرانية بعد أن كانت شبه هادئة، وباختصار فإن ما جرى من إرهاب واعتداء على الزائرين لكربلاء جعل المرحوم السيد الخميني رضوان الله عليه يكتب رسالة شديدة اللهجة إلى أحمد حسن البكر مما حدا بالبكر أن يفتح الشاه بالتخلص من السيد الخميني فتحركت مخابرات الشاه بغطاء المخابرات العراقية للتحرش أو القضاء على الخميني وقد دُسَّ السم له في مداس مُهدى له، ولكنه وقع عن طريق الخطأ باستعمال المرحوم المقدس السيد مصطفى الخميني زين الشبان والعلماء رضوان الله عليه فقتله خلال ست ساعات تقريباً، ومن خلال إقامة العزاء على روح السيد مصطفى الخميني في شوارع مدن إيران بدأت الشرارة الحقيقية وانتصرت الثورة على الشاه.

فكان تأثير انتفاضة الأربعينية أكبر بكثير من محور النجف - كربلاء، فقد امتد لتغيير الكثير من الواقع في الساحتين الإسلامية والدولية لما وصلنا إليه اليوم، مع الأخذ بنظر الاعتبار بأن الكثير من المشاركين في انتفاضة الأربعينية كان لهم مساهمات كبرى في ما جرى في إيران وفي لبنان وفي العراق وفي دول الخليج كل بحسب قواعد اللعبة حسب الواقع الذي فرض نفسه وكان أقل ما حدث هو نشر الوعي بين الشيعة في أغلب الأماكن الشيعية، ولعلَّ هذه المعلومات غير معلومة إلا لخاصة الخاصة.

المهم أن هذه الحادثة الإرهابية من قبل الحكم الطائفي لم تنهى عن مسيرة المشي إلى الحسين عليه السلام في الأربعينية رغم أحكام الإعدام وأحكام السجن المؤبد وغيرها من أنواع الأحكام القاسية على الزائرين للحسين عليه السلام مشياً، بل قد نشأ مشروع زيارة فردي فدائي متخفي توسع ليشمل الكثير من المؤمنين من مختلف المدن العراقية بما تخطى حدود مدينة النجف وما حولها.

وقد ازداد العدد المتحدي حتى وصل إلى أعداد كبيرة لم نستطع حصرها ولكن قطعاً وصل إلى الآلاف ممن سار بين البساتين معرضين أرواحهم للموت في حب رسول الله صلى الله عليه وآله وحب أهل بيته عليهم السلام، وقيل أن بعض علماء الدين أشاروا لأتباعهم بالتوجه للزيارة مشياً رغم المخاطر الكبرى ورغم إعدام الكثير من الشبان الماشين للزيارة بتهم ملفقة عليهم وكان السيد الخوئي والشيخ بشير حسين النجفي والسيد محمد الصدر والسيد محمد سعيد الحكيم أكثر من ذكر في ترغيب الناس بالمشي لزيارة الحسين عليه السلام، بينما نفس الزيارة بوسائط النقل وصل في أواخر التسعينات في زمن صدام إلى عدة ملايين زائر من العراقيين.

وبعد سقوط صدام بدأت مسيرة الأربعين بأعداد مهولة - مئات الألوف - فور سقوط صدام وكانت زيارة الأربعين قريبة جداً من بداية السقوط، فنشأت ظاهرة أربكت القوات الأمريكية وقد حاولت تفسير هذه الظاهرة باندهاش حيث امتلأت الشوارع بالمؤدية إلى كربلاء بالمشاة، وقد علمنا بأن هناك دراسات كثيرة قامت بها مراكز أبحاث غربية كما قامت الصحافة الغربية بتحقيقات حول هذه الزيارة، فإننا في كل سنة من سنة ٢٠٠٣ إلى هذا اليوم نشاهد عشرات قنوات الإعلام ومراكز التحقيق بالصورة والصوت، وما ينشر مما نشاهده من مقابلات هو أقل بكثير مما ينشر، فإن هذه الظاهرة لازالت عندهم موضوع دراسة عميقة لفهم الكثير من جوانب هذه الظاهرة.

وهنا يبدو لي سؤال مهم جداً:

هل هذه الظاهرة لا تستحق منا دراسات دينية وسياسية واجتماعية وإستراتيجية؟

وهنا يجب بيان أمور كثيرة رافقت هذه الظاهرة.

إن الحزب الذي استلم الحكم منذ سنة ٢٠٠٥ إلى يومنا هذا هو حزب الدعوة المتسنن بلباس شيوعي، وهذا الحزب جعل من الحكومة محارباً لهذه الظاهرة بطريقة خفية ولكنها شرسة جداً. فقد حارب الإعلام العراقي هذه الظاهرة بشراسة حتى سمي المشي إلى الحسين بالمشية الغيبية وقد عنونها أنها ظاهرة مدمرة للاقتصاد العراقي، وكان عدم التعاون سمة عامة وكان العراق يمنع الزوار من غير العراقيين لولا ضغوط المرجع الشيخ بشير النجفي لما سمح وزير الداخلية جواد البولاني بدخول الزوار من الخليج، فقد قام المرجع بكفالة الزوار بنفسه عند الوزارة وبدأ الأمر بخمسة آلاف حتى وصل العام الماضي إلى ١٨٠ ألف من السعودية فقط ومجموع الزوار الخليجين وصل إلى مئات الألوف، وكذا زوار من بقية العالم، ومع ذلك فإنه رغم فتح رئيس الوزراء خلال السنين الثلاث الماضية الحدود بلا فيزا للزوار، ولكن هذا الأمر كان يؤخّر من قبل عدنان الأسدي وكيل الوزير المتحكم بوزارة الداخلية من قبل حزب الدعوة إلى قرب الزيارة بشكل خطير جداً وبشكل مؤذ للزوار، وكان أخطر محاربة لهذه الظاهرة هي قطع الطرقات بعد تفجيرات مشبوهة من قبل الإرهابيين التكفريين قبيل الزيارة، حيث تقوم الحكومة بقطع الطرقات ومنع السيارات وجعل الناس مرغمين بما فيهم المرضى يمضون عشرات الكيلومترات في الدخول لكربلاء وفي الخروج يمضون أبعد من ذلك بحيث يكون الإنسان المتعب من سفر حوالي ٥٠٠ كيلو متر مشياً في وقت قياسي لناس مدنيين لا يعتادون المشي مسافة كيلومترات فكيف بمئات الكيلومترات ثم يجدون أنفسهم مرغمين للمشي خمسين كيلومتراً أو عشرين كيلومتراً ليصل الإنسان للسيارات التي تبدأ رحلة مرحلية من أجل الوصول إلى مقره، فهذا يعتبر حرب سرية خطيرة لمن يجازف بنفسه وبدنه ليعبر عن ولاءه للحسين عليه السلام حيث يتعرض الإنسان للتعب وللإحراج وقلة الكرامة نتيجة فعل الدولة وليس نتيجة فعل الشعب العراقي السخي والوفي مع زوار الحسين صلوات الله عليه. وهناك الكثير من السلبيات التي كانت

تقوم بها الحكومة تشكل مظهرًا من مظاهر المحاربة الخفية لهذه الظاهرة، ولا أريد تعدادها فهي كثيرة جدًا وأغلبها مقصود، وليس لقصور من الدولة فإن القصور تعذر عليه الدولة بينما التقصير أو التعمد هو مصدر الملامة والنقد، وأهم ما تعانيه الدولة هو سيطرة حزب لا إسلامي باسم الإسلام لا يدرك أهمية هذه الظاهرة الكبرى عالميًا، ويمتلك أجندة خفية ضد هذه الظاهرة عسى أن يقضي عليها، فهنا مقود الدولة بيد من لا يريد هذه الظاهرة ولا يتفهمها ولا يقدر هذه الظاهرة بل هو حزب يرى هذه الظاهرة مشبوهة وغير مهمة ويجب الحد منها أو إنهائها، وهذا أمر أساء للدولة العراقية المسكينة.

غير أن الكثير من الواعين الشيعة يأملون من حزب الدعوة بقيادة حيدر العبادي رئيس الحكومة أن يغيّر موقفه من كثير من المواقف والمسائل والمواضيع، لأن ذلك من مصلحته المستقبلية فإن الأسنان قد حُدت على هذا الحزب، فبعد طرد نوري المالكي شر طردة ووصول أنباء للقيادات الدينية الكبرى أنه جهز مجموعة من مجموعة العمل لتقوم بعملية إسقاط حكومة العبادي بواسطة توريط أقرباء الوزراء والسياسيين ومدراء مكاتبهم بملفات فساد وجرائم وكشفها من أجل إسقاط الحكومة، ليعود المالكي ليمارس عداؤه للتشيع بشكل مكثف، فإن الثورة التي تحت الرماد ستكون أكثر خطرًا على كل حزب الدعوة ما دام هو أداة لتنفيذ أجندة أجنبية عدوة خطيرة يقودها المالكي. فإن هذا التوجه يعني أولاً اضطراب المرجعية لكشف ما يقوم به المالكي أمام الجمهور العراقي والدعوة لثورة لا تقل أهمية عن الثورة ضد الشاه أو ضد صدام وحسب تقديري ومعرفتي فإن من الغباء أن يعتقد أي سياسي أنه يستطيع إدارة الأزمات بأزمات مختلفة بالكذب والتزوير فإن سكوت المرجعية الدينية ينتهي مع وصول العراق إلى حافة الفشل فإن ذلك زمن الانفجار، وسيكون في المرة القادمة أكبر بكثير مما جرى لحد الآن.

إن الأمل بتحسين وضع العراق كدولة وتحسين أداء الحكومة بتقليل السلبات المختلفة المختلفة الاتجاهات كل حسب أهمية ومن ثم تقليل الحرب السرية على الشئائر الحسينية وعلى زيارة الحسين عليه السلام مشياً وتسهيل معاناة الناس، يجعل الشعب والقيادات سعيدة بأداء الحكومة رغم الصعوبات المختلفة التي تواجهها.

فليس لنا عداء مع حزب معين سواءً كان إسلامياً أو بعيداً عن الإسلام فليس لنا دخل فيه وهذا خيار الشعب، وإنما هناك سلوك مدمر وكذب منظم يهدد العراق ويهدد الشيعة بالذات.

وهنا يجب أن نلتفت إلى جانب آخر من جوانب المسيرة الحسينية الأربعينية يحتاج إلى رؤية مكبرة (فوكس رؤية ثاقبة) أكبر وأشمل، وهو مساهمة الشعب في دعم المسيرة الحسينية.

إن العراقيين أثبتوا أنهم أهل لكل احترام من خلال قدرتهم على استقبال الملايين من الزائرين وتأمين المأوى والمأكل بل حتى في الجانب الصحي والأمني والخدمات العامة إلى حد بعيد بجهود ذاتية بعيداً عن الدولة ومساعدتها الحقيقية، ولعلي أثنى على شعب محافظة الحلة أكثر مما أثنى على شعب محافظة النجف والسبب هو أن الضغط الشعبي للزائرين على الحلة قد يزيد على الضغط الشعبي للزائرين على النجف سواء من حيث عدد الزائرين فهو في الحلة لعله ضعف العدد في النجف وسواء من حيث عدد المواكب والحسينيات المستعدة فإن في النجف ضعف ما في الحلة فيكون الضغط أكبر بكثير على الحلة كما أن جميع المناطق يجب أن تذكر بالخير والتنويه فإن البصرة قامت بدور كبير وكذا الناصرية وكذا العمارة وكذا بقية المحافظات ولعل إقامة سفرة مستمرة بطول ١٥

كيلومتراً في العمارة تعبير عن التنظيم وعن تواصل المراكب هذه المسافة تواصلًا مستمرًا بينما في طريق النجف أقيمت نفس السفرة بما يقال أنه ١٧ كيلو مترا بين كربلاء والنجف (وأنا أشك بهذا الطول وقد كنت شاهداً) بينما القدرة الفعلية هي إقامة سفرة مستمرة ٨٠ كيلو متراً بين النجف وكربلاء باستثناء الشوارع الفرعية التي لا يراد قطعها أمام السيارات حتى لا يتعذب الزوار، لأن الحسينيات والمراكب متواصلة كلياً بين النجف وكربلاء خصوصاً في طرف محافظة النجف وعلى هذا يمكن إقامة سفرة من السماوة إلى النجف ممتدة باستمرار.

إن عدد الزوار الإيرانيين عدد مهول هذه السنة وقد قاربت الأرقام عدة ملايين زائر دخل من إيران وليس لنا أي قدرة على التحقق من أي رقم، وكان التواجد الإيراني لافتاً جداً لعدد الزائرين الإيرانيين المشاة بين النجف وكربلاء، وقد قيل أن أكثر من مليون ونصف مليون إنسان مر في شارع «يا حسين» المخصص للمشاة بين النجف وكربلاء، وهذا العدد مع العراقيين والجنسيات الأخرى، مع أن حجم قدرة استيعاب الطريق هو بحدود ٥٠٠ ألف زائر خصوصاً بالنسبة للمنام، بينما تم توفير القدرة الإضافية التي صنعها رواد المراكب الحسينية لاستيعاب هذه الأعداد المضافة التي تفوق القدرة الاستيعابية التصميمية. إذن، هناك عبقرية وإيثار لاستقبال زوار أكثر من ضعف القدرة التي تمتلكها، وقد لمسنا بصورة واضحة توسيع حجم الاستيعاب بسرعة كبيرة، وهذا موضوع يحتاج الكثير من الأبحاث والمشاركة الفكرية لإيجاد الحلول الأفضل.

إن التبرع العراقي شعباً، وليس حكومة، بمبالغ وجهود تبرعية لاستقبال الملايين خلال فترة لا تقل عن خمسة عشر يوماً يعتبر موضوعاً مهماً عالمياً وفكرياً حيث أن هذا الاندفاع للعمل التطوعي والسخاء المالي موضوع بحث اجتماعي وسياسي وفكري لهذه المدة الكبيرة للعمل التطوعي البالغة بحدود ١٥ يوماً، إذا لم نقل أنه شهر كامل من أول صفر إلى آخره

خصوصاً بالنسبة لمدينة النجف الأشرف لأن بعد زيارة الأربعين بثمانية أيام هناك زيارة شهادة النبي صلى الله عليه وآله في النجف وهي زيارة محلية يصل إلى النجف فيها بحدود ثلاثة ملايين زائر خلال يومين فيستمر العمل التطوعي من أول يوم في صفر إلى آخر يوم في صفر تقريباً لأن الفترة بين الأربعين وبين شهادة النبي صلى الله عليه وآله في ٢٨ صفر هي أيام عمل لتفكيك الحسينيات في الطريق خارج النجف للمتوضع في أماكن أخرى، مع رصد مبالغ أخرى غير الجهود التبرعية البدنية أو المؤسساتية.

إذن، ما يتعلق بالدعم اللوجستي لا بد من إجراء أبحاث خاصة بنا كشعبة لتطوير هذا الدعم ليكون أكثر قدرة على الاستيعاب، فإن المستقبل لنا ويجب أن نحسب حسابات أكبر بكثير مما واجهه طريق «يا حسين» من ضغط، وان كنت أميل لما يميل له أغلب المشتغلين في الطريق بأن معجزة إلهية هي التي تدير الأمر ولكن لا بد من إجراء أبحاث لتحريك الإبداع.

وكذا في كون هذا الموسم هو موسم ثقافي كبير بل هو الموسم الثقافي الأكبر في العالم، فكيف نستفيد منه لصالح الحسين وأهل بيته عليهم السلام وهذا بنفسه يستوعب مئات الأبحاث بل قل الآلاف من الأبحاث ولو على أساس بحث الوضع الثقافي في كل حسينية وهي أكثر من ١٢ ألف حسينية.

وهناك ظاهرة انتشار النشالين الذين ينشلون الزوار التي لوحظت أخيراً بسرقة بعض الموبايلات، وهذا الأمر يحتاج إلى أبحاث كثيرة ليقرب بين قدرات الناس وقدرات القانون ليضع حداً لهذه الظاهرة التي بدأت تكبر رغم أنها أقل بكثير من أن تكون مهمة أو ظاهرة شائعة بل هي لحد الآن قريبة من الصفر إحصائياً، ولكن يجب أن نقلق من تنامي هذه

الظاهرة من العدم إلى حالات بالعشرات على الطريق المليء بملايين البشر، واقتراحي هو تفعيل قانون أن كل عملية نشل هي تكرار للفعل الجرمي حتى يقدم المجرم لأقصى وأقصى العقوبات لأنه يشكل اختراقاً أمنياً لسييل مليوني من المسالين الذي يشكّل أي اختراق لهم خطراً على أرواح الآلاف من البشر فلا بد من القسوة القانونية، وهذا يحتاج إلى دراسات وصيحات وحوار ثقافي وأمني للبحث عن سلامة وأمان الزائر حتى لا يتعرض الزوار لما يتعرض له حجاج بيت الله الحرام من عمليات النشل المنظمة.

وهناك جانب مهم جداً يجب أن يُبحث بحذر وقوة، وهو موضوع استقلال القرار الحسيني وتجريده عن السياسة والحركات السياسية، ففي هذه السنة كان هناك ظاهرة ذات مؤشر خطير جداً وهي ظاهرة تعليق الصور وتمزيق الصور، لجهات لا يمكن أن تفرض نفسها على المواكب الحسينية بهذا الشكل، فإن ذلك من الأعمال الحزبية والحركات السياسية التي تسيء لكل الجهود والجهاد والتضحيات المبذولة في طريق الحسين عليه السلام، وهذا موضوع يستحق الكثير من التفكير والدراسات بحيث تكون نفس الدراسات تحذيراً حقيقياً للحركات السياسية ورصد لفعالها بدقة حتى لا تتجاوز الخطوط الحمراء بتحويل هذه الظاهرة العظيمة إلى مركب لتلك الحركات وتكون مصدراً للصراع الفاشل المفضل المذهب لريحنا وعلينا جميعاً أن نجنب هذه الظاهرة أفعال بعض الراغبين بالتسلق لدى القيادات الحزبية العليا بإقناعهم بأنهم استطاعوا الكسب من خلال هذه الظاهرة العظيمة، ليس فقط من أجل عدم السماح للحركات الشيعية فإن السماح بالحركات السياسية في نفس المسيرة سيفتح الباب للاختراق الأجنبي وللأعداء لتحويل هذه الظاهرة إلى نكال علينا فعلينا أن نكون جميعاً - دينيين وسياسيين واجتماعيين - أكثر وعياً ودقة في فهم الأمور فإن من يقبل لنفسه أن يستغل هذه الظاهرة حزبياً فعلياً أن يقبل استغلال كل أنواع المخابرات

والحركات السياسية، ولكن إذا بقي الأمر محصوراً بالعقيدة والولاء فماذا ستنتفع الحركات المخبرانية العالمية مثلاً؟ فهل تريد أن تؤيد الحركة الحسينية؟ إنها تريد تخريب ديننا وولائنا، فإذا كان حتى اندساسهم لا يؤدي إلا إلى تقوية الحركة الحسينية فهل هم مجانيين ليجندوا ويصرفوا المبالغ الطائلة والنتيجة لا شيء إطلاقاً بينما إذا سمحنا للحركات السياسية الحزبية فقد دخل الريح تحت جلدنا وأصبحنا بالوناً قابلاً للطيران إلى حيث لا رجعة ولا هدى. إن هذا الموضوع حسّاس ودقيق جداً حسب نظري القاصر، وفي هذه السنة بدأت حرب الصور فماذا سيحدث في السنين المقبلة؟

المشروع كبير جداً لأنه يتعلق بأكبر تجمع بشري عقائدي سلمي يجسد سلوك الحب والوئام الاجتماعي والنفسي حيث تقل الجريمة، بحيث يقال أن الزوار هذه السنة تجاوز حاجز ٢٠ مليون زائر حسب تقرير الحكومة. وهذا يعني أن هذه الظاهرة يجب أن تدرس من جوانب كثيرة مثل علم الاجتماع وطبيعة المجتمعات التي تساهم وتشارك، وكيف أصبح شيعة الصين وشيعة روسيا وشيعة أمريكا والسويد وأستراليا وغيرها من جميع العالم يمشون سوياً في طريق الحسين عليه السلام، فإنني قد علمت أن موكباً واحداً أقيم في مركز إسلامي كبير داخل النجف أحصى ستين جنسية للزائرين فيه، تأوي للمنام والأكل، وكان عدد الوجبات الغذائية في هذا المركز داخل مدينة النجف ١٤٠٠٠ (أربعة عشر ألف وجبة غذائية في كل وقت من أوقات الغذاء) ولعل داخل مدينة كربلاء أكثر من هذه الأعداد ومن يؤم المرقد الشريف يتجاوز هذا العدد من الجنسيات وهذا العدد من الوجبات في بعض المراكز المخصصة لاستقبال الزائرين رغم أن هذه الأرقام فلكية بكل معنى الكلمة.

فالذي يجب أن ينتبه له الباحثون أن مساهماتهم مهما كانت بسيطة أو صغيرة فهي مفيدة جداً، وقد لمست أهمية جلسات المراجعة والتقويم للأخطاء والنواقص في الكثير من

الحسينيات المنتشرة في النجف والتي يتجاوز عددها الكلي أكثر من ستة آلاف حسينية كما قيل إلا أن قسماً قليلاً منها يمارس عملية إعادة النظر وتقويم الأخطاء والنواقص فكانت هذه الحسينيات تنمو بالكيف أكثر من غيرها رغم أن بعض الحسينيات تنمو بالكم ولكنها لا تقدم راحة ولا خدمة مقبولة بحدها الأدنى مثل موضوع راحة الزائر والتقليل من تعبته ومعاناته أو القدرة على توفير الطعام المقبول له، فقد شهدت في هذه السنة وفي كل سنة بعض الحسينيات تتدارس الأكل المقبول من الأغلب أو من الجميع وتفريقه عن الأكل المرفوض من قسم من الناس والمقبول من قسم آخر، فأخذت هذه الحسينيات تتجنب المختلف فيه من نوع الطعام وكذا تجنب بعض المواد الغذائية التي تسيء إلى الجهاز الهضمي أو تضر بصحة المرضى وما شابه ذلك من ملاحظات، حتى أنني أجد أن جميع ما يقدم من طعام جاهز - في بعض الحسينيات الدارسة لأخطائها - يؤكل بلا استثناء، بينما نجد في حسينيات أخرى يبقى الطعام مرمياً في الحسينية أو قد يكب في قارعة الطريق نظراً لعدم استساغته أو ضرره على المستهلك، فهذه أمور مهمة حينما تبحث بعقل مفتوح في الحسينيات رغم أنها قضايا بسيطة وصغيرة لكنك ستراها موفرة مئات ألوف الدولارات في مجمل أيام الزيارة كما أنها تقلل من الحاجة للدواء وما شابه ذلك.

فأبسط فكرة يساهم فيها المثقف في النت أو في الصحافة الحرة أو على شكل دراسات تقدم لجهات مهتمة ستكون إسهاماً مهماً للتطوير والتعزيز لعشق الإمام الحسين عليه السلام الذي هبى لنا بدمه الطاهر أن ننعّم بنعمة الإيمان بعد أن كان من المؤكد أن يتحول الدين الإسلامي إلى الكفر البواح لكن بفضل الحسينعليه السلام بقي دين الله محافظاً على رونقه عند بعض المؤمنين الأخيار اتباع هذا الشهيد العظيم، وقد نما بطريقة اقناعية وإيمانية حتى

أصبحت الأعداد بمئات الملايين من أهل الإسلام المحمدي الحقيقي الذين يواجهون يزيد
بكل عصر مجسداً بروحه وفعله وجرائمه.

استقالة البابا: الحاجة للقراءة بعين جديدة

إن التسريبات كانت تقول أن البابا استقال لثلاثة أسباب :

- الفساد في الكنيسة
- قرار تهجير مسيحيي الشرق الأوسط
- ارغام الكنيسة على السكوت عن موجة الإلحاد الجديدة

وقيل أن أحد أهم الأسباب هو غلق الحوار مع المسلمين بإثارتهم من خلال تصريحات البابا الطائفية البغيضة، وهذا اعتقده سبب وهمي لا قيمة له في العقلية الغربية المحاربة للإسلام في الوقت الحالي.

ولعلي قد أشرت لذلك سابقاً، إلا أننا يجب أن ننتظر ماذا سيفعل البابا الجديد حتى نعرف النتائج من هذا التغيير الخطير الذي نادراً ما يحدث بل لم يحدث لمئات الأعوام.

فلو نظرنا لباكورة عمل البابا الجديد سنجد أمراً غريباً لم يحدث سابقاً حيث أن الاتيان به من مذهب كاثوليكي يؤمن بالدعوة للتنصير وهو جزء من ماكنة تنصير القارات الجديدة ولو بالاتفاق مع العسكريين، حيث اتهم البابا الحالي بالاتفاق مع الانقلابيين العسكريين في فترة الدكتاتورية التي قتلت الرهبان المسيحيين في الأرجنتين، فهذا الاختيار قد أظهر نفسه بتوجه الكنيسة إلى الدعوة للتنصير وعمل دعايات بطولية مركزة إعلامياً ولو بقضية

”فاشوشية“ من تنصير النصرانية التي تربت على ديانة أمها النصرانية^(١)، وهو الحدث الذي لا قيمة له إطلاقاً في عالم المسلمين، فحتى لو وقع فما قيمة امرأة من أدغال أفريقيا لتحكم على الحق أو الباطل بين الأديان، ونحن نبارك لها حريتها في اختيار دينها كما يختار الآن أبناء الديانات الخروج عليها إما تحلاً من الالتزام أو للشهوات أو للمال أو للجهل بأديانهم أو للبعيرة وتفتح العقل لرؤية الصواب، وهذا أيضاً حاصل والحرية مكفولة للجميع. فليس هناك مشكلة في مسيحية مسيحية منذ ولادتها تربوياً وليس انتساباً، فإن الفتاة على تربية أمها كما هو معلوم. فهذا الترتيب بنشر القضية وتضخيمها وأمر عملائهم بسجنها وطلب اعدامها ثم معجزة الإفراج عنها وسفرها ليهتم بها الزعماء ويقوم برعايتها البابا بتمثيلات إعلامية مفضوحة هو جزء من بداية حملة تنصير في اتجاه معين وأقصد به أطراف العالم الإسلامي في القبائل الفقيرة والجاهلة.

ولكن بنفس الوقت نجد البابا لا يفعل شيئاً تجاه القتال المستحدث بين الكاثوليك والأرثوذكس في أوكرانيا، فالיום بينهم مذابح خطيرة باسم الدين مع غلاف القومية وقد يتطور إلى حرب تدمر البشرية، وفي نفس الوقت تقوم إسرائيل نيابة عن الولايات المتحدة ببعث داعش إلى سوريا والعراق لقتل مسيحيي الكنيسة الأرثوذكسية وتهجيرهم والاعتداء على اعراضهم وأموالهم ليخرجوا صفر اليدين من حطام الدنيا بلا مقومات العيش حتى يذوبوا في مجتمعات ملحدة تستقبلهم فألمانيا مثلاً نسبة الإلحاد فيها أكثر من ٨٨ بالمائة وفي فرنسا حوالي ٨٠ بالمائة وهكذا دواليك، ثم إن البابا الجديد لم يتوجه إلى المجتمع الأوروبي بالتنصير حيث قد خرج الأوروبيون من دين المسيحية، فأصبح هذا المجتمع بين ملحد وبين

^(١) كتبت هذه المقالة في أغسطس / ٢٠١٤ م، وقد ثار وقتها نبا استقبال البابا الجديد فرنسيس لسودانية تنصرت فحكم عليها بالردة في السودان قبل أن تخرج وتتوجه لإيطاليا.

بوزي بالإضافة إلى الاختيارات الدينية بسبب فئات أبناء هذه القارة كما هو نمو الإسلام في أوروبا، والباقي على مسيحيتها في أوروبا قد لا يتجاوز نسبته في كل القارة ٣٠ بالمائة ولولا بعض أماكن الإحتكاك المذهبي لما تشجع الناس على البقاء على المسيحية، فإن الصراعات بين المذاهب الثلاث «الأرثوذكس، الكاثوليك، البروتستانت» في أماكن الاختلاط والاحتكاك هو ما ثبت مسيحية أوروبا بهذه النسبة الضئيلة، فلماذا لا يقوم قداسة البابا بالثورة العلمية الدينية لإرجاع أوروبا إلى أحضان المسيحية إيماناً وممارسة من دون مساوئ فترة سيطرة الكنيسة على السياسة الأوروبية!

إن تشكيل البابا مجالس التحقيق العلنية في الفضاخ الجنسية لرجال الكنيسة بهذه الفضاخ البشعة، سيسهم بزيادة ارتداد المجتمع الأوروبي عن المسيحية وهذا لصالح الإلحاد في القارة، لأن القضية ليست قضية حرية جنسية يؤمن بها المجتمع الأوروبي الحالي، بل لأنها قضية اعتداء على الأطفال والقاصرين جنسياً من قبل مؤسسة تدعو للفضيلة وتحارب الرذيلة وإنحلال الأسرة.

إن أحوال ما تحتاجه أوروبا الآن هو تماسك الأسرة لأن التحلل من قيود الأسرة وزواج المثليين نساءً ورجالاً في المجتمعات الأوروبية وتوابعها خفّض من نسبة النمو لتصل إلى السالب وأصبحت المجتمعات الأوروبية تحتاج إلى مواطنين جدد لبقاء حضارتهم وكيانهم، عبر ترغيب الأجانب بالهجرة إليهم وتعريضهم لأعظم الأهوال في الطريق وفي أثناء الإقامة لحين نياله الجنسية الأوربية من أجل أن يتمسك من يصل إليهم بواسطة هذا المنجز المرهق والخطير، وهو الحصول على الجنسية حتى لا يفكر في العودة إلى بلده ويقرر قطع جذوره من بلده الأصلي ويقبل أن ينخرط أبناؤه في ديانات واعتقادات المجتمع الأوروبي وفي الغالب هي ديانة التحلل من الديانة.

الدول الأوروبية هي بحاجة إلى تلاحم الأسرة والعودة إلى العلة العائلية الصحيحة لبناء المجتمعات بدل الأعمال الشيطانية العابثة التي تجعل وجود الإنسان طفيلياً في الكرة الأرضية حتى تعيد بناء حضارتها، فإن من المستبعد جداً أن يدافع عن الأمة هؤلاء المهاجرين المنغمسين في الإنحرافات الجنسية، خصوصاً الشرق آسيويين والأفارقة، إلى تلك الدول حتى لما بعد الجيل الرابع لأن الشعور بالغربة والدونية تلاحقهم كما رأينا ذلك بشكل ملموس حتى في الجيل الثالث والرابع، فإن قسماً من المسلمين الأفغان الذين جلبهم هتلر إلى ألمانيا للتعويض عن الخسائر البشرية قد استقروا في ألمانيا لحد الآن وتنصر أبناء الجيل الرابع والخامس منهم كلياً فإنهم لا يزالون يشعرون بالغربة وأنهم لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ولم أجد فيهم أي روح وطنية للدفاع عن بلدهم إلا بحرب أتاري، حرب عن بعد بلا ضمير ولا احساس.

وهذه المقدمة تقول أنه كان على البابا الجديد أن ينشر النصرانية في المجتمع المرتد عن النصرانية وهو المجتمع الأوروبي وتوابعه، قبل أن يحاول النشر في المجتمعات الطرفية الجاهلة للمسلمين أو الهندوس أو اللادينييين في الأدغال.

الظاهر الآن هو أن تخلي الكنيسة عن القوة في الشرق الأوسط وعن الوجود المسيحي إنما هو تخلي عن مذهب يراد له التدمير بطريقة ناعمة على أيدي غير مسيحية ظاهراً وفي الواقع فالقرار هو مسيحي ضد الكنيسة الشرقية، ولكن هل هذه هي الحالة الوحيدة؟

إن الإنخراط التدريجي في الحرب بين الكنيستين واضح جداً بدءاً من الحرب على الوجود المسيحي في العراق أيام صدام والتطورات المستمرة للوصول إلى الحالة السورية التي هي قمة الخلاف وظهوره علناً فإن دمشق هي مقر الكرسي الرسولي لمسيحي الشرق (مقابل الفاتيكان

الكنيسة الكاثوليكية وكنتريري للكنيسة البروتستانتية)، وإن أكبر كنائسها التابعة لها قوة ومنعة هي الكنيسة الروسية واليونانية، فتصادم المشروعين الروسي و الأوروبي - الأمريكي هو تصادم التحالف البروتستانتي الكاثوليكي ضد الأرثوذكسي. ولهذا فإن جميع الأرثوذكس الآن معرضون للإبادة واقتلاعهم من جذورهم، وهذا قرار إذا لم يكن لكنيسة روما يد فيه فهو برضاها أو على الأقل بسكوتها وعدم الفاعلية فيه.

لنأخذ مثلاً مهماً قد يعطي صورة أخرى أكثر شمولاً للصراع فقد تكون الكنيسة تابعة لسياسة لا دينية تقرها دوائر المال اليهودي فمن يدري؟ أو قد تكون الكنيسة تؤمن بالتضحية ببعض أبنائها من أجل إدامة زخم الصراع مع كنيسة دمشق وكل الاحتمالات قائمة ولها شواهد ولكن التحقيق يحتاج إلى دراسات معمقة.

والمثال هو رئاسة الجمهورية في لبنان وهي بالاتفاق اللبناني للمسيحيين الكاثوليك المارونيين، لكننا نرى الكنيسة تقف ضد الأكثرية لصالح شخص قاتل ومجرم حرب وتابع للسعودية وإسرائيل علناً ويساند تهجير المسيحيين في سوريا وفي العراق، وكل يوم تنشر الأخبار أن السعودية لم توافق على ذلك وأن السعودية تريد كذا وهذا المؤيد من الكنيسة طوع أمر السعودية! ومع ذلك يقرر البابا اصطحاب الكاردينال اللبناني وهو أعلى قائد مسيحي في المنطقة لزيارة إسرائيل وإعلان التعاطف مع جيش لحد وسعد حداد وبكاء البابا على قتلى الجنود الاسرائيليين في معاركهم مع العرب ليؤكد انسلاخ الجسد المسيحي من المنطقة لصالح إسرائيل والسعودية.

إن هذا السطح الظاهر يعبر عن قرار في العمق المخفي يحاول تفريغ الشرق كلياً حتى من مسيحي الفاتيكان بما هو أعمق من مجرد تفريغ الشرق الأوسط من الأرثوذكس ظاهراً، فإن

وقوف الكنيسة ضد عون ولومها للجنرال عون لأنه يقدم نفسه كمستحق للرئاسة لأن له الغالبية المسيحية في المجتمع المسيحي اللبناني حيث أغلبه يريد اللصوق بالوطنية وعدم التنكر لهذه الأرض مقابل من قتل حتى رجال الكنيسة وفجر الكنائس لمجرد أنه عامل بسيط عند المخابرات الإسرائيلية، فالمجتمع المسيحي اللبناني يعي وجوده جيداً، ولكن الكنيسة تقف ضد هذا الوعي، خصوصاً وأن الفاتيكان خرجت عن صمتها في الشهر الماضي وأخذت تقرّع المسيحيين في لبنان، وكانت مفردات التقريع أغلبها يصب ضد الجنرال عون حيث كان الغمز في التشدد وعدم التراجع - أي أمام الإرادة الإسرائيلية السعودية - فهل هذا للتضحية بكاثوليك لبنان من أجل ضرب الأرثوذكس؟

وهل هذا هو حال من يريد أن ينشر المسيحية في العالم؟

وهل حلت قضايا مشكلات البابا السابق التي استقال من أجلها؟

فهل كان الحل بالتطبيق للمخطط الذي استحي منه البابا السابق ورفض تفرغ الشرق من المسيحيين وحاول التصدي للإلحاد والارتداد عن المسيحية لصالح الأديان الأخرى وحاول التستر على خروقات القسس الأخلاقية ودعى إلى محاسبة سرية حتى لا ينكشف للناس حجم الفساد.

فهذه جميعها في طريقها إلى المسار المناقض الآن، فلمصلحة من هذا؟

وهل للكنيسة مصلحة دينية في ذلك؟ أم هو توجه سياسي لتمشية الأمور؟

هذا ما يجب أن نفكر فيه ونستنتج منه ولكن بعقلية الباحث عن المعلومات الحقيقية، وعن التحليل النظيف بدون أفكار مسبقة ومحكومة للهوى الشخصي أو النوعي. إذن، يجب أن نقرأ الحدث من جديد بعيون جديدة، لملاحظة مدى التطابق بين الواقع وبين الادعاءات.

مفهوم الضرر والشعائر الحسينية

.. إن السيد أبا الحسن الأصفهاني كتب في رسالته الفارسية بمنع ما هو أبعد من ذلك فحتى عزاء التشبيه والمشق الذي فيه طبول الحرب ممنوعة عنده مع أن النصوص صريحة بجواز طبول ونغمات الحرب.

وهناك الكثير من الفقهاء في رسائلهم الفارسية كتبوا مثل ذلك.

وليس عندي تفسير إلا أن الحكومة الإيرانية في وقتها تطلب ذلك لأسباب تتعلق بها وبقومها، حتى اشتهر بين أهل النجف أن أحد الفقهاء المتصدين اشتهر عنه أنه يحرم، كما في رسالته الفارسية في الزمن القاجاري، كما هو زمن فتوى السيد كاظم اليزدي فجاءه أصحاب المواكب يسألوه: هل يمتنعون أم لا؟ فقال لهم غداً الجواب صباحاً عند باب الصحن الشريف، فاجتمعوا فإذا به سحب القامة وتطبر أمامهم. فعرفوا أن السبب موجه لأسباب يعلمها الفقيه، وهو ما يحدث اليوم تماماً فإن أغلب المتطهرين في كربلاء هم من إيران وإن أكثر من نسبة تسعين بالمائة من السكاكين الخاصة المصنوعة لهذا الغرض تأتي من إيران ومصانعها، بينما هذا العمل ممنوع في إيران، وهذا يعني أنه عمل ممنوع في مكان مسموح في آخر كما يبدو.

ثم إن القضية ليست بلغة دون أخرى أو لشعب دون آخر إنما هناك خلاف حقيقي بين الفقهاء بين محرّم وكاره ومجوز وقائل بالاستحباب وقائل بالوجوب لعناوين ثانوية كما لا

يخفى عليكم. نعم، في ما قرأت الآن في جواب اليزدي^(١) أنه نفس عنوان حرمة الجرح الذي عليه القصاص وهذا لا يوافق عليه أحد وأشك جداً أن يكون فقيه بهذه القامة يحكم بذلك، بخلاف إشارة الشيخ الحلي إلى نسبة ذلك القول لليزدي^(٢)، لأن الجرح بقصد العدوان أو بغير قصد يمكن إدخاله في المعنون، وأما برضا المجروح وطلبه فهنا مشكل تطبيقه. نعم، كل فقهاءنا قالوا إذا كان فعله يؤدي إلى الهلاك فهذا محرم بالعنوان الأولي ولهذا يقيدونه بعدم إحراز الهلاك بقولهم إذا أدى إلى الضرر فهو محرم أو ممنوع بحسب تعبيراتهم.

فالقضية ليست جديدة إطلاقاً، وهي محل تجاذب بين فريقين أو أكثر.

لقد بينت قديماً أن دعوى الضرر باطلة عملياً^(٣) وكل ما قيل في ذلك إنما هو مغالطات مردودة لعدم حصر السبب بنفس الفعل، وأن القائلين بالتوهين مختلفون في مكان التوهين، فالقائلون بالتوهين ينظرون إلى خارج المجتمع الشيعي والقائلون بعدم التوهين ينظرون إلى داخل المجتمع الشيعي، فلا بد من تحقيق أي المقامين ينظر إليه في التوهين، أ الداخل أم الخارج؟

^(١) نقل عن السيد اليزدي كلام بالفارسية، غير منقول بالعربية، تعريبه هو: تعزية سيد الشهداء أرواحنا فداه لابد وأن تكون بنحو وارد من أئمة الهدى صلوات الله عليهم، ويمثل الجرح ما وردت الرخصة منهم، والسابقون من العلماء رضوان الله عليهم أيضاً لم يرخّصوا، ولم يجوزوا جرح بدن الغير وإن أذن المجروح للجراح، إلا في مقام علاج الأوجاع، وعلى فرض الجرح لا تثبت الدية، لأنه عمد، وفي العمد القصاص لا الدية. وثبوت القصاص إلا بالأذن ليس معلوماً إلا في غير البالغ، لكون عدم تأثير الإذن منه. وإذن الولي لا ثمرة فيه، فلغير البالغ حق القصاص ثابت والإتيان بالأعمال المذكورة بقصد المشروعية وبمعنوان العبادة تشريع، والرياء حرام في جميع العبادات.

^(٢) كان الشيخ عبد الحسين قاسم الحلي نقل كلاماً في رده على السيد محسن الأمين، منسوب للسيد كاظم اليزدي صاحب العروة مفاده: "ولا يبعد أنه على هذه الدعوى بنى في كتاب «الغاية القصوى» حرمة ضرب الرؤوس بالسيوف في العزاء الحسيني، ولكن في كون ذلك إضراراً بالنفس وفي حرمة الإضرار بجميع مراتبه كلام ستعرفه".

^(٣) راجع كتاب «التطهير في الزمن الراهن» للعلامة المنار

وهذا السجال يبقى طويلاً حسب ما أرى خصوصاً مع وجود المنع فإنه يطيل أمد الظاهرة الاجتماعية حسب ملاحظة ردود الأفعال الاجتماعية والمتاجرة من بعض منتفعي الطرفين.

والحقُّ فقهياً أنه بالحكم الأولي مباح وبالأحكام الثانوية مختلف فيه حسب تقدير المراجع، وهذه الأحكام الثانوية قد يأتي يوم فيحدد فيها ضوابط مناط النظر ومساحته فيتحد الأفق سلباً أو إيجاباً، كما حدث في التفريق بين الشك في التكليف والشك في المكلف به فاتحدت فرقتان مختلفتان هما الأخبارية والأصولية في أهم قضية، وأصبح الفرق معدوماً منذ ذلك الوقت.



المناطق في ذلك عندهم هو حدود الضرر ومفهومه فإن مفهوم الضرر هو المختلف فيه وهم يجمعون على حرمة الإضرار بالغير وبالنفس ولكن «ما هو الضرر المحرم؟» لأنه مفهوم تشكيكي كما لا يخفى عليكم، فقد اختار السيد الخوئي قدس سره وأغلب تلاميذه إلى أن الضرر المنهي عنه هو ما أدى إلى الموت بطريق مباشر، وقد أشكلت على السيد الخوئي قدس الله نفسه قبل حوالي أربعين سنة - في تطبيقات تنقيح المناطق - بأن الضرر الحاصل من التدخين قطعي كما يقول أهل الصنعة في تشخيص الأضرار فلا بد أن يدخل في مفهوم الضرر المنهي عنه سواء بالنهي عن الحكم الضرري أو بالنهي عن المضر نفسه - حينما لم أكن أعلم بشرط المباشرة عنده - فأجابني السيد نصر الله المستنبط وهو صهره وأحد كبار تلاميذه كما هو معلوم بأن السيد يشترط المباشرة المؤدية إلى الهلاك، فإذا الضرر هو الهلاك المباشر من الفعل المقصود، وقال: وهذا ما نؤمن به وهو أمر عقلائي. فقلت له هذا الشرط لا يفهم من نصوص الضرر، فقال أنه قيد عقلائي وأتاني بمثال لطيف فقال أننا لا نملك دليلاً على حرمة جرح الإصبع إنما نملك الدليل على أن الهلاك ضرر قطعاً وهو محرم، فلو أدى

تكرار جرح الإصبع إلى الوفاة فإن آخر جرح ينسب له الوفاة هو المحرم قطعاً والبقية غير داخل، فيكون مقدار الضرر استناد الهلاك إلى الفعل مباشرة، وقد ناقشت كثيراً في هذا الحد للضرر ولكن في الأخير تبين لي أن القائلين بمطلق الضرر حتى لو كان جزئياً بأن فقههم ذوقي وليس استناداً إلى نصوص أو أصول، نعم هناك مشكلة التفريق بين الزوجين وما شابه ذلك مما هو منصوص على التحريم المعلن والجواب عنه أن الشريعة رتبت على تهديم أركان الأسرة حرمة خاصة كما هو قتل الفرد فالوصول إلى ذلك المحرم هو حصول مفهوم الضرر المنصوص قرآنيًا وهذا تنزيل شرعي لمفهوم الهلاك يطبق على موردته، وقد سألت الكثير من الأجلاء في اختلافنا عن الفقهاء القدماء في بعض المفاهيم فكان جوابهم شبه متطابق بأن الفرق في الفهم الأصولي هو تحقيق المفاهيم طولياً بينما عند الفقهاء القدماء فإن معاني المواضيع تؤخذ من العرف الاجتماعي السائد وهذا متغير وغير منضبط إلا فيما أطبق عليه العقلاء والكلام طويل في البين، ومحصله أن الفقه الأصولي أكثر تحديداً للمواضيع تبعاً لتطور العلم الانساني ومعاييره.

وأما في موضوع الضرر فإن ما رأيته حسب تتبعي فإن الأغلب الأعم هو بأن الفقهاء القدماء وغيرهم لا يأخذون معنى الجرح بمعنى الضرر لعلمهم بإعادة البناء وعدم التلف إلا ما ندر ممن يعمل حسب الشك، ومن المعلوم أن هناك أماكن في جسم الانسان تبني نفسها بسرعة من دون ضرر إلا بالعرض والأسباب الثانية المتآزرة وهي لا تحدث حتى تشويهاً لشكل الانسان فلا يتمكن الفقيه أن يطبق مفهوم الضرر على هذا العنوان أو المصداق المحدد فالأصل فيه الإباحة وتبقى العناوين الثانوية الحاكمة وهي محل النقاش بين الفقهاء، وأما الفقهاء الذين اعتمدوا على أحكام الحدود والديات بأن الجرح من الآخر عليه غرامات ففهم أن مطلق الجرح محرم هو فهم يحتاج إلى مناقشة بشكل واضح.

أما ما يدفع به بعض الناس ليكون الأمر أكبر من الجرح، ففي تصوري أن هذه حركات مدفوعة أجنبيًا عن التشيع لدفع التشيع أبعد مما يريد فيسقط، ولهذا فإن على المجتمع والهيئة الدينية إدانة هذه الممارسات التي تريد دفع الصورة إلى أبعد من الحد المسموح به حسب تصورات الفقهاء الذين يعتبرون التعبير العنيف عن الولاء لا بأس به، فإنهم لا يقبلون قطعًا ممارسات يشوبها الشك والتطاول، فليس في الإسلام أعمال رهبنة هندوسية لتعذيب الذات، فهذا غير مقبول ولا يمكن لفاعل هذا الأمر أن يقيسه بالتطبير أبدًا وليس بمقدوره أن يقنع أي فقيه شيعي بأن هذا يعبر عن ولاء، خصوصًا في الزمن الحالي، لأن ما يقومون به يمثل ممارسات هندوسية غير مقبولة، فلا يصح استيراد ممارسة فقهاء الهنود التعذيبية وادعاء أنها يمكن أن تمثل إظهار الولاء للحسين عليه السلام، يمكن لهذا المدعي أن يذهب إلى السيرك وينام على المسامير أو يمشي على الجمر وينتفع بعرضه الذي تدرب عليه في معاهد السيرك والرهبانية الهندوسية، فلا علاقة لهذه الممارسات "السيركية" بالتشيع إطلاقًا.

ويذكر الاخوة المتابعون لكتاباتي أنني ذكرت بأن مظاهر العنف في الشعائر الحسينية ليست فريدة فأغلب الأديان تعمل ذلك، فهذه المسيحية فيها تعذيب للنفس أشد من التطبير، وهذه الحركات السنوية في العراق تمارس الدرياش وهو إدخال الأسياخ في الجسم وهناك الهنود والبوذيون وغيرهم يمارسون تعذيب الذات لسنين، وليس ذلك بضائر الديانات ولا هي محل نقاشات، ولكن لماذا حين يكون المنظر العنيفي باسم حب الحسين يكون مستنكرًا من قبل أعداء آل محمد؟ بحيث يحاولون توهين المذهب وتسخيفه باعتباره يحتوي على منظر معين، ومن اللطيف أن نفس هذا المنظر يفتخر به هؤلاء الناقمون على الشيعة حينما يكون في فلم عالمي أو يكون من النصارى أو يكون من صوفية بغداد فإنه

يصبح عملاً نورانياً يدل على عظمة من يدخل فيه حتى أن صدام حسين الذين كان يعدم أرباب العزاء للحسين رأى أن عند أهل الدرياش قوة إلهية.

لهذا أرى أن لا نشغل أنفسنا بمثل هذه المظاهر ولا نستجيب لهجمات الإعلام المغرض لتشويه صورتنا المول مقبل الوهابية وأربابهم الذين هم أقدر خلق الله، والذي أحمد الله تعالى عليه أنني لم أمت حتى رأيت كل شعوب العالم ترى أن الوهابية أقدر خلق الله توحشاً وكراهية.

فعلى أبنائنا أن يتركوا تشخيص المصالح والمفاسد لمراجعهم ويتبعوهم سلباً أو إيجاباً، من دون نزاعات وعراك يذهب الإحساس بالفاجعة في مثل هذه الأيام العظيمة. فالمنع والدفع هو بنظر المرجع لما فيه المصلحة حسب اجتهاده، وليس على المكلف تكليف بأن يحاول اثبات صحة وجهة النظر أو انتقاد الآخر لأنه يخالف أمر مرجعه، فهنا ليس محل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن المعروف والمنكر هنا منتفیان باعتبار أن المسألة خلافية وليس متعلقها الحق والباطل وإنما متعلقاتها المصلحة والمفسدة وتقدير ذلك بيد المرجع وكفى الله المؤمنين مؤنة ذلك.

من هو الطائفي في الحرب السورية؟

ارتفعت عقيرة الطائفيين لاتهام اللبنانيين بالطائفيين لأنهم حاولوا دفع المشروع الإسرائيلي وراء الحدود اللبنانية في الشمال، والقضية تحتاج إلى تحليل بسيط.

لماذا تحاربون بشار الأسد؟

سيقولون أنه علوي يجب قتله؛ طبعاً هذا ليس طائفيًا!

طيب بشار الأسد حكومته المتحمسة له كلها سنية من رئيس وزراءه ووزير خارجيته ووزير دفاعه ووزير داخلته وبقية الوزراء، مدير المخابرات سني قائد الجيش سني، وسوريا بلد عسكري يقوده الجيش والجيش سني.

ولكن سوريا علوية يجب القضاء عليها لأن بشار الأسد علوي.

بشار الأسد أعلن أنه تسنن وتزوج سنية شافعية، لم يقبل منه هذا منه أبدًا.

بينما هم لا يقبلون شيعيًا أن يكون مدير عام وليس وزيراً ولا يقبلون أن يدخل الشيعي إلى الجيش.

وهم غير طائفيين.

نأتي إلى مشاركتهم في الحرب ضد الشعب والحكم السوري.

يدعون تحرير سوريا من العلويين والشيعة. وهذا معلن وليس كلاً خفياً حتى أن أول مظاهرة في درعا رفعوا هتافات ضد نصر الله والхамنئي وحتفوا (من درعا إلى الكوفة).

طيب ما علاقة الشيعة بالحكم السوري هل هناك مسؤول واحد شيعي في سوريا؟ مع أن مجموع الشيعة يقدر بنصف مليون، بينما العلويين أكثر من ست ملايين.

لا يوجد أي علاقة بين العلويين وبين الشيعة في سوريا ولكن الصباح والنعيق من قبل الطائفيين والمعارضين لم يسكت يوماً منذ تصنيع هذه الثورة بالكذب وتهجير الناس كذباً.

نقرأ في كل أسبوع بل في كل يوم دعوات لنصرة أهل السنة في بلاد الشام، مع أن الحكم سني ٩٩ بالمائة، هذه الدعوات ليست طائفية.

اليوم مرشد الإخوان في الأردن يقول بأن نصر الله اعلن الحرب على أهل السنة في سورية وعلى نصر الله أن يعلم بأنه يجر المنطقة إلى حرب طائفية.

طيب أنت يا مرشدنا الأبله تحارب في سوريا منذ سنتين مع جماعتك في صويلح وفي إربد الذين هم من قيادات حماه في معركة ٨٢ بسبب نصرة أهل السنة ضد أهل السنة في الحكم الذين يرأسهم رجل من أصل علوي وزوجته سنية.

فهذا التصرف ليس طائفيًا.

يتهمون إيران بالحرب لهم في سوريا، ولم يستطيعوا خلال سنتين إثبات أي تدخل عسكري مباشر في سوريا بينما إيران تعترف بدعمها لسوريا سياسياً واقتصادياً وتسليحاً ولكن لحد الآن لم يزود الجيش السوري بسلاح إيراني للمواجهات في حرب المدن بل سلاح ثقيل لمواجهة إسرائيل، ولم يوجد أي دليل على وجود أسلحة إيرانية بينما نشرت

الصحف العالمية والأوربية بالخصوص دعم الغرب وإسرائيل للإخوان في سوريا وصور الأسلحة وأجهزة الاتصالات عند المعارضة ملأت الصحف.

فإيران حين تدعم حليفها ضد إسرائيل تصبح طائفية ويبدو أن كلمة (ضد اسرائيل) طائفية جداً تعني ضد الإخوان وبالتالي ضد أهل السنة الذين هم أغلب الشعب السوري المؤيد لبشار.

كل تصرفاتهم وكلماتهم طائفية وبامتياز، وحر بهم عنونها طائفي بعمق شديد، وكل تصرفاتهم مرتبطة بإرادة الإرادة الدولية (أوروبا وأمريكا وإسرائيل)، وينادون لقتل الشيعة والعلويين في سوريا، لأنهم لم يرتبطوا بالمشروع الغربي، وهذه جريمة عظمى يجب إبادة الشيعة عليها باعتبارهم يشكلون ازعاجاً لليهود ولا يرضى أدعياء أهل السنة هذا الإزعاج، حاشا الشرفاء وليس الأدعياء.

يعني هل يخوفون الشيعة بهذه الحركات؟

إذن هم اغبياء.

لأن هناك تركيبة شيعية بمقدورها حشد عشرة ملايين مقاتل خلال أقل من شهر، وهذا لا تقدر عليه لا أوروبا ولا أمريكا ولا الطائفيين في الشرق الأوسط، والشيعة يمكنهم أن يتدربوا تدريب النخبة بسهولة وبإبداع شديد وقد عرف ذلك الأمريكان والإسرائيليين وغيرهم وقد اعترفوا بهذا في دراساتهم.

أحد قادة لبنان السنة قال لأحد رجال حركة أمل إنكم تستطعون في لبنان تحشيد ٦٠ ألف مقاتل خلال ثلاثة أيام بينما نحن لا نستطيع جمع ربع هذا الرقم في سنتين. لا ادري لماذا يرفع هؤلاء عقيرتهم بالطائفية وهم طائفيون إلى النخاع؟

هل يريدون تخويف الشيعة مع أنهم قد تم بيعهم في اتفاقية جنيف وسيقسمون في جنيف ٢ بين الآكلين وسوف يخرج من القسمة الشيعة فقط لأنهم يملكون مقومات المرجعية الخفية ويملكون قوة التنظيم الاجتماعي مع العقلانية والحقانية والدعوة إلى حقن الدماء والتمسك بالصبر والإيثار.

إن أهل السنة في العراق حمتهم المبادئ الشيعية ولو كانوا هم أهل السنة لأبادوا كل مخالفينهم نساءً وأطفالاً ورجالاً، كما يفعلون الآن بأهل السنة في سوريا.

فهل في الرقة ودير الزور شيعة؟

إنهم من أهل السنة، ولكنهم يقتلون يومياً ويعدمون علناً بيد النصرة ودولة العراق الإسلامية والجيش الحر السني العثماني. ولا أحد يقول لهم لماذا تقتلون المسلمين بينما الشيعة يستنكرون عليهم ذلك؟

إن مراجع الشيعة أوقفوا أي إنفعال شيعي بعد سقوط حكم الطائفي صدام حسين قاتل الشيعة وقد قتل أكثر من أربعة ملايين شيعي، كما أوقفوا أي إنفعال شيعي من جراء تهديم مشهد أئمتهم المعصومين أبناء رسول الله المظلومين بيد حكام أهل السنة غير الطائفيين!

لم نسمع من أي عالم شيعي دعوة لقتل أهل السنة بينما ما أن يحرك الغرب أدواته من حكام أهل السنة إلا ونجد الدعوات العلنية لقتل الشيعة وإبادتهم كلياً.

طبعاً هذه ليست طائفية منهم بينما من لم يدع أبداً، بل يرفض، ورفض فعلاً أي حرب طائفية يعتبر طائفي.

هناك فكرة مثيرة للانتباه هذه الأيام عبر عنها السياسيون الإيرانيون وهي: إن الغرب يبرر خسارة أدواته في سوريا أمام النظام السوري - الذي أعاد تنظيمه وتخلص من الفاشلين الذين انشقوا أو أحيلا إلى التقاعد وأعادوا تدريب قيادتهم لمتطلبات المرحلة - برمي التهم على إيران وحزب الله واعتبارهم هم سبب خسارة الفاشلين والمكسبين.

هذه حقيقة فإن هؤلاء الذين ينعقون في الأردن وفي لبنان وفي تركيا وفي البحرين وفي الدوحة بأن سبب الهزائم هو حزب الله وإيران عليهم أن يعترفوا بالفشل أمام الجيش السوري.

ثم جدلاً لو كان حزب الله بهذه القوة على اجتياح بلد كامل وليس لسوريا أي قدرة فإن هذا الحزب يمكنه أن يجتاحكم ولكن لكرمه لم يجتاحكم، فعليهم أن يخافوا قليلاً.

إن أهم نقطة توزيع للسلاح وللمقاتلين في سوريا هي مدينة القصر سقطت بأيام قليلة، فإذا كان هذا من فعل حزب الله فأنتم تكبرون حزب الله إلى درجة جعله قوة عظمى يجب الخوف منها، فهل يعقل أن تقوموا بتهديد حزب الله بعد الآن؟

إنها حماقة والعمالة والطائفية البغيضة، إنهم يعترفون بارتباطهم بإسرائيل والغرب ولا يخلجون من ذلك أبداً.

ويريدون إسقاط العدو الأول لإسرائيل وهو سوريا وحزب الله، لأنهم قوم يحبون اليهود من كل قلوبهم بعاطفة وحنين شديد لخبير وفدك وغيرها ممن يحبون في داخل ثقافتهم للأسف.

على شباب أهل السنة أن يبحثوا في تاريخ الحكام وعلاقتهم باليهود منذ رحلة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إلى بارثه عند ملك مقتدر إلى يومنا هذا، فسيعرفون بأن كل هذه الأصوات الطائفية النشاز هي أصوات كاذبة تقلب فعلهم لغيرهم خدمة لليهود والنصارى من وفاة الرسول إلى هذا اليوم.

فجرب يا أخي الشاب السني البحث في التاريخ ودعك من أكاذيب أهل الحديث وانتقائيتهم.

القراءة والقرآن

لقد تكررت دعوى السلفية الغامضة بالتفريق بين القرآن والقراءة، وهي دعوى لا يفهمون ألفاظها فضلاً عن معانيها، ولهذا سأختصر عليهم طرق التفكير فأقول:

لنأخذ سورة الفاتحة وحدها مثلاً ومن كتاب واحد وهو تفسير القرطبي، وهذا الكتاب متوفر على CD وأفضل شيء يمكن سحبه من موقع المحدث على الإنترنت فإنه يشير إلى رقم الإصدار ومقدار التصحيح فيه وهذا نوع من الأمانة المدوحة.

سنرى هنا مسألة ظاهرة للعيان وهي اختلاف القراءة والمعاني وزيادة آيات وألفاظ وحروف وحركات أو نقصانها بحسب الدعاوى المتقابلة، فمن يقول هناك زيادة يقابله من يقول: أنت تنقص من القرآن.

وسورة الفاتحة كما هو معلوم سورة صغيرة وأساسية في الصلاة لا بد أن نقرأها يوميًا عشر مرات على الأقل وهذا هو الحال من زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى الآن.

ولكن لنرى حجم الخلاف في القراءات مع القرآن الموجود بين أيدينا برواية حفص عن عاصم رحمهما الله وطيب تراهما.

إنه حجم مدهش في الخلاف، فأى لفظ للقرآن هو قرآن السلفية؟ وكيف يدعون التواتر في القرآن؟

نرجو أن يخرجوا لنا من هذه الأقوال، القرآن الحقيقي غير المحرف، والذي نزل به الروح الأمين على صدر نبيينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وأن يبينوا هل القرآن الذي بين أيدينا محرف أم لا؟

فإن قسمًا من لفظه الثابت غير مقبول عند شيوخ السلف، كما يصرح القرطبي، فأعانهم الله على تقحم هذا الموضوع ما داموا قد طرقوه، ولعنة الله على من لا يدافع عن كتاب الله.

وهنا ملاحظة وهي أن كل النصوص التي سأوردها هي من كتاب تفسير القرطبي منسوخة عنه بالحرف ورقم الإصدار، وهو إصدار ١,٤٩ ومن أراد التأكد فليراجع.

١- البسمة الثابتة في قرآننا لا يقبلوها، ويقولون هي ليست من السورة بل ليست من القرآن إلا في سورة النمل.

(الصحيح من هذه الأقوال قول مالك، لأن القرآن لا يثبت بأخبار الآحاد وإنما طريقه التواتر القطعي الذي لا يختلف فيه. قال ابن العربي: "ويكفيك أنها ليست من القرآن

اختلاف الناس فيها، والقرآن لا يختلف فيه". والأخبار الصحاح التي لا مطعن فيها دالة على أن البسملة ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها إلا في النمل وحدها.)

(فإن قيل: فقد روى جماعة قرآنياتها، وقد تولى الدارقطني جمع ذلك في جزء صححه. قلنا: لسنا ننكر الرواية بذلك وقد أشرنا إليها، ولنا أخبار ثابتة في مقابلتها، رواها الأئمة الثقات والفقهاء الأثبات. روت عائشة في صحيح مسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلاة بالتكبير، والقراءة بالحمد لله رب العالمين، الحديث. وسيأتي بكماله. وروى مسلم أيضا عن أنس بن مالك قال: صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر، فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين؛ لا يذكرون "بسم الله الرحمن الرحيم" لا في أول قراءة ولا في آخرها. ثم إن مذهبنا يترجح في ذلك بوجه عظيم، وهو المعقول؛ وذلك أن مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة انقضت عليه العصور، ومرت عليه الأزمنة والدهور، من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زمان مالك، ولم يقرأ أحد فيه قط "بسم الله الرحمن الرحيم" اتباعا للسنة؛ وهذا يرد أحاديثكم.)

- أقول: إذا كان هذا مذهب أهل السنة، وهو المذهب الحق، فإن قرآنا الحالي فيه البسملة آية، وهي مرقمة برقم آية، فينبغي أن يكون قرآنا هذا محرَّفًا عند السلف الصالح، فلماذا تطبعه المملكة وتوزعه على حجاج بيت الله الحرام، وهو محرَّف في رأيهم وفيه آية زائدة في سورة الفاتحة، وهذا ضلال مبين!

٢- وصل البسمة مع الحمد بخلاف الوقوف على البسمة: (وهذا من التجويد ولكن اعتماده يدل على كذب نفي البسمة من القرآن، وهو نوع من أنواع ضبط اللفظ على كل حال)، وقد قرأ قوم من العرب الرحيمَ بفتح الميم وهي ليست بقراءة، فلاحظ:

(واختلف في وصل "الرحيم" بـ "الحمد لله"؛ فروي عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "الرحيم. الحمد" يسكن الميم ويقف عليها، ويبتدئ بألف مقطوعة. وقرأ به قوم من الكوفيين. وقرأ جمهور الناس: "الرحيم الحمد"، تعرب "الرحيم" بالخفض وبوصل الألف من "الحمد". وحكى الكسائي عن بعض العرب أنها تقرأ "الرحيم الحمد" بفتح الميم وصلة الألف؛ كأنه سكنت الميم وقطعت الألف ثم ألقيت حركتها على الميم وحذفت. قال ابن عطية: ولم ترو عن هذه قراءة عن أحد فيما علمت.)

٣- الحمدُ مرفوعة ولكن هناك من يقرأها منصوبة بالفتحة على الدال:

(وأجمع القراء السبعة وجمهور الناس على رفع الدال من "الحمد لله". وروي عن سفيان بن عيينة ورؤبة بن العجاج: "الحمد لله" بنصب الدال وهذا على إضمار فعل.)

٤- مالكٌ مخفوضة بالكسرة على الدال ولكن هناك من قرأها بالنصب بالفتحة على

الكاف:

(قوله تعالى: "مالك يوم الدين" قرأ محمد بن السَّمِيع بنصب مالك)

٥- المثبت في قرآننا (مالك يوم الدين) ولكن السلف يقول أن هذا غير بليغ وقراءة

(ملك) أبلغ فيكون قرآننا محرف ومائل عن الصواب عند السلفية، وقسم قرأها (ملكي):

(قلت: وقد احتج بعضهم على أن مالكا أبلغ لأن فيه زيادة حرف فلقارئه عشر حسنات زيادة عن قرأ ملك.

وروي عن نافع إشباع الكسرة في "مَلِكٌ" فيقرأ "ملكي" على لغة من يشبع الحركات وهي لغة للعرب ذكرها المهدي وغيره.)

(قلت: هذا نظر إلى الصيغة لا إلى المعنى، وقد ثبتت القراءة بملك وفيه من المعنى ما ليس في مالك على ما بينا والله أعلم.)

٦- قرآننا فيه إِيَاكَ ولكن القراءات الأخرى تقول غير ذلك فقسم يقول (إياك) بدون تشديد وقسم يقول (أياك) بفتح الهمزة وقسم يقول (هياك):

(الجمهور من القراء والعلماء على شد الياء من "إياك" في الموضعين. وقرأ عمرو بن قائد: "إياك" بكسر الهمزة وتخفيف الياء، وذلك أنه كره تضعيف الياء لثقلها وكون الكسرة قبلها. وهذه قراءة مرغوب عنها)

("أياك" بفتح الهمزة) وهي لغة مشهورة. وقرأ أبو السَّوَّارِ العَنَوِيُّ: "هياك" في الموضعين وهي لغة قال: فهَيَّاكَ والأمر الذي إن توسعت موارده ضاقت عليك مصادره)

٧- نُسْتَعِينُ لم تسلم فقد قرئت بنسْتَعِينُ بكسر النون الأولى:

(وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش: "نُسْتَعِينُ" بكسر النون وهي لغة تميم وأسد وقيس وربيعة ليبدل على أنه من استعان، فكسرت النون كما تكسر ألف الوصل.)

٨- (عليهم) في قرآننا واضحة اللفظ ولكن يقول القرطبي إنها قرأت بست قراءات :

(وفي "عليهم" عشر لغات، قرئ بعامتها: "عليهم" بضم الهاء وإسكان الميم. "وعليهم" بكسر الهاء وإسكان الميم. و"عليهمي" بكسر الهاء والميم وإحاق ياء بعد الكسرة. و"عليهمو" بكسر الهاء وضم الميم وزيادة واو بعد الضمة. و"عليهمو" بضم الهاء والميم كليهما وإدخال واو بعد الميم. و"عليهم" بضم الهاء والميم من غير زيادة واو. وهذه الأوجه الستة مأثورة عن الأئمة من القراء.)

٩- قرآننا فيه (صراط الذين أنعمت عليهم) ولكن هذه القراءة لا توافق قراءة صحابييين، أهمهما الخليفة عمر الذي شرط شهادة شاهدين على كل آية، فهل قرآننا حرفه حفص بن سليمان المدلس الكذاب؟ (حاشاه)--- فقد قرأ (صراط {من} أنعمت عليهم):

(قرأ عمر بن الخطاب وابن الزبير رضي الله عنهما "صراط من أنعمت عليهم".)

١٠- قرآننا فيه (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) بينما الخليفة وأبي بن كعب كانا يدينان الله بغير هذه القراءة فكانا يقرآن (غير المغضوب عليهم وغير الضالين) وقد روي عنهما جر (غير) في الاثنين ونصبهما فأصبحا أربع حالات)

(قرأ عمر بن الخطاب وأبي بن كعب "غير المغضوب عليهم وغير الضالين" وروي عنهما في الراء النصب والخفض في الحرفين)

١١- الضالين في قرآننا لم تسلم من قراءة غريبة وهي (الظالين بهمزة بدل الألف) وقد وجد له القرطبي عذراً:

(وقرأ أيوب السخيتاني: "ولا الضالين" بهمزة غير ممدودة كأنه فر من التقاء الساكنين، وهي لغة. حكى أبو زيد قال: سمعت عمرو بن عبيد - يقرأ: "فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان" [الرحمن: ٣٩] فظننته قد لحن حتى سمعت من العرب: دأبة وشأبة. قال أبو الفتح: وعلى هذه اللغة قول كُثير: إذا ما العوالي بالعبيط احمأرت)

في سبع آيات هناك ما يزيد عن عشرين اختلافاً في القراءة وزيادة ونقصان وتبديل.

فما يقول الذي أتحنفنا بالفرق بين القرآن والقراءة ولنعم ما خرج من فيه من درر، نتوسل إليه أن يهدينا إلى قرآنه مع جزيل شكرنا إليه.

ويبقى الإشكال أين تصحيح سند القراءة التي نعتمدها؟ .. غطوا رؤوسكم باللحاف.

الإخوان المسلمون والطائفية

أتمنى أن تعيد حركة الإخوان حساباتها العقديّة والسياسية^(١)، فإن زج القضية الطائفية في تفكير الحركة، والتناغم مع توجهات الحركات الصهيونية العربية، يعتبر انتكاسة كبرى في نسيج الحركة، لأن التفكير الطائفي أكبر مرض يواجه الإسلام والحركة الإسلامية، وكل حركة تتوقع داخل شرنقة الطائفية لا يمكنها أن تكون حركة دفع إسلامي بل ستكون حركة مسيرة خفيةً باتجاهات غير إسلامية، وأكبر دليل الآن هو التقارب العجيب بين حركة الإخوان وبين التوجهات الغربية المعادية لحركات التحرر الإسلامي، وقد اختار الإخوان الاصطفاف مع من يحاصر العالم الإسلامي بدون شعور بخطورة الموقف، وهذا يحتاج إلى تنبيه لكبار المفكرين فيهم بأن يفرزوا المعاني والمواضيع بشكل جديد على أساس أين نحن من المشروع الإسلامي العالمي؟ وهل ما فعله في مصلحتنا أم في مصلحة أعدائنا؟

كان لي لقاءات كثيرة مع القيادات الكبيرة في حركة الإخوان، وعادة يبدأ الإخواني حواراً معي بقوله: نحن لا نفرق بين المسلمين ولا نكفر أحداً، ونحن نحترم الشيعة ونعتبرهم عنصراً إسلامياً فاعلاً في المجتمع الإسلامي، وبعد ذلك يبدأ في بعض النقد السياسي بمختلف المواضيع لنظرية الشيعة في قولهم بمنع الجهاد الابتدائي (الغزو) إلا بأمر المعصوم، ثم يعرج عادة على أمرين مهمين: الأول إيران سواء في زمن الشاه وانحرافه

(١) كتبت في نوفمبر ٢٠١٢م

للغرب، أو زمن الثورة الإسلامية وكونها حركة شيعية وهذا يعني عندهم طائفية مع أن إيران لم تصف نفسها بالشيعية ما عدا نص القرار الدستوري في الاعتراف بأن مذهب إيران شيعي ويجب على الحكومة الإيرانية تنمية المذاهب السنية وتمويلها في إيران وهذا بنص الدستور فهم لا يرون هذا ويرون ذلك النص فقط، بينما هذا النص لم تعمله أي دولة في العالم الإسلامي بل أي دولة في العالم لم تنص على تنمية مذاهب مخالفة لها، وكذا هذا الحال مشابه في الدستور العراقي إلا أن الدستور العراقي لم ينص على مذهب الدولة وإنما فيه نص على حكم الأغلبية ووجوب احترام الأقليات الذي تُرجم بالمحاصرة مع الأقليات على حساب الأكثرية ومع ذلك يعتبرون الحكم العراقي طائفي لأنه أعطى طوائفهم ما لا يستحقون!

وثاني الإشكالات هي عقائد الشيعة وفق الرؤية الوهابية وأهم ما يواجهونها فيه: هو فرية تحريف القرآن الكاذبة بل المعكوسة، وعصمة الصحابة وتقديسهم عند أهل السنة واعتبارهم عمود الدين ولب العقيدة والخلاف طبعاً في فساق الصحابة حيث يعتبرونهم أولياء لا يدينهم نبي بل مشرعون أساسيون، والتقية الجرائمية عندهم بينما هم يمارسونها بما لا يقبله الشيعة حيث يمارسون النفاق والكذب من دون خوف بحجة أن طبيعة السياسة تقتضي ذلك، والإمامة عند الشيعة التي لا يستسيغونها لأنها إمامة الأخيار والمعصومين، بينما يقولون بوجوب إمامة الفجار وعدم جواز الخروج عليهم فهذا شق عصا المسلمين المحرم، وهذه هي أغلب الإشكالات وحين نبدأ بالتوضيح وبيان اشتباههم يتحول بعضهم إلى وهابي صرف لا يقبل المنطق ولا العقل ولا القرآن ولا الحديث الشريف، بما يدل على أنه رافض للتشيع كلياً لمجرد الإسم، وأن دعواه قبول الشيعة واحترامهم كذب ونفاق يقيني، وبعضهم كان يسمع التوضيحات وبيان الاشتباهات ولكنه في الأخير يرى أن

الوقت غير مناسب لبحث هذه الأمور، مع أنه هو من أشكل وهو من بحث وهو من تبرع بتصحيح معتقداتنا، وهكذا نرى أن المداخلة بين الإخوان والفكر السلفي والفكر الغربي الهجين لها مضارها على البنية الفكرية للإخوان في العقود الخمسة الأخيرة، فإن اقامتهم للعزاء على روح الساقطين السافلين أبناء صدام الخائن للإسلام والعروبة وخادم إسرائيل الأول يعبر عن نزعة طائفية غير مبررة وعن انحراف في بوصلة الحق والحقيقة وتحديد الأهداف، فإن هجوم الأمريكان على حليف لهم لا يعني أنه ارتفع إلى مستوى النزاهة والقداسة، وهذا التفكير سقيم جداً، ويكفيك أن الإخوان في العراق هم صداميون وأمريكان بامتياز حتى أن رئيسهم طارق الهاشمي يقود فرق الاغتيالات البعثية بعينها ويقتل علماء ومفكرين الشيعة، ويتمسح بالأمريكان ويطلب حمايتهم، ويحرضهم على السياسيين الشيعة ويصفهم بالطائفيين لأنهم شيعة مع أنهم يسمحون له بالمشاركة في الحكم، بينما هو يطلب من الأمريكان تسليم البلد له وطرد جميع الشيعة (انظروا إلى موقع البصرة البعثي المدعوم إخوانياً)، وهذا يعني أنه غير طائفي، بينما من يسمح له هو بالمشاركة في الحكم بنسبة ٣٠ بالمائة بينما لا يتعدى نصيبه الحقيقي نسبة عشرة في المائة، فهذا طائفي لأنه شيعي يمثل الأغلبية في العراق، بل هو يُفنع الأمريكان والمخابرات الأردنية والمصرية بقوله أننا أهل السنة أكثرية في العالم العربي، وأن الشيعة أقلية كما يدعي، فعليه يجب أن لا يحكم شيعي في العراق أبداً ويجب أن يعطى الحكم للأغلبية المحيطة بالعراق، وهذا منطقي يشبه منطقي جحا حينما ذهب إلى البقال فقال له أنت تطلبني سبعة دراهم وتطلب القاضي عشرة دراهم فإذا نقصنا قيمة طلبي من قيمة طلب القاضي فأصبحت أطلبك ثلاث دراهم فهاتها فنقده إياها بناءً على صدق الشيخ ودقته في الحساب، هكذا منطقي يواجهنا به هذا الإخواني الشرس الذي يقبض ملايين الدولارات من دول الخليج ليقتل الكفاءات الشيعية بالكواتم وقد أثبتت عليه المحاكم العراقية أكثر من ٣٠٠ جريمة إغتيال منصوصة ومعترف

بها غير المجهولة لحد الآن والتي قد تتجاوز عشرة آلاف قتيل مهم، وهو يكذب ويدعي بأن المحكمة سياسية، مع أن السياسيين عملوا ضد القضاء وهربوه للحفاظ على حياته لأن بداية الحوادث كانت ١٥ حالة اغتيال مثبتة وموثقة رسمياً في المحاكم العراقية وحكمها الإعدام فهربوه.

فهل يقبل الإخوان بهذا المنطق المعوج النابع من عقلية طائفية تابعة لمن يغذى من الحركة الصهيونية؟

إنه سؤال متروك لهم، فهل يعيدون حساباتهم للعودة إلى العقيدة السليمة والتفكير الإسلامي العام لإقامة دولة الإسلام بمختلف أقاليمها وخصوصياتها؟ ولكن كأمة متقدمة قوية مؤهلة لأن تكون هي القوة العظمى في الأرض كما هو حال السوق الأوروبية أو الولايات المتحدة الأمريكية أو حلف الناتو وغيره من الأحلاف العالمية الكبرى المتحكمة في الإنسان اليوم.

إن الإخوان المسلمين وحزب التحرير يعيشون حالة من الفصام الفكري العجيب، فقد وجهنا لهم اسئلة إسلامية عامة وجدناهم صفر اليدين، مثلاً طلبنا منهم تصوراً لإصدار عملة موحدة مرتبطة بالاقتصاد الإسلامي وليس بالعملات الأجنبية بحيث يكون الاصدار إسلامياً وليس تحت إرادة الغرب، فكان الجواب أن هذا أمر غير مهم وسيعالج بعد الحصول على الحكم! وكان جواب حزب التحرير بإبدال العملات بالذهب وكأن هناك ذهباً يكفي لهذه الكمية من المال التي تفوق الذهب عشرة أضعاف بل مائة ضعف، وكلا الجوابين غير صحيح فإن أي دولة لا يمكن أن تصنع عملتها ما لم تدعمها بالقوة العسكرية فإن الدولار

ليس له أساس حقيقي وهو معوم ولكن قوة السلاح الامريكى هي من يدعّمه ، وهذا أمر لا يفهمونه أبداً ولا يريدون فهمه .

وطلبنا منهم تصوراً لصنع القوة الخاصة خصوصاً إمتلاك التشفير في السلاح امتلاكاً وطنياً ، فكان جوابهم بعدم أهمية الأمر ولا يحتاج منهم إلى تصور وتخطيط ، وهذا وغيره من أجوبتهم على أسئلة سرية خطيرة يدل على عدم اهتمامهم بالباب واهتمامهم بالقشور ، وقد انساقوا أخيراً إلى الشعارات وإلى الطائفية في قلب المنظومة الفكرية وهمهم نقد إيران الشيعية بل يسمونها المجوسية بلا أدنى تفكير أو ذرة من الأدب والشرف .

فأحداث غزة أثبتت أمراً في غاية الأهمية وهو أن القيادات الشيعية السياسية تفكر وفق المنظومة الإسلامية مبتعدة عن النهج الطائفي أو الأنانية والتفرد في التعامل العام أو الخاص ، وقد بذلت القيادات الشعبية لقيادات حركة الإخوان كل المساعدات بكرم عجيب حتى ترتفع ، وترفع رأسها عالياً بين الأمم ، فهل رأيتم مساعدات الاتحاد السوفيتي شملت الأسلحة الثقيلة وأسرار تصنيعها؟ أم فعل ذلك الأمريكان مع الحركات التي ساندوها؟ وهل يعلم الإخوان مدى مساهمة إيران ومجموعتها في تصعيد "مرسي" إلى دست الحكم؟

في نفس الوقت الذي يحاصره إخوانهم أهل السنة والإخوانيين بالذات فهذه دولة الكويت اخوانية منذ السبعينات والشيخ جابر كان زعيم الإخوان في الكويت لم تقبل هذه الدولة مساندة الإخوان في غزة خوفاً من دولة خليجية ومن أمريكا وإسرائيل ، لأن نهج الإخوان في غزة هو نهج الثورة على الظلم الصهيوني . وهذه مصر الآن إخوانية وهي تحاصره تماماً وتقتل من يوصل إليهم السلام بفخر ووطنية ، وهذه تركيا الإخوانية لم تفعل في الحقيقة أي شيء لفك الحصار عنهم إلا الإعلام والتمثيلات الاعلامية مثل السفينة

مرمرة الحاملة لجناب العظيم جسماً ومخاً وليد الطبطبائي وأمثاله من المشوهين والكذبة والحاقدين على حركة الإخوان وعلى الشوافع والأحناف، وقد قامت تركيا بأعظم خيانة للفكر الإخواني بتوجيه منظومتهم إلى الجرائم وخدمة إسرائيل في المنطقة بحجة الحريات وطلب الحكم وسلبه من الشعوب.

فأين هذا من ذلك؟

أهل السنة منغمسون في المشاريع الغربية وقد طاشت عقول أغلبهم لينحازوا إلى الطلب الأجنبي لإثارة المشاكل الطائفية لإيقاف التوجه الإيراني اللبناني في مقاومة الظلم والاعتصاب، وفي رفع راية الإسلام عالياً فكان عداؤهم للمقاومة هدفاً مزدوجاً وهو حماية إسرائيل مع إيقاف نمو العالم الإسلامي علمياً وحضارياً.

بينما الشيعة بمختلف طيفهم وفعاليتهم يدعون للوحدة ورفع راية الإسلام بدون أي تفكير طائفي إطلاقاً، وقد قدموا نموذجاً للإرتقاء الحضاري يقرب من الخيال، سواء على الصعيد الأخلاقي أو على الصعيد المدني والعمراني أو على الصعيد العلمي والتقني أو على الصعيد الثقافي أو على الصعيد العقلي والعدلي. وقد صرح لنا أحد علماء السنة بأن ما جرى في العراق من ضبط للشيعة وعدم الانتقام لا يستطيع ان يقوم به أي سني إطلاقاً.

فهنا نقاط مهمة كشفتها حرب غزة ٢٠١٢، ويجب التركيز على مغزاها، وأخذ العبرة من حالة مساندة المقاومة بما يشبه المستحيل لإبقاء روح الانسان الحر داخل قلب الشعب الفلسطيني، بعد أن أكد أعظم وزرائنا العرب بأن الشعب العربي

إنما هم نعاج فقط، فإن هذه المناصرة ليس فيها أي مردود مادي أو معنوي للشيعة وإنما فيها كل الضرر، ولو أراد قادة الشيعة الآن فوراً التوحد والاتفاق مع الغرب وأمريكا بالذات

وقبول إسرائيل لكانوا الآن أسياد العالم، ولرأيت الشيخ الخليجي يفتخر بأن عباءته عراقية صنعت بيد شيعية بدل أن يخفي ذلك الآن، ولرأيته لا يعمل عملاً إلا ويستشير طهران أو بيروت أو بغداد.

طيب الشيعة اتفقوا مع الأمريكان لإزالة صدام، وهذه تعتبر جريمة كبرى ولا يقبل المفكر السني قول الشيعة بأننا سننهي الوجود الأمريكي في العراق، ولكن بعد سبع سنوات تم إنهاء الوجود الأمريكي في العراق بقرار شيعي ومفاوض شيعي ووجود شيعي هو نفس ذلك الشخص الذي اتفق مع الأمريكان على إزالة صدام المجرم، فلو كان قد فعلها إخواني سني فماذا سيقول الإعلام العربي؟ أليس سيفتخر بأن أهل السنة طردوا الوجود الأمريكي وأخرجوا أمريكا وسيكذبون ببطولات لم يفعلوها، بينما القادة العراقيون الشيعة قاموا فعلاً بأعظم الأدوار حيث أنهم الوجود الأمريكي ولم يقبلوا حتى الهبات الأمريكية وعرضوا أنفسهم للخطر حتى انهم لم يستبقوا المعدات الامريكية وذهبوا ليشتروا الاسلحة من روسيا، فهل فعل سني ذلك؟ ولو فعلها فما هي الدعاية له؟

نحن إذن نواجه منطقاً أعوجاً وإغماض عن الحقائق وعن مصالح المسلمين الحقيقية.

أيعقل يا إخوان أن تكون بحدود ربع مساحة الأرض تحت المسلمين وفيها أكثر من ثلث ثروات العالم المعدنية وتبقى هذه البلدان بلا إرادة وبلا عملة وبلا قوة وبلا هوية تمثلها أمام الأمم المتحدة! بل تبقى بلدان فقيرة محتاجة لغيرها بشكل مذل تشتري حتى الجبن والحليب من فرنسا وهولندا والدنمارك!

فهل لهذه الدول التي واردها يقارب أربعة تريليونات من الدولارات صوت في مجلس الأمن؟ أم نستجدي من الكبار تفعيل البند السابع ضد بعضنا؟ أيعقل أن هذا البند لم يطبق

إلا على المسلمين؟ وقد طبق على العراق لأول مرة في حياة الأمم المتحدة بطلب عربي، والآن تطالب الدول العربية تطبيقه على سوريا! فهل نعي ما نفعل؟ وأين فكر الإخوان من هذا الذي يجري لصالح إسرائيل والغرب؟ فلماذا لا نطالب به ضد إسرائيل التي اخترقت قرارات الأمم المتحدة التي حددت مساحة إسرائيل على أن تكون دولة متكافئة للشعبين اليهودي والعربي في الداخل والخارج ولهما الحق في تقرير المصير داخل إسرائيل المحددة بمساحة ما قبل العدوان الإسرائيلي سنة ٦٧ ولكن إسرائيل تجاوزت على قرارات الأمم المتحدة وخصوصاً قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الهام جداً، وكذا قرار الجمعية العمومية ١٨١ الداعي إلى تساوي الحقوق بين العرب واليهود والمسمى بقرار التقسيم وقرار ١٩٤ الداعي لعودة اللاجئين وتعويضهم عن خسائرهم، وكذا قرار مجلس الأمن ٣٣٨ سنة ٧٣ الداعي إلى مرجعية القرار ٢٤٢ الذي ينص على وجوب انسحاب القوات الإسرائيلية من أراض احتلت في النزاع الأخير وفي النسخة الفرنسية (من الأراضي) وهذا يحدد مساحة إسرائيل بقانون دولي ولكن إسرائيل ملتزمة بالتعدي على هذا القرار وقد قامت بمجازر بشعه داخل الأراضي التي دعاها مجلس الأمن من الخروج منها، فلماذا لا يطالب القادة العرب السنة بالبند السابع حاكماً على إسرائيل؟ ولماذا طالبوا به ضد سني في العراق وهو صدام حسين الذي يتباكون على فقده؟ وضد نصف سني ذو حكم سني خالص في سوريا وهو بشار الأسد؟

ولنقرأ المخالفات الإسرائيلية الصريحة: [فلم تلتزم "إسرائيل" بتنفيذ التعهدات التي أبدت الاستعداد لتنفيذها خصوصاً ما جاء في بروتوكول لوزان من قبول بقرار التقسيم وعودة اللاجئين وملاحقة قتلة الكونت برنادوت واحترام الوضع القانوني لمدينة القدس، فقد صرح بن غوريون أمام الكنيست في نهاية ١٩٤٩ أن "إسرائيل" تعتبر قرار التقسيم قراراً غير

مشروع وغير موجود " كما قدمت وزارة الخارجية الإسرائيلية مذكرة إلى اللجنة الفنية المنبثقة عن لجنة التوفيق تقول فيها: "إن الساعة لا يمكن أن ترجع إلى الوراء.... إن عودة أي لاجئ عربي إلى مكان إقامته الأصلية إنما هي شيء مستحيل " وكذلك بالنسبة لقرار التقسيم فقد صرح أيضا بن غوريون: " قبول التقسيم لا يلزمنا بأن نتنازل عن شرق الأردن، لا يستطيع أحد أن يطلب من الآخرين أن يتخلوا عن أحلامهم، سوف نقبل بحدود الدولة كما ستحدد الآن، ولكن حدود الآمال الصهيونية هي شأن الشعب اليهودي وحده، ولن يستطيع أي عاملٍ خارجي الحد منها"، وهو الأمر الذي مضى إلى تأكيده مناحيم بيغن ببعيد ذاك الإعلان عام ١٩٤٨ بقوله: "تجزئة الوطن شيء غير شرعي لن نعترف به أبداً. وتوقيع المؤسسات والأفراد اتفاق التقسيم باطل، ولن يقيد الشعب اليهودي. القدس كانت وستبقى عاصمتنا إلى الأبد. أرض "إسرائيل" سوف تعود إلى شعب "إسرائيل" [.

فهذه حقيقة إسرائيل التي لم تقبل صراحة الإلتزام بقرارات الأمم المتحدة وسارت بطريق العدوان، فلماذا لا يُقَدِّم القادة العربان الجربان بتقديم إسرائيل إلى البند السابع الذي يدمر البلد كلياً ويجعله تحت وصاية الأمم المتحدة يتحكم به موظفون لا تزيد كفاءتهم عن كفاءة الحمال عندي، وقد تعاملت معهم شخصياً فوجدتهم عبارة عن لصوص ومجرمين ومرتشين وقد حاولت إرسال بضائع عادية إلى أهلي فمنعني هؤلاء الموظفون الأشاوس ممثلي البند السابع في برنامج النفط مقابل الغذاء وأدعو أن إطارات السيارات التي أريد إرسالها يمكن أن تكون أداة عسكرية قاتلة فحين سلمت المعلوم إنقلب المنع إلى موافقة وأن الإطارات أصلاً ليست بضاعة عسكرية وعلمونا حيلة جهنمية تتعلق بالوزن فإذا كانت أقل من ٦٠٠ كيلو فإنها لا تدخل في المنع وهذا عرفناه منهم بعد دفع المقسوم، هكذا حالنا نحن العرب

نقع تحت يد الأقرام والحرامية بينما إسرائيل أساس البلاء في المنطقة لا نطالب بوقوعها تحت البند السابع ، فهنيئاً لنا بقادتنا الاشاوس الأبطال على شعوبهم المقهورة المفقرة وهم أغنى الأغنياء في الأرض حتى لو لم يعملوا إطلاقاً فقد حباهم الله الثروات التي تُسرق عياناً من قبل أشرار مكشوفين. هل يستطيع الإخوان المسلمون التحرر من هذه الغيمة العظيمة لرؤية الأمور بوضوح أكبر؟

هذا متروك لهم، وحرب غزة هو المنبه الفعلي لإعادة الحسابات، فإن من يساعدك وأنت تشتمه وتعلن كراهيته مع أنه يؤمن بنفس قضيتك ويساعدك عليها لاغياً كل الخصوصيات الإثنية والإعتقادية يحتم عليك إعادة الحسابات في شتمك وكرهك له بل في تعاملك معه وفي رفضك لفهمه ومعاداة نهجه.

هل يوجد دليل على استثناء الإمام علي

من سرّية أسامة؟

لقد درست كل غزوات النبي وسراياه في كتب السيرة وكتب التاريخ، فكانت هناك حقيقة وهي أنه إذا خرج النبي صلى الله عليه وآله أخرج إما جميع المسلمين أو أغلبهم، وإذا بعث سرية بعثها بالأسماء والأعداد المحدودة، وهذا يمكن سبره وإحصاؤه بسهولة، فسرّية أسامة إنما بعثها بأعداد معينين تعييناً ولكن المعين ترك تعيين رسول الله صلى الله عليه وآله له. فالسرّية في الغالب واجبها عيني وليس كفاً لأن الرسول صلى الله عليه وآله يعين الأشخاص والأعداد وهو إما أن يسأل من يتبرع لذلك كسرية كعب بن الأشرف وغيرها فيعينهم أو يعين الأشخاص ابتداءً كسرية جعفر الطيار حيث عين الجيش تعييناً بأسمائهم وخصوصاً القادة حيث عينهم ورتبهم وأخبر الأول والثاني والثالث وقد قتلوا بالترتيب.

فالسؤال الذي يثيره الجهلة بالإسلام وبالرسول صلى الله عليه وآله وسيرته إنما ينبع من فكرة خاطئة وهي أن أمر الرسول في السرية لجميع المسلمين كما هو حال قيادته للحرب ومن لا يذهب فعليه لعنة الله، فهذا جهل كبير بالحقيقة التاريخية، وإنما لعن رسول الله من عينهم بالتحديد ولم يتبعوا قوله. وقد برر لهم وعاظ السلاطين بأنهم أشفقوا على رسول الله، بينما الواضح أنه اختار من يجب إبعاده عن المدينة في فترة وفاته وهم عرفوا ذلك وفهموه، ولهذا عقدوا (العقدة) وشم اقتحموا السقيفة وفعّلوا الشنيع، وتركوا رسول الله حتى

أنهم لم يصلوا عليه ولم يحضروا جنازته وقد برر لهم وعاظ السلاطين بخطرورة أمر الأمة وهذا هو ما قصده الرسول من تعيين الولي بعده لخطرورة أمر الدين والأمة ولكنهم عملوا ضد أمره حتى مهدوا لبني امية أن ينزوا على منبر رسول الله ومهدوا لانحراف الدين عن أصله بحيث أصبح الإسلام داعش والنصرة والوهابيين عبدة الأُمرد لعنه الله.

الخلاصة أنه مع هذه الحقيقة التاريخية فعلى من يسأل هذا السؤال أن يثبت أن علياً كان مرسلاً في هذه السرية وقد خالف وامتنع كما فعل الأشياخ، وليس أن يسأل أين الاستثناء؟ فإنه لم يكن مكلفاً أصلاً حتى يستثنى! إنما الكلام فيمن كان فعلاً في هذه الحملة أو السرية، وإلا لوجدنا ذكره في من كان معهم ولوجدنا اعتذارهم لأشياخهم قديماً بتخلف علي وشمول لعن الرسول له حاشاه، فكل هذا عبارة عن كلام شياطين وجهلة يحرفون الحقائق ويبنون على ما يجهلون من أجل إبعاد قضية خطيرة تمس شخصيات يعصمونها في حين هذه الحادثة تمثل إدانة خطيرة باعترافهم من خلال هذه التبريرات فإنهم يعرفون أن الحادثة تحمل الإدانة الحقيقية عندهم وكل ما يريدون فعله هو تلوين الإمام علي - حاشاه وهو المقدم في حروب رسول الله - بهذه الإدانة حتى لا يتكلم الشيعة بكشف الحقيقة وإثارة التساؤل، ولا نقول أكثر من ذلك.

قبر السيدة زينب عليها السلام

السيدة زينب عليها السلام أحتُلف في مكان قبرها، والقضية تاريخية والأرض كلها قبور الصالحين وأرواحهم تلف الأرض بالبركة والعطاء رغم أنوف بني تيمية، وأنا شخصياً أزورها لو كان لها ألف قبر لأن قبرها الحقيقي في قلوبنا كمحبين للنبي وأهل بيته عليهم السلام ونحميه بأنفسنا من حقد كفار قريش وأتباعهم من الوهابية وأمثالهم من الوحوش البشرية.

فقد قال جماعة من العلماء منهم السيد محسن الأمين أنها دفنت في المدينة ويبدو أنه اجتهاد وليس مستند لكلام مؤرخ موثوق حيث لم نعثر على أثر لذلك القول في كل كتب التاريخ، فلهذا لم يعتنى بهذا الفرض أصلاً.

ومنهم من قال أنها دفنت في ضيعة زوجها عبد الله بن جعفر الطيار رضوان الله عليهما في الحجيرات في غوطة الشام عند أولياء أمير المؤمنين بني همدان، لورود ذلك في روايات شفهية عند السنة والشيعية في الشام وقد قرر هذه الروايات ابن بطوطة حينما زار دمشق وقد عثر الشيخ جعفر المهاجر على روايات عديدة في كتب التاريخ.

ومنهم من يتمسك أنها دفنت في أرض مصر أيضاً لروايات شفهية في القرون الخمسة الأولى، ولكل من الرأيين الأخيرين قرائن وشواهد تاريخية بالإضافة إلى الروايات الشفهية، ولا يمكن الجزم عند العلماء.

إلا أن ظهور الكرامات بل المعاجز فعلاً مما يعجز العقل عن تصور حدوثه في كلا القبرين في مصر والشام جعل جماعة من العلماء تذهب إلى وجود بنتين للإمام علي عليه السلام مدفونتين، واحدة في الشام وواحدة في مصر وهذا مروى أيضاً، وذلك للشواهد التاريخية التي أشار إليها علماء التاريخ والرجال.

لكن بعض العلماء بعد أن اطلع على كتاب «أخبار الزينبات» وهو لعالم شيعي عاش في القرن الثالث وهو من بني هاشم ورواتهم وأخبارهم ومن رجاليهم والعارفين بأخبار الرجال والرواة وأهل البيت، وهذا الكتاب يروي رواية إبعاد السيدة زينب عليها السلام عن المدينة لحماية بني أمية من انتشار الأخبار والدعوة للتمرد على الشيطان وهذا قبيح عندهم، وقد توفيت فيما يبدو بظروف غامضة في مصر كما في روايات دفنها في مصر.

والكتاب هو للسيد الشريف العبيدلي، وهو أبو الحسين: يحيى العبيدلي المدني، العقيلي الأعرجي، بن الحسن بن جعفر الحجّة بن عبيد الله الأعرج، ابن الحسين الأصغر، ابن الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام^(١).

هذا الرجل روى تفاصيل ما جرى لها من ظلم بني أمية لعنهم الله ولعن من اتبعهم إلى يوم الدين، وقد تمسك بقبول قوله جماعة من العلماء.

(١) وُلد العبيدلي سنة ٢١٤ هـ في المدينة المنورة، وتوفي سنة ٢٧٧ في مكة المكرمة. وهو يُعتبر من علمائنا بالمدينة المنورة، وساداتها الشرفاء الكرماء في القرن الثالث الهجري. وقد روى له النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ، والحافظ أحمد بن محمد بن سعيد ابن عقدة الهمداني، المتوفى عام ٣٣٣، والشيخ المفيد، والشيخ الصدوق في كتابه (من لا يحضره الفقيه)، والشيخ الطوسي، وابن شهر آشوب، والعلامة الحلبي في (تذكرة الفقهاء) وغيرهم من علماء الرجال.

والحق أن روايته مع احترامها وقدمها تبقى رواية تاريخية يجب أن تسند بأدلة كثيرة، والاستناد بالكرامات والمعجز الظاهرة اليقينية أمر مشترك للمقردين فلا تصح مائراً ولعل القلب يميل إلى أن القبرين لبنتي أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعليهما، وليس الأمر سراً حتى تكشفه لنا البهائم.

فلا يوجد نص من المعصوم على قبرها، وهو ليس بشرط عندنا في غير الإلزاميات من الأحكام والاعتقادات، وزيارتها ليس أمراً تعبدياً وإنما للتعبير عن الحب والولاء الذي يعرفه الله من قلوبنا وأفئالنا، وأما الوهابية فلو كان عندهم الأخذ من المعصوم شرطاً في الأحكام الشرعية لما حكم إمامهم ابن تيمية بجواز استعمال الكرينج، قبحه الله.

يبقى أن نقول أنه أثير موضوع قبر السيدة زينب عليها السلام حينما أرادت إسرائيل اسقاط الحكم السوري عدوها الخطير، واستعصى تهديم قبرها عليها السلام على عتاة المجرمين الفسقة الكفرة عابدي الفرج والدولار المسمين بالثوار من الوهابية والقاعدة ومجاهدي النكاح وأشباههم من المجرمين، فأخذوا ينشرون بين الناس أن هذا ليس قبر السيدة زينب وما شابه ذلك عسى أن ينخذل المدافعون عنه، فلم يتمكنوا من ذلك ونحن نعلم بأنهم لو فعلوها لما بقت إسرائيل التي أمرتهم بذلك.

فيا زميلنا الوهابي المنحوس، اعلم أن أموال ودسائس الحكام الخليجيين عبّاد إسرائيل وخدامها وقوة كل اتباع الشيطان الرجيم لا يستطيعون النيل من آل البيت عليهم السلام فقضيتهم خاصة وقد أدركها زنديق بني أمية عبد الملك بن مروان حيث أوصى حاشيته وولده بقتل الشيعة وعدم التحرش بآل البيت فإنهم ما تحرش بهم أحد إلا فنى.

موضوعك هذا لا قيمة له إطلاقاً من الناحية الشيعية فلا نطالب أصلاً برواية المعصوم في غير التكاليف، ونحن نرى أن اثبات الوقائع التاريخية لها أصول تختلف عن أصول علم الحديث، وأما من الناحية السننية فإن إخواننا أهل السنة يشاركوننا احترام السيدة زينب عليها السلام وقبرها، ولا مانع عندهم من زيارة قبرين لها كما رأيناهم بأمر أعيننا يزورونها في مصر وحين يأتون إلى الشام يزورونها بحب واحترام بخلاف الزنادقة الوهابية أعداء أهل السنة وقتلتهم.

رأي السيد محسن الأمين في قبر السيدة زينب عليها السلام

بقي أن يُقال السيد محسن الأمين كان مبشراً بنظرية أن السيدة زينب عليها السلام دفنت في المدينة، وقد اعتبره السيد القزويني في كتابه عن السيدة زينب عليها السلام مؤسس النظرية هذه، والذي أعتقده أن هناك غيره ممن كان يميل لهذا لكنه هو الأشهر والمعروف بين من تعصب لهذه النظرية، وكان منظرًا شديد التعصب لهذه النظرية، ولعل مبدؤها الشك بطريقة اثبات الحقائق في المجتمع السني الذي في الشام، وبما أن القول بأن هذا الذي في الشام هو قبر السيدة زينب عليها السلام هو قول أهل السنة أنفسهم واعتمادهم ذلك وقول أهل المنطقة المتوارث جيلاً بعد جيل فهو يشك في أقوالهم وقد صرّح أن أصل الدعوى من جهة لا يوثق بها، ولكن السيد القزويني قال أن كتب التاريخ تنص على وجود أرض لزوجها عبد الله كما أن الشيخ جعفر المهاجر العاملِي حفظه الله يقول بأن وثائق الهمدانيين في الشام تنص على احتضانهم لقبر السيدة زينب عليها السلام في منطقة الحجيرات طيلة الفترة الأموية، كما أن السيد القزويني أشكل على نظرية السيد محسن وتعصبه لها بإشكال طريف وهو كيف أوصى بدفنه عند باب السيدة زينب عليها السلام في الشام وهو لا يؤمن بوجودها هناك؟ وأن هذا القبر من اختراع السنة في الشام كما يقول!

أقول: فهو إما أن يكون قد تراجع عن قوله وآمن بوجود قبرها هناك وهذا ممكن، فاعتقد فعلاً أن السيدة زينب عليها السلام مدفونة هناك لأدلة تعقلها بعد أن نشر نظريته، وهذا العدول شائع عند العلماء لأنهم اتباع الدليل، وإما أن يكون قد نظر في الكرامات والمعجز

الأكيدة التي حدثت في زمنه - وهي تحدث يومياً لليوم - فعرف أن صاحبة القبر عظيمة مقربة من الله بشكل يفوق التصور وهذا لا يكون إلا لكبار الأولياء مثل سيدات أهل البيت عليهم السلام فلا بد أن يكون للسيدة زينب عليها السلام علاقة بهذا الموضوع تأثيراً على أقل تقدير فلماذا دفن هناك، فيكون وفق هذا الاحتمال لم يخالف نظريته ولكنه آمن بالتأثير لنسبة المكان إليها وهذا يكفي في الحقيقة.

وهذا هو رأي أغلب علماء الشيعة حيث لا يؤكدون مكان قبرها ولكنهم يؤكدون بكل تأكيد تأثير المكان المشار إليه باسمها وبفعلها المنسوب إليها، وهذا في الحقيقة سار في الكثير من الأحوال في حال تأثير أولياء الله في المكان المنسوب إليهم، وهنا أذكر بقصة مزار شريف في أفغانستان فإنّ شاه أفغانسان رأى أن غالب أهل أفغانستان يذهبون لزيارة النجف الأشرف لزيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا حسب رأيه هدر للمال الأفغاني فقرر نصب قبر باسم أمير المؤمنين في أفغانستان نتيجة خفة الدين لدى قادة السنة، فاخترع قصة غريبة جداً وهي أن جسد أمير المؤمنين عليه السلام حينما حمل إلى القبر في ظهر الكوفة (النجف) وضع على ظهر ناقه ففرت الناقة به فلم تقف إلا في أفغانستان فعرفه أهل الإيمان في المنطقة ودفنوه، ونشر هذه الإشاعة المضحكة، وأكد أنّ هذا هو قبر أمير المؤمنين الحقيقي كما وردنا من رواياتهم في الموضوع، ولعله استند إلى أقوال بعض غلاة النواصب الذين ينفون أن قبر أمير المؤمنين عليه السلام في النجف هو قبره الحقيقي وإنما هو قبر المغيرة بن شعبة وأن جسد أمير المؤمنين فرت به الناقة مع أنه لم يحمل على ناقه قط في رواياتنا وقصته مشهورة وإخفاء قبره مشهور ولا يعلم به إلا بعض أهل البيت لا كلهم حتى تم كشف قبره في زمن أمن الأئمة عليهم السلام على بقاء حرمة من النواصب أكلة لحوم الموتى، المهم أن القبر المزعوم الذي اخترعه شاه أفغانستان أصبح مزاراً للأفغانيين السنة وقد ظهرت منه

الكرامات والمعاجز بما يحير الألباب مما لاشك فيه أنه من تأثير ولي الله سلام الله عليه مع أن زواره من السنة فقط وهذا يعني أن أي بقعة تنسب إلى ولي الله يمكن أن تأخذ التأثير الذي يريده قاصدوه، والقصاص المؤكدة في مثل هذه النسب الأكيدة لعموم أولياء الله، وهذا لا يفهمه نباشوا القبور.

تقييم الدكتور مصطفى جواد

أحببت أن أهمس في أذنيك بعض الهمس الخفيف: مصطفى جواد لا يُعتمد إطلاقاً في أي بحث بما فيه اللغوي، ليس من جهة اعتقاده لكونه "علي اللهي" بل لكونه يتصنع البحث وهو ليس بباحث فحتى برنامجه الشهير «قل ولا تقل» لا يعتمد عليه كثيراً وخذ من ذاكرتي هذه المقولة له (لا تقل بحاثه وقل باحث لأن البحاثه هي الدجاجة) فالدكتور لا يفرّق بين الوضع والاستعمال فإن البحث للدجاجة صفة وليست اسماً استعمل مع الزمن، وقد نسي وجود المشترك اللغوي، وقد نسي أن استخدام المتأخرين يصحح الإطلاق وهو على حد سواء مع استخدام القدماء لأن العبرة ليست بالزمن وإنما بالتعارف للتفاهم بين أهل اللسان، وخذ من هذا حمول. وأما أبحاثه التاريخية فلم يعتمد عليها أحد لأنه جهاز استنساخ رديء، ويتميّز بعدم التمييز.

على كل حال هو شخصية هلامية حنقبازية لو أحدثك عنه بدقة لعجبت بشكل لا يصدق فلي به معرفة دقيقة.

وهنا أقول بأن منطقة جامع براثا الحالي هي منطقة مقبرة أهل الكرخ وأن خلف براثا بمسافة ١٠٠ متر أو يزيد قليلاً أهم قبور علماء السنة والشيعية ومنهم قادة الصوفية الذين كانوا يدفنون عند منطقة جامع براثا للتبرك لكونه مكان كرامة متوارث التعيين شعبياً حيث أسلم الراهب لكونه رأى شمائل الوصي عليه السلام فأمن وحمد الله على إدراكه، وقد قرأت أن هذا المكان بالذات له احترام وتقديس عند النصارى والله أعلم.

ولا شك في أن مصطفى جواد من أنشط الأساتذة الذين ساهموا في بناء الثقافة في العراق وهو متخصص في الدراسات التاريخية واللغوية، وهذا من ناحية أكاديمية، لكنك ستلاحظ بسهولة أنه لم يترك بصمة، فليس هناك مدرسة له ولو بالتفكير وإنما يذكر في النوادر، على أنه كان يحاول تحصيل المعلومات الفريدة ليتفرد بها.

ومع هذا فإنه غير معتمد علمياً عند من يعرفون ماهية المصادر العلمية وإنما يستأنس برأيه أو يستفيد الباحث من خلاصاتها واستقصائه لكثير من المعلومات.

أما شخصيته فهي قرقوزية بكل معنى الكلمة وسأتيك بمثال حقيقي حدث في بيتنا لتعرف القضية على حقيقتها: حينما أنشأ الشيخ محمد رضا المظفر كلية الفقه تحمس له الكثير من المخلصين فقرروا توثيق هذه الكلية رسمياً فقدموا طلباً ختمه الشيخ محمد رضا المظفر وأرسل للمعارف لتسجيل كلية الفقه، فأحال الوزير الكتاب إلى لجنة الجامعات فقررت اللجنة تأليف لجنة لدراسة مناهج الكلية وجاءت اللجنة إلى النجف برئاسة طائفي وعضوية مصطفى جواد وشخص آخر، وفتحوا الكتب وقرؤوها من الشرائع واللغة وأصول الفقه والمنطق وما شابه ذلك، وذهبوا إلى بغداد فتفاجأ الوسيط المتحمس بأن اللجنة كتبت بأن كتب هذه الكلية لا تصلح لمستوى الكلية وأنها أقل من مستوى معهد ديني (يعني مدرسة ملاً)، فأخبر صاحبنا الوزير بما حدث فقال ماذا أعمل مع هذا القدر الذي أفرغ حقه بشكل طائفي في التقرير، يقصد رئيس اللجنة، فقال له أعد اللجنة برئاسة طائفي وضع معي مصطفى جواد، فقال الوزير أنه موقع على الوثيقة بأن مناهجها بمستوى الثانوية ولا تصلح للكلية فقال نعم أعرف ولكن ضعه معي، فأتى به إلى النجف وفتح كتاب الشرائع فقال له إقرأ لي هذا السطر فقرأ فقال له يا مصطفى هل تعرف ما قال المحقق فقال ليس بالتمام، فشرح له ما قاله فتعجب على عمق الطرح، ثم أخذ عينة أخرى ثم أخذ كتاب آخر وأثبت

أن مصطفى جواد لا يفهم مواد هذه الكلية لعمقها وقدرتها العلمية العالية فكتبوا أن مناهج هذه الكلية - وعددها نفسها - لا شك أنها أعلى مستوى بكثير من البكالوريوس وهي أقرب للدكتوراه، ولا يوجد في العراق أي كلية تقدم برامج بهذا المستوى من العمق والفكر وتم التوقيع من رئيس اللجنة والعضوين مصطفى جواد وشخص آخر ومنحت الكلية اجازة العمل الرسمي المعترف بها ككلية أكاديمية في العراق، وهذه القصة تكشف لك الكثير من الخفايا.

لقد سألت أحد العلماء فقلت له لماذا لم تجعلوا مصطفى جواد معكم في زمركم؟ فقال أن هذا الرجل لا يمكن أن يكون عالماً وإنما هو ناقل للمعلومات بدون إتفات إلى تناقضها، وهو ضعيف الشخصية ويمكن تبديل رأيه بسهولة فمع أنه جزم في المرة الأولى وسيجزم في المرة الثانية، لأنه قَطَاع وقطعه غير حجة، وهناك أمور كثيرة أكتفي منها بهذا.

في المجال التاريخي كان نافعاً بنبش بعض المعلومات بقدر ما أخفق في غيرها، مثلاً كتب عن جناحة أنها مسكونة من قبل صنفين لا ثالث لهما وهما يهود وأكراد جاوانيين (أي أكراد ديزفول) ونسيت في أي من كتبه ولعله في كتابه «جاوانية: القبيلة الكردية المنسية»، وقد راجعنا الدراسات والأبحاث فتبين صحة هذا المقال وأن هذه المعلومة صحيحة من أكثر من أربعمئة سنة وهي متناقلة شعبياً تماماً، وقد ثبت أن أهل بعض أفراد جناحة يتكلمون لغة أقرب للعبرية يسميها أهل المنطقة - القاقية - نسبة إلى تكرار حرف القاف، وهذه سمة اليهود المنحدرين من أصول بابلية. وقد سئل بعضهم عن سر هذه اللغة فيقولون بأننا اخترعنا لغة للتفاهم الخاص والحقيقة أنها لغة العبريين ممزوجة بالأكدية الحديثة ولكن أهل المنطقة لا يعرفون اللغات.

أما قولك أنه كان في كتابه «رحلة أبي طالب خان» يحاول أن يتستر على شيء أو يدفع تهمة، فلا أدري ما هو، ولكنه كان يستتر عقيدته، التي لعلها من عقيدة الكاكاوية في شمال ديارى سابقاً وهي على العموم علي إلهية سواء كانت كاكاوية أم لا؟

تأملات في زيارة وارث

طلب مني أحد الأخوة رؤوس نقاط للتفكير في سطح زيارة وارث لا في عمقها؛ فكتبت هذه الرؤوس لنقاط عسى أن تنفع قلب العاشق لله:

زيارة وارث تعبير عن أهمية زيارة الحسين عليه السلام، فزيارة وارث تصرّح بأن الإمام وارث كل النبوات والفضائل الإنسانية لأفضل خلق الله على مر التاريخ، إنه وارث الحكمة للأنبياء والأولياء، إنه وارث الولاية لكل الأولياء المعصومين.

إنه وراث العلم لأعظم العلماء الملهمين من قبل الله ومؤسسي العلوم للبشرية منذ آدم حتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي قال: سلوني قبل تفقدوني فإنني أعلم بطرق السماء كما أعلم بطرق الأرض.

إنه وارث الأسرار من أصحاب الأسرار.

فهذا التصريح بزيارة وارث، إنه وارث كل الفضائل والشرعيات عبر التاريخ وأعظم الشخصيات في التاريخ، يعني أننا نزر مجمع الوحي الإلهي ومجمع الولاية الإلهية العامة، ومجمع العلم والسر والرسالة لهداية البشرية بهدى الله.

إن زيارة وارث تعلن أن مركز سعادة الإنسان هو التآسي بوارث كل النبوات، ووارث كل الاستقامة لكل الأنبياء والأولياء، إن زيارة وارث احتوت على مفصل فكرية وعقائدية خطيرة جداً.

أولاً: الإقرار بوراثنة الحسين عليه السلام للأنبياء في كل صفاتهم وأكثرها أهمية.

ثانياً: الإشارة إلى أنه ابن السلسلة الطاهرة وربيب حجرها الطاهر من النبي محمد وأمير المؤمنين علي والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليهم الصلاة والسلام.

ثالثاً: إن قضية الإمام الحسين هي قضية إلهية منسوبة لله مباشرة، وأن ظليمتها هي ظلم لله، فهو ثار الله وابن ثاره وهو الوتر المتوتر لله، أي أن قضية الإمام الحسين هي قضية العدل الإلهي وقضية تجسيد ظلم الظالمين في الأرض على مدى التاريخ من السابقين واللاحقين، فهي قضية كونية من جهة وقضية رمزية من جهة ثانية فهي رمز لكل ظلم في الأرض وسيكون الحسين هو عنوان الاقتصاص من كل ظلم حين يعلن الله عدله المطلق يوم القيامة.

رابعاً: إن الإمام الحسين لم يغادر شريعة الله وعمل بها أحسن العمل وعمل بسنة رسول الله حتى الموت.

خامساً: سنّت زيارة وارث لعن الأمم الظالمة والمتخاذلة عن الحق، حتى لا نكون منها، ولنستلهم من لعن الظالمين ولعن أمة قتلت وأسرجت وألجمت وتهيأت للقتال، أن لا نقبل أن ننخرط في الظلم ولو بمقدماته وشروطه الأولية، بل يجب أن نعرف أن اللعن حتى للأمة التي سمعت بذلك فرضيت به ولم تعره بالأ، فإن الإهمال والرضا بفعل الظالمين مصيره اللعن والإبعاد عن رحمة الله. وهذا من أشد حالات التقييد للمسلم، كما أنه من أشد حالات تنبيه الأمة للابتعاد عن فعل الظالمين ولو قلبياً.

سادساً: أن زيارة وارث نبهتنا إلى مسألة خطيرة، وهي تزوير رجال السلطة لقضية خطيرة، حيث يقولون بأن الديانة الحقّة قبل الإسلام هي النصرانية فقط، بينما الحقيقة أنهما ديانتان حقتان والثانية المسكوت عنها أحق بالإتباع، وهي الحنيفية التي كان عليها آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد صرحت زيارة وارث أن الحسين عليه السلام كان حسب الزيارة «نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تتجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها»، إن هذا تعبير عن نقاء وطهر آباء النبي الأنبياء حسب دين إبراهيم الحنيف عبر إسماعيل عليه السلام. وليس كما يكذب بني أمية باعتبارهم كفاراً والعباد بالله. بل إن الرسول الكريم بنى مسجده في المدينة على مقربة من قبر أبيه عبد الله وكان القبر موجوداً معتنى به من قبل المسلمين حتى أزاله الوهابيون بعد تسلطهم على المدينة المنورة، وهذا يدل على أن والد النبي من أهل الإيمان الذين يعتنى بقبورهم والزيارة صريحة بذلك.

سابعاً: أن الامام الحسين هو ركن الإسلام ودعامة الإيمان وبدون الإيمان به لا يعتبر الإسلام حقيقياً ولا الإيمان مكتملاً، وهذا هو معنى ما ورد في الدعاء «وأشهد أنك من دعائم الدين وأركان المؤمنين، وأشهد أنك الإمام البر التقي الرضي الزكي الهادي المهدي، وأشهد

أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى والعروة الوثقى والحجة على أهل الدنيا»
ورحم الله الشيخ الخواجة نصير الدين الطوسي حين قال :

لو أن عبداً أتى بالصالحات غداً وود كل نبي مرسل وولي
وعاش ما عاش آلاف مؤلفة خلوا من الذنب معصوماً من الزلل
وقام ما قام قواماً بلا كسل وصام ما صام صواماً بلا ملل
وطار في الجو لا يأوي إلى حلال وغاص في البحر لا يخشى من البلبل
فليس ذلك يوم البعث ينفعه إلا بحب أمير المؤمنين علي

فإن ولاية علي وأهل بيته شرط أساسي في الإيمان وقبول الأعمال، وهذا الأمر يكاد يكون من ضروريات الإسلام، ولعل أبسط دليل عليه هو جعل أجر الرسالة حب الأربعة من أهله واقتران الصلاة عليه بالصلاة عليهم وتوقف قبول العبادات على الولاية والبراءة وغير ذلك من الضروريات.

ثامناً: الزيارة تنص على أن الإمامة محصورة في ولد الحسين عليه وعليهم السلام، فإنهم حجة الله على العباد «وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى والعروة الوثقى والحجة على أهل الدنيا»، ومعنى الحجة هنا أن الله سبحانه وتعالى سيحاسب العباد بناء على عدم التمسك بمنهج من أعدم الله لبيان أحكامه وهديه الشريف.

تاسعاً: دعوة صريحة للإيمان برجعة الأئمة عليهم السلام في آخر الدنيا، وظهور كرامة الله على أيديهم «إني بكم مؤمن وبإيابكم موقن»، هذه الرجعة التي حاربها أنصار السلطان الغاصب للشريعة الإسلامية.

عاشراً: تبريد القلب وإنعاش الروح باتباع الحسين وأهل بيته والصلاة عليه وعلى كل ما يعلق به وما يذكرنا بحضورهم وغيببتهم وأرواحهم وأجسادهم، فإنه نور تام مشتق من الله سبحانه وتعالى «قلبي لقلبيكم سلم وأمري لأمركم متبع، صلوات الله عليكم وعلى أرواحكم وعلى أجسادكم وعلى أجسامكم وعلى شاهدكم وعلى غائبكم وعلى ظاهركم وعلى باطنكم».

منهجية استدلال دجال البصرة على إمامته

إن المعصومين أشاروا إلى وجود شخص اسمه اليماني وإلى اشخاص ممهدين وإلى أولياء المهدي قبل المهدي^ع، وقد وردت روايات تقول أن المهدي^ع له أبناء وخلفاء من دون البحث في صدق الصدور.

ادعى رجل أنه اليماني ابن المهدي ورسوله، وبعد ذلك أصبح هو الحجة المهدي القائم ولكنهم يوهمون أنه غير الإمام المهدي فالقائم المهدي عندهم غير الإمام المهدي محمد بن الحسن).

كيف يثبت أن هذا هو المقصود بالروايات المحوّرة المعنى والمختلة الموازين في الصدور؟

الطريق أن يلجأ العبد إلى الله فيستخير الله ثم يطلب المنام حتى يأتيه أمر الإمام المهدي الذي لا نعرف هل هو أحمد السويلمي لأم الحجة بن الحسن عجل الله فرجه الشريف.

فتكون نتيجة الاستخارة جيدة ولو بعد مائة استخارة سيئة كما حدث لبعضهم إلا أنهم لا يخبرون بذلك، ويكون نتيجة المنام هو أمر قابل لأي تفسير فيفسر بالطريقة التي تكون لصالح صدق الدعوى وفي الغالب أن صاحب المنام ليس هو من يفسر المنام بل من أخبره بالاستعداد للمنام هو من يفسر له ذلك بطريقة بهلوانية مضحكة في كثير من الأحيان.

ثم يتم الاستئناس بالنصوص المفبركة للرد على الشيعة الضالين المضلين عندهم من الأئمة الطاهرين إلى يومنا هذا ما عدا الأخذ بمتشابهات غير ثابتة وردت عن الأئمة وغالبها فيها

خطأ من النساخ وفي غير ذلك لا علاقة لهم بالأئمة ولا بما يقولون، وهذا لا يعرفه صغارهم ولكنهم سيمارسونه بالتدرج وسيقعون فيه بقوة وعزم شديد.

وهذا كل ما في الموضوع، ستقول لي أ يعقل هذا؟

أقول لك أما بالنسبة لغير الشيعة أو للقرويين غير المتعلمين الذين بالكاد سمعوا بالإمام المهدي فهو معقول جداً فإن الأمر عبارة عن ورقة بيضاء يرسمون فيها ما يشاءون.

ولكن المشكلة في بعض أهل العلم والدارسين في النجف ولا نقصد بهم المدسوسين أصلاً فهؤلاء موجودون وقد جهزهم صدام لهذه المهمة، ولكن هناك أبناء أسر متعلمون! فخذ مثلاً الرجل الموقَّع على مشجرة أحمد الحسن بأن جده سلمان منقطع النسب! أي لا يعرف من أبوه؟ فهو إذن ابن الإمام المهدي مباشرة ما دام لم يعرف أباه! مع أنه معروف ومدون في مشجرات السويليين، وهذا الرجل اسمه السيد حسن الحمامي وهو ابن السيد محمد علي الحمامي العالم والمؤلف الشهير ابن المرجع العظيم جداً السيد حسين الحمامي الذي أنتج فحول العلماء مثل الشيخ محمد جواد مغنية والشيخ محمد تقي الفقيه وغيرهم من العظماء.

في سنة ٢٠٠٨ م ألقى القبض عليه لأنه هو مدير المكتب الشرعي ومدير شؤون الطلبة في مكتب ابن الإمام المهدي أحمد الحسن اليماني، وفي التحقيق قيل له: يا سيد أنت سيد ابن علماء ومعهم من نعومة أظافرك والآن فإن الشيبة على وجهك وتدخل في الأمر المشبوه؟ فقال بالحرف الواحد أن الدليل قام عندي وهو حجة عليّ. فقيل له: ما هو هذا الدليل؟ فقال: الاستخارة! فإن اليماني دعاني إلى طاعته وطلب مني سؤال الله جل وعلا أن يبين لي أمره. فاستخرت الله أكثر من عشر مرات وكانت الاستخارة نفسها بلا تغيير تأمرني باتباعه وهذا يدل على نفي الصدفة والقصدية وأن الله أراد ذلك وأشرف بنفسه على

اعتقادي وعملي، فهذا أنا مقتنع تمام القناعة بذلك. ففيل له طيب أنت تلجأ للاستخارة ولا تفكر بعقلك ولكن ألا ترى أن هذه الحركة عدوانية وضد التشيع وهي تتسلح وتقوم بأعمال اراهيبية؟ فقال: يشهد الله أنني لم أسمع بذلك وليس لي به أي معرفة فأطلعوه على وثائق وبعد مدة تم إخلاء سبيله. فإذا كان توقيعه على مشجرة الكذب في نسب هذا الدعي بعد الحبس فهو قد رجع إليهم ولا صحة لما يظهره من تجنب هذا الأمر كما يرغب اخوته وأهله وأقاربه، وإذا كان قبل ذلك فإن ظاهر هذا السيد الآن هو الابتعاد عنهم ولا نعم حقيقة الحال هداه الله إلى الصراط المستقيم، فما تقول في هذا وفي إقامة الدليل الحجة عليه. هل تعلم بأن هذا الموضوع وتكرار الاستخارة التي هي اتفاق بين الساحر وبين الشيطان مبنية على ترويح فكرة التكرار الإحصائي الذي يستحيل معه الصدفة.

المشكلة أن هذا السيد وغيره لم يفهموا بأن نفي الصدفة لا يعني بأن الفاعل هو الله، بل هو الشيطان بنفسه وهذا ما لم يفهمه، فإن نفي الصدفة صحيح تماماً ولكن النسبة إلى الله خطأ فإن الاستخارة تعتمد على الدعاء وقبوله فإذا أراد الإنسان أن يضل فالله لا يجبره ولن يهديه سواء السبيل كما دلّ صريح القرآن الكريم، فإن من يترك هدى أهل البيت للذهاب إلى الادعاءات لا يستجاب له فيأتي الشيطان لملأ الفراغ وهذا أمر درسه الشيطان وحزبه جيداً.

ولو كان هذا السيد دارساً وعارفاً بحركات الشياطين وقدراتهم وأفعالهم لعرف بكل بساطة أنه كان يجب التحصين قبل الاستخارة، وكان قبل أن يفكر بالاستخارة عليه معرفة هدى الشخص ليعرف هدى رؤيته فهل هو مهتد بالتشريع وهل هو مهتد بالعقيدة وهل هو مهتد بالأخلاق وهذه هي الأركان الثلاث للفكر والسلوك، فأين الهدى منه؟ إنه سمح لنفسه أن

يرث عداوة أبيه لأبناء السيد الحكيم فقبيل الهجوم على المرجعية واعتبارها مرجعية ضلال يجب القضاء عليها، وهذا ناتج عن عقدة وتوارث عداوة بين أبناء مراجع، فوافق الأمر هواه وهو على باطل أساساً فحتى لو كان هناك ملاحظات ليس للحسد دخل فيها، وهو داخل قطعاً، فإن من غير السليم الطعن بنفس المرجعية لخطأ بعض متعلقها كالأبناء، فلا يصح منه أصلاً الذهاب إلى الاستخارة قبل السؤال عن هدى هذا الشخص وهدى دعوته.

والذي ظهر لحد الآن أن لا هدى إطلاقاً في أي أصل من أصول الدين وفروعه، ويكفينا الصلاة على محمد وآل محمد ذات الدخل الخطير بالهدى، والوضوء الذي لم يفعله أحد إلا هم، وهذا عين الضلال، وأما مصيبة أن الإمام المهدي القائم الحجة المنتظر يتحول إلى أحمد بن إسماعيل السويلمي وأن الإمام المهدي الذي يعتقد به السنة والشيعه هو شخصية أخرى هامشية، وأن المقدمة تصبح هي النتيجة والنتيجة تصبح أمر ثانوي فهذا عين الضلال والإضلال.

أساليب مكافحة التشيع

فتح المدعو اليماني البصري (دجال البصرة) فضائية تكلف حوالي مليون إلى أربعة ملايين دولار بالإضافة إلى الكلفة السنوية بحدود مليون دولار، وهناك مصارف كبرى أخرى يصرفها على المستبصرين في مصر والمغرب العربي وغيرها بالإضافة إلى تكوين مجاميع منها مسلحة وغير مسلحة في العراق وكل من آمن بطريقته ظهر عليه تحسن الحال فجأة واعتبر ذلك معجزة كما هو واضح.

وقد حاولنا فهم هذه الحركة المريبة، فتبين لنا أن بدايتها ليس مهمًا فنحن نعرفه ونعرف من صنعه؟ وكيف ذلك؟ ومقدمات ذلك الأمر؟ من قبل أن يولد هذا الشاب، وإنما المهم توظيفها لصالح مخابرات إقليمية بدواع طائفية في السنين القريبة الماضية وهذا هو الأهم.

للأسف دولة الإمارات تورطت في هذا الأمر بشكل أساسي حسب معلوماتنا مع تورط بعض الدول الخليجية الأخرى في التمويل، وكل قصدها هو محاولة إيقاف نمو التشيع في الحواضن السنوية نتيجة تفتح أفكار الناس والقراءة المتنوعة ومحاولة تشغيل العقل لدى الكثير من شباب أهل السنة.

وطرق مكافحة هذا التشيع المنتشر بين الشباب - بدون دعوة شيعية أصلاً - متعددة، منها التشهير والكذب على التشيع ومنها نشر مغالطة المداخلة بين الشيعي والتشيع مع إيجاد نموذج مصنع للشيعي السيء من أجل ضرب التشيع، ومنها الإرهاب والتعنيف وإصدار قوانين مخيفة لكل من يتشيع وكأنه يرتكب فجوراً يجب أن يفضح أو يعاقب عقاباً جسدياً

أو مالياً أو نفسياً، ومنها استخدام الفكر الشيوعي بطريقة معكوسة ومنها استهداف نفس المستبصر وتدميره مالياً واجتماعياً وفكرياً وهزه هزة خطيرة في حياته، وهذه الأخيرة هي الطريقة التي اختارتها بعض المخابرات نتيجة خبرة المخابرات العراقية التي طبقت في العراق وفي البحرين في نهاية الثمانينيات وأواسط التسعينيات من القرن الميلادي الماضي لتدمير التشيع من الداخل وكان النجاح محدوداً إلا أنه مؤثر في الطبقات المغفلة، وكانت هذه الطريقة مؤثرة في حياة المستبصر الوله للمعرفة فهنا تتبرع المخابرات لإيجاد طريقة لحشو الأفكار الخاطئة ولإيجاد مرجعية مصنعة بديلة تعتمد على الخيال والكذب والسحر ومهمة هذه المرجعية فصل المستبصر عن المرجعية الشيعية بل يتحول إلى عدو للمرجعية الشيعية، ومن ثم يقدر أمره عندهم فإذا انخرط تماماً في المشروع فتنبناه تلك الجهات لنموه في تدمير الآخرين وإذا لم يكن فعالاً فيمكن تدميره نفسياً نتيجة خلط الأفكار وإماتة المنطق السليم الذي دعاه إلى التشيع من خلال الولوج في هذا الفكر المندس باسم التشيع.

وهذه العملية الآن تأخذ منحى خطيراً بين المستبصرين الذين لا نعرفهم أصلاً لعدم علاقتنا بهم في أغلب العالم العربي.

وأهم الطرق الحديثة لتدمير نفسية المستبصر هي إدخال مذاهب براقية في حقيقتها إلى المجتمع المتحول، تعتمد على الظاهراتية البروتستانتية المتحولة إلى القصدية والنسبية معاً بمزج الماء بالزيت ودعوى السفارة والروحانية والإشراق الروحي باستخدام أدوات السحر المعروفة تماماً للخبراء وأهم شيء في هذه الحركات هي بحوث الدلالة القائمة على الحداثية ونسبية الحقيقة ونسبية المعرفة وتفريغ النص من قصد المتكلم، وبعد أن يتورط الباحث عن الحق المستبصر بهذه العملية تختل عنده الموازين وتعتمر في نفسه الإنفعالات النفسية شديدة الخطورة على حياته وعلى مستقبل أسرته، ويتحول إلى عدو للتشيع الذي

آمن به بنفسه بدون دعوة أحد وأكثرهم تأثر بتنبيه صديق أو من مشاهد على الانترنت أو من قراءات دينية متعددة الإتجاه بأي وسيلة من وسائل القراءة والمشاهدة والسماع.

إن الكثير من المتورطين بهذه المناهج مثل حركة أحمد الحسن اليماني، هم في الحقيقة ممن لم تتوفر لديهم المعلومات الكافية التي يمكنها كشف هذه الألاعيب وإيقاف التدهور في نفس الداخل بهذه الحركة، فقد وجدنا أن أبسط المعلومات الشيعية لا تتوفر عند هؤلاء المساكين الذين يتحوّلون بإيمانهم بهذه الحركات إلى شرسين خطرين يدعون لقتل أعدائهم المفترضين ويمارسون العنف إذا اقتضت الضرورة وقد قاموا باغتيالات حسب تقدير المشغّلين لهم لكل من يشكل خطراً على دعوتهم بشكل سري مهما استطاعوا كما اغتالوا اثنين من أبناء النسابة البصري الذي كذب أساس دعوة اليماني النسيية ونسبه للإمام المهدي كذباً.

ولهذا فإن على المثقفين الشيعة والدارسين تكريس الأبحاث لتبيان أبسط الأمور لهؤلاء الذين يداخلون المعاني ويجهلون أبسط مرتكزات فكر أهل البيت عليهم السلام وذلك على أقل تقدير لإيجاد حصانة عند المستبصرين أو الشيعة الجهلاء في القرى أو الأماكن النائية.

الدين الجديد للأيزيدية

معلوم أن الفرقة «الأيزيدية» تقول أن ديانتها خليط بين ديانات قديمة، ونحن نتكلم عن الفرقة «اليزيدية» المعروفة في التاريخ والتي دافع عن مبادئها ابن تيمية في رسالته الخاصة ودافع عنها ابن كثير في تاريخه.

سوف تقول بأنهم نفسهم، فأقول لك اسمع هذا مني جيداً حفظك الله.

منذ أن نشأت هذه الفرقة بتعليمات ابن أبي العزاقر الشلمغاني القائل بتقديس الضد بعد أن لعنه الإمام ونفاه من الشيعة ثم طلبته الحكومة العباسية للقتل لأنه ارتد عن الإسلام، وقد قتل في الأخير، منذ ذلك اليوم وجد بعض الأمويين المتطرفين في عشيرة مسلمة أموية كردية جاهلة فغذوهم بالأفكار العجيبة وأهمها تقديس الضد فالحسين عظيم ولا يعرف إلا بضده يزيد والمعرف خير من المعرف به، والله عظيم لا يعرف إلا بضده إبليس وهكذا. ونشأت هذه الفكرة فجاءهم أموي بعلبكي شهير اسمه "عدي بن مسافر" الأموي الشامي، وهو تلميذ عبد القادر الجيلاني الحنبلي، فتبنى تطوير الفكرة فأصبح نبياً عندهم ويقدمونه أشد التقديس وكان يأمرهم بالقتال ويستقذرونهم كالشيطان يأمر بالمنكر ويعيب على فاعل المنكر، فبنى لنفسه قفصاً في حياته، وزائريه يأتونه ليقبلوا القفص وهو في داخله، واستمر حالهم هكذا ولكنهم كأكراد واجهوا عداوة الترك والسخرية منهم بل والحرب عليهم عدة مرات حتى إزدادوا تخلفاً وبعداً عن الحياة المدنية وأصبحوا من خشونة الطباع وقباحة الأفعال ما يعجز عنه الواصف، وقد وصف أفعالهم كما شاهدها وبإشرافهم وتفسيرهم لكل تلك الأفعال السيد عبد الرزاق الحسني وقد تحقق من كثير من القضايا وعاشر والد تحسين

بيك وجده وكان تحسين بيك صغيراً في عمر لا يتجاوز ١٦ سنة حينما أقام عندهم عبد الرزاق الحسيني رحمه الله. وقد رأى بعينه الطاووس والقرآن مطموسة فيه بعض الحروف والكلمات التي طلب الشيطان طمسها منهم كما يقولون لأنها مخالفة لتعاليمه والقرآن هو كتابهم الديني بشرط طمس بعض الأمور معللين أن ذلك مما حُرف على الديانة.

تحسين بيك كتب في التسعينات في مجلة الألف باء العراقية مقالاً خلاصته: أن أبا سفيان كان حارساً لرمز الشيطان وهو طاووس من ذهب وبعد انتصار الاسلام أخذ الطاووس وحافظ عليه وعاهد أولاده وعشيرته على المحافظة عليه، فحافظ امراء بني أمية على رمز الشيطان وحين تضعع حكم بني أمية قرر الأمويون الحفاظ على هذا الطاووس فنقلوه إلى جبل سنجار في جبال قفراء من أجل المحافظة على دين عبادة إبليس، وهم في بعض الأحيان يبررون عبادة إبليس بنفس تبرير الهنود الحمر وبعض القبائل الفرعونية بحجة أنه إله الشر وهو من يجب أن يخاف منه البشر بينما الله إله الخير ليس لديه إلا الخير فلا يجب أن يخاف منه البشر فهم في تصالح مع إله الخير وتقارب مع إله الشر ليحوزوا رضا الاثنين في جولة نفاقية بين الإلهيين، ويدعي تحسين بيك أن الرمزية التي منحها الطاووس لهم هي من شكل العقيدة اليزيدية، وهذه خلاصة مقاله وللأسف أنا بعيد جداً عن المجلة الآن.

لكن في الثمانينات من القرن الماضي صدرت أصوات من ألمانيا تناصر هؤلاء وهي طبعاً ألمانية من باحثين في الديانات واللغات والآثار التي يجمعها علم التاريخ عند الألمان، وقد لجأ إليهم بعض اليزيديين فقال لهم علماء الآثار الألمان بأنكم قوم أصليون في المنطقة وأنتم بقايا ديانة قديمة عمرها أكثر من خمسة آلاف سنة من أصول سومرية بابلية لا زلتم على ما أنتم عليه منذ تلك الفترة لغة ودينًا وعادات وتقاليد نتيجة التدقيق في مفردات اعتقاداتهم مع

* تحسين بيك سعيد، أمير اليزيدية منذ صيف ١٩٤٤، وهو من مواليد ١٩٢٣.

العقائد القديمة المدونة على الرقم، وأن إلهكم هو الإله نابو (الذي يقده الأوربيون لهذا الزمن) وأنكم لا تعبدون الشيطان وأن طاووس ملك ليس هو الشيطان عينه (كما يقول اليزيديون أنفسهم) وإنما هو رمز لملاك الرب، وأن معبدكم الصحيح هو معبد (أزيد) في مدينة برس في الحلة، وإليها ينسب الحافظ رجب البرسي ويقال أنها موقع حرق إبراهيم عليه السلام، وأن اسمكم الصحيح ليس اليزيدية وإنما الأزيدية نسبة إلى معبد أزيد ولكن بعض اليزيدية قالوا أنها كلمة فارسية (آي زييد) تعني كذا وكذا باللغة الفارسية القديمة، فبني على هذا الأساس الجديد مفهوم جديد للديانة اليزيدية وهو ما يدل على رغبة من أبناء هذه الديانة للتخلص من نفس الديانة لتشكيلها خطراً على وضعهم المدني في العالم حيث الإنغلاق في التعاليم بشكل لا يتخيله الإنسان خصوصاً في التعامل مع المرأة ومع نظافة البدن ورغبة للتعايش مع الألمان الذين اخترعوا لهم هذا الاختراع المناقض لحالهم الديني والاجتماعي، فتغير الخطاب اليزيدي وتحولوا من يزيدية تعبد الشيطان إلى أزيدية تجمع الديانات ويقولون تارة أن ديانتهم إبراهيمية أي حوالي ٤٠٠٠ سنة وتارة يدعون أنها ما قبل الإبراهيمية ٥٠٠٠ سنة وهم لا يدرون! وأن كل ما بأيدي الأزيديين هي عقيدة شفوية حتى المكتوبة منها من قديم لأن بعض المكتوب لا يتطابق مع أصل عقيدتهم وهي عقيدة خليطة من ديانات سابقة.

اجتمعتُ باثنين من كبارهم وهما مدير الوقف الأزيدي، وعالم ديني في الدين الأزيدي ودار حديث مطول معهم. وخلاصة ما قاله ما يلي: نحن مظلومون وقد دمرنا الأتراك وقد حرقوا كل ما نملك عدة مرات فأصبحنا بلا تاريخ ولا عقيدة مكتوبة وفقدنا كل شيء ونحن عقيدتنا شفوية تماماً والآن بدأنا كتابة عقائدنا وفق العقيدة الشفوية، وشعبنا عبارة عن شعب فارسي قديم (كردي قديم) حافظ على اللغة والتقاليد بالتوارث وعلى أصول الديانة

البابلية السومرية الإبراهيمية الثنوية (وكل هذه تناقضات).
فدار حوار طويل بيننا لا يمكن اختصاره بسهولة ولكنني سأحاول أن أضعه بطريقة سؤال
وجواب وهو فعلا كان اسئلة وأجوبة أكثر مما كان نقاشاً دينياً وهذه الأسئلة والأجوبة
تختصر كل اللقاء، فسألنا وأجابونا بما يلي:

س: متى بدأت ديانتكم التي تدعونها؟

ج: قبل خمسة آلاف سنة من أيام إبراهيم الخليل ونحن إبراهيمية.

س: إبراهيم منذ أربعة آلاف سنة تقريباً وليس خمسة والفرق ألف سنة فكيف تفسرون هذه
الثغرة؟

ج: نحن لا نعرف ولكننا كنا أصحاب ديانة قبل إبراهيم وجاء إبراهيم فدمجنا ديانتنا
بديانة إبراهيم فأصبحنا إبراهيمية.

س: هل أنتم ثنوية؟

ج: بكل تأكيد نحن من أصحاب العقائد الثنوية التي كانت قبل خمسة آلاف سنة ولا زلنا
ثنوية لحد الآن (يعني يقدرسون الله والشيطان معاً).

س: إبراهيم دعوته لنبذ الثنوية والديانات التي بعده اليهودية والمسيحية والإسلام كلها
حرب على الثنوية لأنها وثنية شركية فكيف تكونون مسلمين لله الواحد الأحد على الديانة
الإبراهيمية وثنوية بنفس الوقت تعبدون إله الشر كما إله الخير؟

ج: قالوا ليس لدينا أشياء مكتوبة حقيقة وكل ما سنقوله اجتهادات شخصية قابلة للتغيير، واهم ما عندنا أننا نجمع بين الثنوية والتوحيد بطريقة فريدة.

س: طيب هذا تناقض خطير فلماذا لا تحلونه الآن فأنتم إما موحدون وأما ثنوية فعلى أقل تقدير أعلنوا أنكم تؤمنون بإله واحد هو الشيطان مثلاً إذا كنتم تتحاشون الإعلان عن العدول عن عبادته باعتباره مخيفاً!

ج: هذا لم يطرح من قبلنا.

س: الواقع الاجتماعي الرسمي لكم يختلف مع دعوكم الجديدة؟ (والتي نعلم مسبقاً أنها من إختلاق الآثاريين الألمان وأصحاب الدراسات اللسانية الكذابين).

ج: مثل ماذا؟

س: في عهد صدام أنتم مذهب إسلامي سني صوفي وقد قام صدام ببناء قبر الشيخ عادي (عدي بن مسافر الأموي) كقبر صوفي على الطريقة الجيلانية، بناءً فحماً لم تحلموا به طوال حياتكم في هذه الديانة. وقد كتب ابن تيمية رسالة لكم يؤيد إيمانكم الأموي اليزيدي ويعتذر عنكم لعبادة يزيد باعتباره رد فعل على الإعتداء على المقدس يزيد، وإمامكم هو إمام اليزيدية عدي بن مسافر وقبره هو كعبتكم الآن، وكتابكم المقدس هو القرآن مع طمس بعض الأشياء فيه. فكيف قفزتم لديانات متعددة؟ مع أن الإسلام نفسه يضم تعاليم الديانات التوحيدية فوجود المشتركات عندكم يمكن تفسيرها بسهولة، لأنكم بالأصل مسلمون.

* تجد تفصيل ذلك في كتاب (قطف الثمار من كتابات العلامة المنار).

ج: نحن ديانة متسامحة ونأخذ من الأديان جميعها.

س: هل تأخذون من الأديان خرافات من ينتسب للدين زوراً أو ما هو الأسوأ من الآراء في الإدعاءات المذهبية الدينية، فأنتم ثنوية وهذا أسوأ ما في الديانات! وأنتم جبرية وهذا أسوأ ما في الديانات، وأنتم عبدة إبليس إله الشر وهذا أسوأ ما في الديانات، وأنتم قدستم يزيد وطريقته في الحياة وهذا أسوأ ما في الديانات! وكل هذه السيئات ليست من الديانات الأصلية وإنما هي دخيلة نتيجة الأطماع السياسية والفكر المنحرف عن أصل الديانات.

ج: نحن لا يجب أن نحاكم هكذا لأننا نجهل كل شيء وليس لنا تعاليم مكتوبة وليس عندنا أسئلة كثيرة وليس لدينا أجوبة على اسئلة مفترضة فإننا نحاول العودة إلى أصول ديانتنا وهي بداية جديدة.

وهذا الجواب الأخير هو الجواب المكرر لكل الأسئلة المرحجة حول ادعاء الإسلام إلى ما قبل ثلاثة عقود وأنهم دين يزيد، وحول اختراع تبديل الاسم من اليزيدية إلى الأزيدية وهكذا.

والجواب الأخير يدل دلالة عميقة على أنهم ينتظرون دراسات الغربيين عن طبيعة الدين الذي نسبوههم إليه حتى يفهموا ما به وما هي اجاباته حتى يتبنونه.

فإن هناك تبدل واضح في الدعاوى نتيجة وجود حركة جدية لتفسير دين جديد يحاول أتباع اليزيدية التبديل لهذا الدين الجديد بكذبة أنه هو نفسه وأننا لم نفهمهم قديماً.

بعد كتابة التعقيب وجدت شرحاً في الويكيبيديا يشرح ديانة اليزيدية وهو يعترف بأن الكلام متناقض وغامض ولا يمكن التحقق منه!

الموسيقى والأعيب الدجالين

ذكرنا أن الكنيسة وكثير من الديانات والمذاهب الضالة تعتمد السحر، فهل هذه قضية عميقة لا يستطيع تناولها المشاركون؟

إن أبسط بحث في غوغل سيخرج لهم آلاف الحقائق التي تمكننا أن ندعم بملخص عما قرأناه ونضيف ما لم يصفه الآخرون ليكون خلاصة مهمة تدعم هذا الاتجاه، وإلا بريك هل يعقل أن كل هذا العدد الهائل من البشر ممن يؤمن بالضلال على أنه الحق، وهو أمر سخيف غير مقبول عقلاً وذوقاً فضلاً عن كونه حقاً في الأساس، ومع ذلك هناك المليارات من البشر الذين يؤمنون به كعبادة الأشخاص أو عبادة البقر أو الأصنام التي هي احسن من البقر وما شابه ذلك، فهل آمن هؤلاء بدون تأثير من السيطرة النفسية والروحية على هؤلاء؟ يستحيل هذا، إلا إذا قلنا أن البشر عبارة عن بهائم في الأصل إلا ما شذ، بينما الحقيقة أن الله خلقهم على الفطرة السليمة فيشذ الأغلب الأعم عن الفطرة بفعل النوازع الداخلية ويتلقفه أرباب الدجل والدعوات الغريبة ليرتبوا عقله وفق منهجهم، وأحد أهم السائل هي الاعمال السحرية بمستوياتها المتعددة من الألعاب والخدع البصرية والسمعية إلى الإيحاء النفسي إلى تسخير الشياطين لأحداث غرائب يقال للمغفلين أن هذه أعمال إلهية.

إن التعميق ليس بالضرورة أن يكون إنشاء أفكار مستحدثة، وإنما هو للبرهنة ونقل المعلومات الخاصة بالطروح وإيجاد جو من الاستيعاب لفكرة ما، وسأتيك بمثال بسيط.

هل فكر الأخوة لماذا تستعمل الكنيسة الموسيقى؟ وأن في كل كنيسة في الغرب أداة أو أدوات موسيقية متعددة؟ طبعاً هذا ليس من مختصات الكنيسة فكل أصحاب الديانات والدعوات الباطلة يستعينون بالموسيقى لتثبيت ديانتهم.

هل فكر الأخوة لماذا أعظم موسيقيو الغرب يكون لهم علاقة - إما بأنفسهم أو لأساتذتهم- مسيسة بالموسيقى؟

ثم لماذا نجد عناوين الجنة ودخول الجنة والعيش في الجنان توظف القطع الموسيقية الراقية في الغرب؟ وهذا موزارت كان يقول بأنه يرى الجنة ويسمع موسيقاها وينقلها للعالم الأرضي! فأى جنة هي التي دخلها موزارت أو باخ أو أندريه ريو أو غيرهم؟

ثم لماذا لم تخرج الموسيقى في العالم الاسلامي إلا من أجواء صوفية مرتبطة بالحكام؟

هل هذه من باب الصدفة؟

أم أنها محاولة للتأثير الحسي على البشر لما في هذا الفن من الخدعة الحسية للسيطرة على المشاعر، وبالتالي يمكن تفسير هذه السيطرة بتفسير خادع كأن يقال بأنها «نوع من الانكشاف الروحي لمعرفة الله وهو الطريق الإلهامي الذي ينور للعبد طريقه». ألم يسمع الأخوة بهذا الكلام وأشباهه في الأفلام والمسلسلات العربية وغيرها؟ ألم يقرؤوا هذا الكلام في وصف الموسيقى الهادئة أو الساحرة؟

فلماذا لا نفكر في هذا الكلام؟

الحقيقة أنني أصبحت أشك في أن الشريعة لم تحرّم الغناء لأنه يحتوي على مفساد أخلاقية فقط كما يشاع بل لأنه يحتوي مع الموسيقى المصاحبة على مفساد عقائدية عجيبة.

وليس الأمر يخص ذات الموسيقى وتأثيرها اللطيف على ذات الانسان كما يشهد أغلب البشر، وإنما الأمر يخص التفسير بالخصوص، ولو بالإيحاء بأن الديانة التي تستند عليها هذه الموسيقى هي ديانة تنعش الروح وتقرب إلى الله وتزيد الأمل في قلب الإنسان وهي التي تمثل الحق والحقيقة. فهذه من أخطر الأمور العقائدية، حيث أن المفعول الحسي الكبير على عقل الإنسان وشعوره بالإبتهاج يؤدي إلى ارتكاب الضلال والابتعاد عن الهدى والاكتفاء بهذه البهجة عن التفكير في البرهان على اقامة الدين الحق.

مثل هذا المثال قد يكون في التأثيرات البصرية كأعمال الخفة والترتيب الضوئي وغير ذلك، فهي خدع واضحة لا يقصد بها المتعة بأعمال الخفة وإخفاء الحاجات كعرض سحري لطيف، وإنما يقصد بها اثبات الحق والحقيقة بهذه الأعمال.

فمثلاً، إن من أبسط الأعمال السحرية القديمة المعروفة هي الكتابة على الحجر بواسطة الخل أو الحوامض الأخرى، حتى أن في الهند تغمس القواقع الملونة بالشمع ثم يرسم فيها الرموز الهندوسية وتحك ثم توضع في الخل أو في الأحماض الأخرى فتحفر الجزء المحكوك من الشمع، فتخرج الرسوم أو الكلمات وهي تخترق طبقات الصدف في القوقع بألوانه الزاهية باعتبارها معجزة ربانية، وقد عرف المسلمون الحيلة فأخذوا يعملون هذه الأعمال كزينة وتحف فنية، إن هذه الحيلة القديمة جداً شاهدنا ممارستها في إثبات معجزة كبرى للهنبوشي حيث كتب اسم أحمد الحسن على حجر قبر في المقبرة، وأُنزلت على اليوتيوب كإحدى المعجزات التي تثبت حقه في الإمامة، فإذا كان هؤلاء المنخدعين أو الخادعين يعلمون أن الناس يميزون وأن هناك موجة كبيرة من التمييز فلا يستطيعون إنزال هذه الأمور للدلالة على معجزات الدجال، ولكنهم عرفوا الخلل في النفس الإنسانية والبساطة الزائدة التي تسمح من ذاكرتهم إمكانية الكتابة بالحامض على الحجر، فيجب إفهام الناس بأن أبسط

رية منزل تستطيع ذلك باستعمال مادة الفلاش لتنظيف المراحيض حيث تحتوي على ١٠ بالمائة حامض الهيدروكلوريك، فبواسطة فرشاة بلاستيكية يمكنها كتابة أي شيء على أي صخرة رخام (كربونات الكالسيوم وما شابه ذلك) بل إن هناك مواد لتلوين الرخام وجعل اللون المميز في داخل بلورة الصخرة، بل هناك مواد تلوّن الجرانيت وغيرها وهي موجودة في بعض كتب السحر مثل كتابات الطوخي في كتابه «الألعاب السحرية» وغيره من الكتب الكثيرة بالمئات، وإنما القضية كيميائية صرفة معروفة لأرباب الصنائع من أجل تجميل الأحجار بالمعادن والألوان كفن جمالي، وهؤلاء يستخدمونه بطريقة بسيطة فجة كمعجزة إلهية.

إن التعميق سيكون بهذا الاتجاه، ويمكن أن يأتينا أحدهم بتجارب على البيوتوب بالكتابة على الحجر بمادة الفلاش أو بأن يكتب هو بمادة الفلاش على الحجر كتابات ساخرة وينشرها مع نشر هذه المعجزة العظيمة، ويمكن نقد المعجزة، فمثلاً يمكن نقد النشيد فيها فإنه يقول: (يا موعود إمام) بينما أدلتهم على أنه من المهديين وليس إماماً فليس في أدلتهم أي دليل على إمامته فكيف أصبح يتغنى به كإمام دافعين الفكرة إلى أبعد المديات؟ ثم إن الدائرة وردت مرتين بنفس الحجم ولكن بتشوه في الثانية مما يدل على زيادة السائل الحمض وانتشاره فشوه القالب، ثم إننا نشاهد هذه المعجزة تحتاج إلى إزالة التراب وهذا يعني المعرفة السابقة بها؟ فإنها حيلة مفبركة فبعد أن تم الكتابة بالحامض تترك ليغطيها الغبار ثم يأتي مكتشف المعجزة العظيمة ليمسح عنها التراب بيده أو بالماء وهذه أعمال يمكن أن يفعلها أي شخص منا ويكشف سر هذه الخدعة.

وخير مثال عن كل ذلك هو قراءة ومناقشة فهرس كتاب السحر، فإن هذه القضية مهمة جداً فأنت تقرأ بكل وضوح إجراء الصلاة لإبليس وللشياطين بأشكال متعددة من أجل إجراء

الأعمال السحرية، فإن هذا الكتاب يكشف عن هوية السحر الحقيقي، فإنه لن يكون إلا بعبادة إبليس، ثم إن الأعمال واضحة فهنا عقد السحر وفك السحر، وهذا يعني أن الساحر هو من يقوم بتمريض وإنهاك الإنسان وهو من يقوم بفك ذلك الدمار حتى لو لم تكن عين الساحر واحدة فإن ساحراً يسحر وآخر يفك ولكن من نفس المصدر والنبع. وهذه قضية تحتاج إلى الكثير من التأمل، وهي الداعية لنا بتركيز الإيمان بدراسة الهدى ومعالمه وطرق تحصيله لنميز المطروح قبل أن نفكر في طلب معجز أو ما شابه ذلك، ولعل لهذا السبب لم نر أن كبار المؤمنين آمنوا بالنبى محمد صلى الله عليه وآله بطلب المعجز وإنما لأنهم رأوا الهدى ببصيرتهم النافذة، كما أن أغلب من طلب المعجز اقتنع بأن هذا عمل السحرة ولم يؤمن ولم يناقش المبادئ المطروحة ولم يناقش طبيعة المعجزة التي فعلها النبي التي لا تشبه عمل السحرة، إنه الضلال بعينه والسحر المسيطر على قلوب أهل الباطل كما سيطر على قلب أبي جهل الذي طالب بالمعجز ولم يؤمن، لأنه ليس طالب حق ولا يفهم الحق أو يميزه عن الباطل.

السحر والموسيقى ودعاوى الدجالين الضالين

ليس جديدًا استعمال السحر في الدجل الديني الذي يقوم به الأُدعياء وأهل الباطل، فإن أغلب الديانات التي نعرفها انحرفت بواسطة رجال طامعين بالمال والجاه وقد استخدموا وسيلة السحر للتعويض عن الكرامة الإلهية لأهل الحقيقة، بل إن رجال السياسة لا يفارقون السحرة وقارئي الطالع.

ولهذا فإن كل الديانات الحقّة التي تحولت إلى الباطل كالوثنيات المعروفة في الشرق والشرق الأوسط فإنها انحرفت واستخدمت السحر وأول بلد يذكره التاريخ في استخدام السحر كأساس حضاري هو بلاد سومر وبابل أي العراق حتى قيل بأن الحضارة البابلية حضارة سحرية أي مبنية على السحر. وقد ذكر القرآن أن ببابل يجري تعليم السحر وينفي عن الملكين هاروت وماروت أن يكونا قد علما الناس السحر الأسود وإنما المستخدمون هم من ضل ونسب الأمر للملكين. {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِبِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَيْئَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (البقرة/١٠٢).

وحين انتقل الانسان العراقي إلى مصر وسكن عند النهر الجديد الذي سماه المهاجرون البابليون إلى مصر باسم نهر بابل المقدس نهر النيل الموجودة آثاره لحد الآن شمال الحلة

وعليه قرية تأخذ اسمه (النيل) في محافظة بابل، فاستخدم المصريون السحر منذ السلالات الأولى للحكومات الفرعونية كما كان أسلافهم في بابل.

وما ينقله القرآن الكريم هو أن فرعون موسى كان يستخدم السحرة كجيش رهيب يلعب به على الناس، وكان هؤلاء السحرة هم المسيطرون على عقول الناس، ولا يمكن فهم نوع السيطرة وكيفيةها إلا إذا عرف الانسان ما هي أنواع السحر وماهياته وطرقه ليعرف عمق هذه القضية. فمن يتأمل نص قصة فرعون التي ذكرت أربع مرات في القرآن، يرى أن السحر كان لمجابهة النبوة بإثبات دين أعلى من دين النبي المرسل من الله ولكن الله أفلهم والقصة تعالج قضية مثيرة جداً هي الاختلاط بين المعجزة والسحر ومحاولة أهل الباطل مقابلة المعجزة بالسحر واتهام المعجز بالسحر وقبول الناس لذلك ولكن الله يبطل السحر ويثبت الهدى لأنه أقوى من السحر: { وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُفْرَبِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلِقْ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ * وَالْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَقْبِلَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ } (الأعراف/ ١١٣ - ١٢٥).

{ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِبِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ * قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ

لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ اانْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ *
فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَلَمَّا أَلْقَا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ
السَّحْرَ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ { (يونس/ ٧٠-٨١) .

{ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى * قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى
* فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا *
قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشَرَ النَّاسُ ضَحَى * فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى * قَالَ
لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى * فَتَنَّا زُورًا
أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَأُوا النُّجُوى * قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ
بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى * فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ااتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ
اسْتَعْلَى * قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا
حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى *
قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ
وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى * فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى * قَالَ
آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ
خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى * قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى
مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا
آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَبْغِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ
رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ
فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ
جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى { (طه/ ٥٦ - ٧٦) .

{ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنْ اتَّخَذَتِ الْهَلَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْفَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ * قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَا تَوَكُّ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ * فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةَ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيْبَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْفَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأَلْفَى السَّحَرَةَ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ } (الشعراء/ ٢٦ - ٥١).

هذه الآيات تحتاج إلى قراءة جيدة ومستبصرة لمعرفة أسرار التبليغ الإلهي وأن المعجزة إنما يحتاجها الولي لأن الفراعين يحاولون أن يموهوا الحقيقة حيث يختلط الحق بالباطل فإذا كان الحق بيئاً والباطل بيئاً فلا حاجة لمعجز فكيف إذا كان ما يدعى من معجز هو من قبيل السحر وفعل الشياطين.

وعلى كل حال فإن السحر كانت له مناسبات وعروض ملكية كبرى في الأعياد والمناسبات الرسمية للدولة، وهكذا أمر الله موسى عليه السلام أن يقابل هؤلاء السحرة بحقيقة الولاية والكرامة الإلهية المعجزة، فقدموا عرضهم بأن جعلوا أعين الناس ترى العصي والحبال حيّات تسعى على الأرض بأي طريقة كانت، فأمر الله موسى أن يرمي عصاه ليخزي فرعون المبتهج بهذه السيطرة الكبيرة على البشر، فإذا بعصى موسى تأكل حيّاتهم التي هي حبال وعصي.

فكان هذا الحدث فاصلاً مهم بين السحر والطاقات الخفية عند الإنسان وبين حقيقة الولاية الإلهية والكرامة الربانية للأنبياء.

حيث أن كلا الأمرين ظاهراً معجز ولا يستطيع الإنسان العادي أن يأتي بمثلها ولكن أحدهما دليل صدق النبوة والثاني دليل دجل المدعي وباطله.

السحر غير قادر على تحويل الأشياء كالمسخ وما شابه ذلك إلا بتمويه الحقائق وسحر أعين الناس، بخلاف ما يقوله علماء السنة، بينما قوة الله المودعة في الأنبياء أو التي تحرس الأنبياء والصالحين قادرة على قلب الأشياء حقيقة، فالمسخ المذكور بالقرآن حقيقة واقعية فقد انقلب بعض اليهود قردة خاسئين وماتوا وهم قرود، بينما ما يستطيعه الساحر هو القتل أو التمريض وإزالة سبب المرض الذي سببه الشياطين أنفسهم، فهذه لعبة يستطيعها الساحر ولا تمثل مشكلة كبيرة، غير أن الساحر لا يستطيع شفاء مريض عادي حقيقة إلا إذا كان مرضه له علاقة بالشياطين أو الجن. ولهذا فإن الفشل حليف السحرة وأهل الرقية في معالجة الناس، وما يستعمله السحرة من ضرب من يسمونهم بالمسوسين إنما هي علاج الهستيريا والأمراض المنخولية المعروفة لدى أطباء الأمراض العقلية فهم أنفسهم يستخدمون

الصدمة الكهربائية وهي أقوى كثيراً من الضرب، ولهذا فإن المريض يهدأ فترة ثم يعاوده المرض نتيجة رجوع أعصابه إلى طبيعتها بعد علاجه بالتعذيب والصدمة فيعود لجنونه أو حالته العقلية المختلة، وهذا بخلاف من به مرض السرطان المستفحل فيذهب للإمام علي أو الإمام الرضا أو النبي الأكرم محمد صلوات الله وسلامه عليهم زائراً لقبورهم طالباً منهم تمثيل رحمة الله بما منحهم الله من القوة فيشفى المريض شفاءً تاماً غير مفهوم عند الأطباء وكأن المرض اقتلع من أساسه فلا يوجد له أي أثر. وهذا هو ما قام به النبي عيسى عليه السلام والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في قصص متواترة بشفاء مرضى لا شفاء لهم، وإنما أتيت بذكر الأولياء وهم أموات متعمداً فإن حالة الموت لا يصح معها التقصد والترصد وخلق المرض وإزالته ولا المعرفة به خصوصاً عند المشركين وأتباعهم كالوهابية الذين يقولون أن الميت لا حس له ولا قدرة لديه وهو عدم محض عندهم. فكيف يعرف المرض؟ وكيف يشفى ذلك المتوسل بهم؟ فهذا دليل على إستقلال هذه القدرات عن القدرات السحرية المقصودة وأن الأولياء أحياء عند الله ولهم القدرات التي منحهم الله في الحياة الدنيا كرامة من الله لهم.

سألتُ ساحراً ممارساً عن حقيقة عمله، فقال لي بصراحة أن عمله ٩٥ بالمئة ذكاء (يقصد دجل) وخمسة بالمائة حقيقة، فقلت له إشرح لي الخمسة بالمائة هذه، فذكر لي قراءة الأفكار وعلم الجفر والحروف والتسليط والهواتف والتسخير والجلب وأهمها جميعاً طرق زرع الحب والبغض وهو أكثر الأمور المربحة عنده وقد استفهمت منه بعض الأمور بالتفصيل واختيار طريق صناعتها المناسب له باعتبار تعدد الأساليب، وهذه الأمور التي ذكرها ليست كلها من السحر بل بعضها من القدرات الروحية مثل التيليپاثي (التخاطب) وقراءة الأفكار والتأثير في الأشخاص بالمحبة والهيبة، وبعضها من الأمور الروحانية مثل الجفر والحروف

وما شابه ذلك، وبعضها من السحر كبعض أنواع الجلب والهاتف والتسخير والتسليط والطلاسم وليس كلها من السحر الشيطاني المحرم، فكان هذا الساحر الذي سألته لا يستعمل من السحر إلا قليلاً، حتى أنني قدرت أنه يستعمل السحر بأقل من نسبة واحد بالألف من أعماله، ولعله لا يفرق بينه وبين الأعمال الروحية أو الروحانية، وقد قال لي أن جميع أعماله روحانية شرعية ولكنني عثرت على عمليين سحريين شيطانيين فيما قال أحدها أنه يبعث شيطاناً بورقة فيضعها في مكان خفي في بيت الهدف وحين يدخل إليهم ليبحث عن عمل السحر على أهل البيت فيجد الورقة مخفية في مكان صعب الوصول إليه كأن يكون في قمع تعليق الثريا (النجفة) على السقف، فيصدق أهل البيت أنهم مسحرون فعندها يشتغلهم بالمضبوط ويسلب أموالهم لأنه أقنعهم من البداية أن هناك من عمل لهم السحر ووضعه في دارهم وهو من كشفه بقدراته العظيمة، بينما المكتوب اصلاً ليس من السحر بشيء فقد قرأت واحدة من أوراقه وهي التي شككتني به، فاذا بها خربشات وكلمات وحروف وأرقام ليس لها أي مفعول سحري وكل القضية هو يريد أن يقنعهم بوجود عمل سحري في بيتهم حتى يهدم عليهم بيتهم بالحيلة ليسلب مالهم بالتدريج ويعتاش عليه. وهذا الرجل أصدقني القول لأنه عرف بأن أمره غير خفية عن سائله، نسأل الله أن يرينا الحق حقاً فنتبعه ويرينا الباطل باطلاً فنجتنبه إنه أرحم الراحمين.

فإذن علينا أن نعرف هيكله عامة عن هذه العوالم الخفية التي تسمى عند ناس سحراً وعند آخرين أعمالاً روحية أو روحانية وهي خلط بين مواضيع لا تجانس بينها، وقد قلت سابقاً بأن هناك سحر وأعمال روحية وأعمال روحانية وأعمال سحرية (خفة يد وحيلة تعتمد على التركيز وفقد الانتباه عن الهدف).

هنا نفهرس الأنواع التي يتحرك بها الساحر أو الروحاني حتى تتضح:

١- العمل الروحي (أو الروحاني بضم الراء نسبة إلى روح الإنسان): وهو تسخير قدرات روح الإنسان الموجودة في كل إنسان، وهي تختلف شدة وضعفًا عند الناس، ويمكن تطويرها واكتسابها، ومنها قراءة الأفكار وقوة التركيز لثني المعادن والتأثير بالتكوينيات جزئياً، والحسد (العين وليس تمنى زوال نعمة الغير فهذا أمر آخر ليس روحياً وإنما هو مرض نفسي)، والتنويم المغناطيسي وأنواعه إلى درجة التخشب، والخروج عن الجسد والعودة إليه بما فيها الخروج إلى وديان لا مادية، وقسمة الجسد إلى أقسام، وهناك أمور أخرى تذكر في القابليات الإنسانية الخاصة التي تكتسب بالمران (الرياضة الروحية أمثال الأوراد والتكاليف الشاقة والسيطرة على التنفس والتأمل التي يجمعها مفهوم اليوجا وأمثال هذه الأعمال).

٢- العمل الروحاني (بفتح الراء من السعادة مقابل الشقاء): وهو في الغالب نتيجة الاتصال بالملائكة أو بصالحي الجن أو بأرواح المؤمنين أو باستخدام العلوم الروحانية التي بشر بها بعض الأنبياء والصالحين كعلم الرمل والجفر والحروف والطلاسم التي تحرك خدامها من الملائكة الكرام. إن العلم الروحاني حقيقي وهو ما عند الصالحين من أمور غريبة وغير مفهومة عند المجتمع، فإن بعض الصالحين لهم خدام من الملائكة الأرضيين، ويمكنهم القيام بأعمال يصح تسميتها بالكرامات إلا أنها لا تخرج عن مفهوم الروحانيات، ومنه الطلاسم والحجب وعلوم الرمل والزايحة والجفر وغير ذلك.

٣- السحر: وضابطه تسخير واستخدام الشياطين ومردة الجن بواسطة الاستحضار والطلاسم الشريرة والأعمال الروحية الموجهة للتسليط على هذه القوى الخفية الخبيثة. ومنها: الجلب والهاتف والإرسال والتمريض وإزالة سببه والتخريب والهدم والمحبة والبغضاء لسبب خارجي وتسليط الأعوان والتمكن من إخضاع الانسان لممارسة المحرمات معه وما شابه ذلك.

٤- الألعاب السحرية: وهي أغلب أعمال السحرة بل يكاد يعرف بين الناس أن السحر هو هذه الخفة في الحركة مع فقد المشاهد تركيزه على ما يريد إحداثه الساحر، مثل النيمر المعروفة في المسارح والسيرك وما شابه ذلك وأغلب عمل السحرة (المحترفين للتلبيس على الناس وليس لمن يقول هذه خفة) هو خفة حركة لإقناع المخدوع بالأمر ثم الضحك عليه بأبسط الأمور، لأن الإنسان حينما يصدق من البداية بشيء يصعب عليه تغيير قناعاته وسيحاول ذهنيًا إلغاء أي ظاهرة تبدو متعارضة مع قناعاته فلا يصدق أنه وقع في خدعة، والساحر يركز على التصديق في أول الأمر وهو يجهد في أحداث هذا كثيرًا ثم يرتاح لأن طبيعة الإنسان تساعد بعد ذلك على تغطية حيله وخداعه، وهذا ما يعمله السياسيون والسحرة وأهل الباطل من زعماء الديانات الكاذبة والضالة، فالسياسي إذا استطاع اقناع شعبه بعلو رتبته فلن يحصل أن تهبط عند الشعب مهما عمل من جرائم فإن الناس تحاول إما أن تكذب ما رأت أو تبرر للحاكم فعله القبيح، وقد يدخل استعمال القضايا الحسية السمعية والبصرية كإحياء للجمهور، فقد استخدمت الكنيسة الموسيقى كإحياء بالهدوء والروحي والمحبة والقرب من الجنة حتى أن موسقيهم برعوا جدًا في موسيقى تبهج النفس براحة وليس بتهييج وقالوا عنها أنها من أصوات الجنة التي سمعوها بالغييب أو بالنام كما ادعى موزارت في سيمفونيته الرابعة وغيرها، بل إن الكنيسة الآن ترعى أرقى حالات الموسيقى ويقال أن البابا بنفسه يرعى حفلات الموسيقى الراقية لأنها تهدئ من الطبع فيوحي إلى الناس بأن الهدوء النفسي من دخول الكنيسة إنما أتى من الإيمان وليس من أمر حسي كالموسيقى.

لا أعرف كيف أبحث عن رأي البابا في الموسيقى ولكنني حاولت في اليوتيوب فوجدت كلمة للبابا في حفل عيد ميلاد أحد الرهبان الخامس والثمانون بحفل موسيقي داخل

الكنيسة يعزف سيمفونية موزارت، وقال البابا فيها إن الموسيقى تمثل البحث عن الغفران المسيحي والبحث عن الله.

فقد استخدمت الكنيسة المؤثر الصوتي كخدعة سحرية لراحة الإنسان الظاهرية حتى يشعر بأن هذه الديانة تقود إلى السعادة والراحة الأبدية، وهذا هو بالضبط ما تهتم به الألعاب السحرية حيث استخدام الفيزياء والكيمياء في الإيهام وتغيير التركيز.

وكذلك برعت الكنيسة في الخدع البصرية وأخيراً استعملوا الهولوجرام لإظهار العذراء أو المسيح على كنييسة أو وسط مذبح (محراب) وما شابه ذلك:

<https://www.youtube.com/watch?v=zYknBNef9m4>

تقنية الهولوجرام:

<https://www.youtube.com/watch?v=J7x5ACo5hkM>

وهنا يعترف قس كبير بأن ظهور العذراء إنما هو خدعة كما أظهره مناكف للمسيحيين:

<https://www.youtube.com/watch?v=4qQILGXW9xg>

ومع هذا العرض للهولوجرام هل يصح للكنيسة إدعاء ظهور العذراء أو المسيح بالصورة التي صورها بالفيديو؟

<https://www.youtube.com/watch?v=f0cUGlxcTRk>

كذلك السياسيون أصبحوا يستعملون الهولوجرام، فهذا أردوغان استخدم هذه التقنية لإبهاج الجمهور:

وقد رأينا أن الكنيسة تدافع عن معجزة ظهور العذراء أو المسيح بأنها حصلت قبل اختراع الهولوغرام، ولكن هؤلاء لا يجيبون عن حقيقة أن التصوير الفيديوي للظهور أصبح بعد ظهور الهولوغرام ثم إن الخدع البصرية لم تقتصر على الهولوغرام فهناك أنواع كثيرة من الإضاءة والانطباعات موجودة وتستطيع اظهار الصور وطبعها حتى أن الرسام دافنشي وضع صورة وجهه على قماش كفن يدعى أنه كفن المسيح بالتصوير الفوتوغرافي السري باستعمال نترات الفضة الحساسة للضوء المستعمل في الكنائس قديماً قبل أن يظهر الفوتوغراف بأكثر من ٣٠٠ سنة وادعى بأن هذا هو كفن المسيح وقد حصلت عليه الكنيسة بطرق شرعية، وبعد بحوث أكثر من أربعمئة عام أقرت الكنيسة أن الصورة هي صورة دافنشي نفسه وهي ليست مطبوعة بالدم وإنما بنترات الفضة مع خلائط تعطي انطباعاً باللون الأحمر وذلك بفضل تطور وسائل الاختبار الكيميائي والفيزيائي.

والخلاصة أن استخدام تركيز الضوء وطبعه على شاشة (كالصندوق السحري) قد يكون معروفاً عند الكهنة القدماء مثل كهنة بابل لما ورد من وصف أعمالهم من تضخيم الأصوات وتوجيه الصور والأنوار داخل المعابد بطريقة تحاول اقناع المرتادين بنزول النور الإلهي حيث يتم تفسيره حسيّاً.

فكل هذه الحيل الفيزيائية والكيميائية يستخدمها السحرة وبعض رجال الدين المحتاجين للكرامات المزيفة من أجل اقناع الجهلة بهم حتى تستمر دكاينهم في الإرتزاق باسم الله أو لأغراض عسكرية لتخدير الناس وإلهائهم عما يجري في الواقع السياسي والعسكري والاقتصادي وعض النظر عن الجرائم المرتكبة.

وأهم ما يستعمله السحرة هو السيطرة العقلية وحرف الانتباه وتقوية التركيز على ما لا يريد الساحر فعله وهو في الغالب تابع لمراقبة النفس الانسانية ونقائصها واستغلال تلك الثغرات.

فإذا عرفنا هذا التفصيل البسيط فنقول هنا: إن السحر كوسيلة أعم من مفهوم السحر عند الناس، لأنه عبارة عن إيهاام الناس بأشياء غير حقيقية مثل صحة ديانة فاسدة أو ربط الصلة بإله كذباً وزوراً وما شابه ذلك من أفعال اجرامية واعتداء على الدين وعلى الله سبحانه وتعالى، بل يمكن اعتبار الإعلام الموجه الكاذب نوعاً من أنواع السحر وإلا فبربك أي عاقل يمكن أن يصدق أن داعش شيعية إسرائيلية صفوية، ولكن بما أن الجمهور السني مخدر في تصديقه للسياسيين الكذابين فإنهم صدقوا والآن أينما تنظر لمخالفي داعش من السنة تجدهم يصمونهم بالشيعية الروافض غير مفكرين بقولهم ولا متأملين لحقيقة ما يجري، أليس هذا سحر لعقول هؤلاء السذج البلهاء الذين يصدقون هذه الترهات ويضيفون إليها دلائل عظيمة تبرعاً منهم ليزدادوا قناعة، وقد وصل ببعض اتباع السياسيين من إعلاميين أنهم متأكدون من كون داعش صفوية ويجب قتالها لصفويتها، فبالله عليك أيعقل بأن عاقلاً يقول بذلك؟ ولكن تأثير الاعلام في استغلال الثغرات النفسية وبعض العيوب في طريقة المعرفة الانسانية ونشر فايروس الجهل عن طريق خلط المعلومات جعل كل هذا الذي لا يعقل حقيقة واقعة نراها ونلمسها بشكل مؤلم، حيث ترى الإنسان يتحول إلى بهيمة في تفكيره بشكل يدعو للعجب!

نأتي إلى معاجز أحمد أو حسن الهنبوشي السويلمي الذي اكتشف أن انقطاع نسبه ليس بسبب انعدام الأب مع بقاء الأم بل لأنه ابن الإمام.

في أوائل سنة ٢٠٠٨ كنت أتعالج بالمواد الكيميائية في مدينة مشهد من مرض السرطان أجازكم الله فاجتمعت برجل يظهر عليه الإيمان وهو متحير جداً، لأنه آمن بأحمد الحسن اليماني ويرى أن الشيعة جميعاً يكذبونه، فسألته عن دلائل إمامته فذكر لي الاستخارة والنام ففندتها له، ثم قال أن الأمر الذي لا يمكن تنفيذه هو المعاجز التي رآها بنفسه من هذا الرسول للإمام، فعددها فإذا بها جميعها مما لا يمتنع على الساحر فعله: منها جلب الطعام في الهواء ومنها شفاء المرضى ومنها تحريك الأشياء بأمره التكويني وأهمها الإخبار بما في القلب ومعرفة النيات الداخلية الممتنعة عن الناس. هذا مختصر ما ذكره لي وهو معجب أشد الإعجاب ومتحير جداً، فقلت له: يا أخي هذه كلها غير ممتنعة عن الساحر ويمكن لأي فقير هندوسي أن يفعل أكثر من هذا فقد ثبت أن الفقير الهندوسي يستطيع خلق جسدين له في آن واحد وقد تمت المراقبة بشكل عملي، فمن يقرأ كتاب الفكر الفلسفي الهندي لرئيس جمهورية الهند في أواخر الستينيات من القرن الماضي الدكتور سرفبالي رادا كرشنا، سيجد الأسس التقنية والفلسفية لمثل هذه الأعمال وأنها قد تكون من القدرات الروحية وليست من السحر المعروف فهي كمن لديه قوة عضلات خارقة ويتظاهر بالضعف ولكنه حين الاحتياج يظهر عليه أنه بعدة رجال من القوة ليخدع الناس بالقوة الكامنة، فإن من يقرأ كتاب «سيرة يوجي» في اليوغا للفيلسوف اليوغي «برمهنا يوجا نندا» الذي أخرج روحه طوعاً في ٧ مارس ١٩٥٢ ونشرت الصحافة الحادثة الغريبة وترجمه المحامي زكي عوض - عندي الطبعة العربية الأولى سنة ١٩٥٥ مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة -، فسيجد في هذا الكتاب أن اليوجي قادر على تسخين الجو البارد حوله وتبريد الجو الحار، وهو يستطيع الموت الاختياري (مهاسماهي) والرجوع إلى الجسد ويستطيع أن يعلم الغيبات بأبعد من قراءة الأفكار، ويستطيع أن يعيش بلا أكل ولا شرب ماء مدة أربعين عاماً معتمداً على النور الكوني كما يفسر، ويخلق لنفسه عدة أجساد تقوم بأعمال مختلفة

ويسافر بلا وسائط سفر وتراه في أميركا بعد لحظات من وجوده في الهند وقد تجسد خارج الهند وهو في الهند وألقى محاضرة طويلة حضرها العلماء والمثقفون، ويستطيع إيقاف نبضات قلبه عملياً وإيقاف تنفسه كلياً ولا يموت، وادعى أنه دخل عالم النور فاخفتت المسيحية والهندوسية أمامه وبقيت معرفة الله فقط، ويقول أن من يحظى بمعرفة الله يعلم أنه يمتلك الكون وتصير له ولاية تكوينية حقيقية في كل الكون، وهو يعترف بصراحة أن علاقاته الجنسية المحرمة لم تؤثر عليه كعارف وكواصل إلى رتبة اليوجي الأكبر.

إن هذا المنتج البشري وهو واحد من مئات الفلسفات والممارسات تعمل أكثر بكثير من معاجز الدجال الهنوشي فإن أعمال الرهبان المسيحيين واليهود تملك العجب حتى أن كاردنالا في مجلس الكنيسة الأكبر كان ينزعج منه زملاؤه لأنه لا يستطيع الاستقرار على الأرض فهو يطير دائماً وفقد السيطرة على استقراره على الأرض، وغيره يعمل العجائب وبعضهم يسافر عبر البحار بلا وسائط نقل وينقل رسائل ويأتي بجواب رسائل والحبر لم يجف بعد على بعد آلاف الأميال. وهكذا البوذيون والكنفوش فهم أكثر لصوقاً باليوجا وبالسحر ويعلمون أن سر الإنسان في قوته السحرية فهم لا يخفون ذلك ودجلهم بأنهم يعتبرون سحرهم منحة إلهية وكذا رجال قبائل الهنود الحمر الذين يعبدون الشيطان باعتباره إله الشر الذي يجب الخوف منه ومراضاته فإن إله الخير لا خوف منه وهو كريم بينما إله الشر لئيم ويجب عدم التقصير معه.

فإذا كانت هذه كلها دليل على صدق الدعوى فإن جميع هذه الأديان هي أديان حقة ويجب اتباعها.

المهم أنني حدثت الرجل المؤمن باليمني المزعوم عن بعض ما أستطيع سرده على عجلة من أمري فطلب مني لقاء آخر فقبلت وإن كنت في ذلك الوقت استعمل المواد الكيماوية المزعجة لمعالجة السرطان، ثم ذهب ولم يعد وكلما سألت عنه كان الجواب غير واضح ولا يعرف له أثر مع أنه صرح لي بأنه جاء يتوسل الإمام ليكشف له الحق.

إن الهنبوشي يعتبر تلميذاً فاشلاً عند هؤلاء السحرة الكبار، ولكن الجهلة يعتبرون أعماله البسيطة معاجز إلهية غير مفرقين بين المعجزة والسحر.

وأنا بدوري اعتذر عن التصريح بالفروق الدقيقة وإنما كما بينت سابقاً الفروق الأساسية بين السحر ومعجزة الأولياء المرتبطين بالله، وذلك لأنه خارج موضوعنا أصلاً ولأنني لست معلم سحر بل أنا لا أعرف إلا القراءة في الكتب فإن السحر يحتاج إلى أعمال شاقة ورياضات ثقيلة جداً وهذه خارج اختصاصنا، وبعد ذلك فإنه حتى من انخدع بهذا الساحر لا يحتاج إلى التفصيلات فإن مجرد مطالعته فهارس كتب السحر فهي تكفيه لمعرفة أن أعمال هذا الرجل ممكنة للساحر بسهولة وما كان ممكناً للساحر لا يستدل به على الحجة، وعندها يفقد كل حجته في إجراء معاجز الله على يديه فيسقط.

من كرامات الهنبوشي، رسوم مصنوعة بواسطة حامض الهيدروكلوريك الموجود في فلاش المراحيض على القبور من عمل أحبائه حفاري القبور:

<https://www.youtube.com/watch?v=SgU2hc6IGRY>

قناة الديار التي تروج للساحر خريج المعهد الباراسيكولوجي العراقي بإشراف الحارث
السوداني تروج لمعاجز وكرامات الهنبوشي :

<https://www.youtube.com/watch?v=1-bMcri0ums>

كرامات أصحاب الهنبوشي وليس الهنبوشي نفسه :

<https://www.youtube.com/watch?v=rLg3xOkbbXo>

<https://www.youtube.com/watch?v=zyMW8C3XCJw>

<https://www.youtube.com/watch?v=ta9LwU-dnQM>

أمي يعرض أدلة الهنبوشي :

<https://www.youtube.com/watch?v=gu1gb9iDpPs>

استاذة الذي درسه فترة يحدّث عن مستواه العلمي :

<https://www.youtube.com/watch?v=ioxUp1VHKWY>

دليل الرؤيا عند المدّعين

لا ننسى أن أهم دليلين عند اتباع هذا المدعي هما الاستخارة والمنام وبعد ذلك تأتي النصوص بعملية إسقاط من خلال القناعة بالدعوى نتيجة الاستخارة والمنام.

وقد احتاجت هذه المنظومة إلى أدلة نصية مفبركة من أجل المستبصرين أبعدهم الله عن الشيطان فنمت وتطورت الدعوة إلى أفكار غريبة وبعضها كوميدي حقاً ولكنها مقبولة ومأنوسة عند من آمن به نتيجة أمور غير نفس تلك النصوص.

لأن هذا الساحر يأمر كل من يقابله بقوله: يجب عليك أن تسأل الله عني فإنه سيحببك عن حقي وعن أنني اليماني المنصور بالنبي وآله أو شيء من قبيل هذا الكلام وحين يستخير تكون الخيرة آمرة باتباعه ولعل في بعض الحالات التي سمعناها يقول له ستخرج لك الآية الفلانية التي تفسيرها أنني وصي الأوصياء وتكون النتيجة مطابقة بل بعضهم يكرر الاستخارة فتطابق النتيجة، فإذا استخار يقول له «سترى اليوم أو خلال أسبوع إشارة من المعصوم بالمنام بأنني ابن الإمام وأنني رسول الإمام فيراه فعلاً» أو أي قول من هذا القبيل.

وحقيقة الاستخارة والمنام أمران محيران بالنسبة لمن يواجهه هذا الأمر، لأنه يوافق المطلوب مباشرة وهذا يدفع احتمال الصدفة فيكون مبني على تحقيق الاتصال بالله كما يبدو.

وهذه يعتبرها الكثير ممن لا يعرف القضية بأنها معضلة دينية وعقائدية وأنها حجة ما بعدها حجة فإن هذا التطابق بين قوله وبين الاستخارة والمنام أمر عظيم.

وأكثر من ذلك أن يتكرر حال الاستخارة والنام عند بعضهم، فإن التكرار يبعد احتمال الصدفة وعدم القصد فيكون الأمر مقصوداً من المسؤول وهو الله، وهذه قضية كبيرة ومحيرة عند الأخوة كما يحيرهم أن بعض من ينتمي إليهم تزداد ماليته بشدة ويخبر الناس بأنه أصبح مرزوقاً بمجرد الإيمان بهذا الإمام وأن أمواله بدأت تتضاعف ببركة الإمام المعصوم القائم عليه السلام وسنأتي لاحقاً إلى دليل المعاجز ومنها سعة رزق بعضهم فجأة.

دليل المنام:

إن حقيقة ما يجري في قضية المنام هي أن إحدى أبسط قواعد السحر هي إرسال الهاتف في المنام وبعضها في اليقظة أيضاً، وإرسال الهاتف يمكن التحكم بمنام أي شخص، وقد تعلم هؤلاء السحرة في معهدهم بأن هذه الحالة يمكن استغلالها سياسياً واجتماعياً لتدمير الخصم، وليس فقط للأغراض الفردية كما يعمل عليه في دكاكين السحرة وفتاحي الفال، ويجب أن يعرف المؤمن ما هو إرسال الهاتف؟ وكيف يعمل؟ وكيف تم عمل هذا اليماني وغيره من خريجي نفس المدرسة.

أقول الحقيقة بأنني اتصلت بجميع هؤلاء السحرة لأعرف ما هي حقيقتهم؟ سواءً من يدعي مذهباً جديداً أو من عمله فقط إغراء النساء وابتزازهن وكذا ابتزاز بعض الرجال الذين يختلون نتيجة الحركات والخدع السحرية.

ما هو الهاتف؟

الهاتف هو إرسال ملك أو شيطان أو جن في المنام أو في الخيال.

وقد يكون يأتي لأمر محدد أو قد يأتي بأمر غير محدد وإنما للإزعاج لحد التمريض وقد يصل للجنون وهذا من السحر الأسود كما يسمونه لأنه بالغ الضرر بالإنسان، بينما أغلب الاستخدام هو في تغيير القناعات كأن تحب البنت رجلاً لا يهواها فتحاول تغيير قناعته بالهاتف الذي يرسله الساحر ولكنه لا يعلمها الطريقة.

وليس كل الهاتف شيطاني وسحر، وإنما بعضه روحاني يُعتقد إنه حلال ولكنه ضعيف ولا يتحقق دائماً وهو لا يعمل إلا في أمور خاصة وحلال وليس فيها دعوى وادعاء باطل وله شروط لا تنطبق إطلاقاً على ما نحن فيه وهذا تنبيه مهم.

المهم أن إرسال الهاتف في الغالب يستعمل لأمرين الأول هو الاقناع بشخص ما من أجل الحب وتقريب القلب مثلاً، والأمر الثاني هو للإزعاج والتخويف والتطويع والتعذيب النفسي وهذه الأسباب الرئيسية وهناك دوافع أخرى.

وإرسال الهاتف له العديد من الصور، فقد يأتي بصورة الإنسان المرسل للهاتف وبشكل محبوب غالباً من أجل الحب وكسب القلب.

وقد يأتي بصورة لا يعرفها المرسل إليه وإنما هي صورة بهية أو صورة مرعبة حسب الغرض من الهاتف.

وللهاتف طرق كثيرة وأساليب عديدة:

١. منها ما هو ديني بالاستعانة بالله وذكر أسماء بعض الملائكة.

٢. ومنها ما هو شيطاني محض بذكر أسماء الشياطين وتسليطهم على المرسل إليه.

٣. ومنه ما يجمع بين الاثنين كأن يبدأ بالدعاء الديني الرباني ثم ينتهي بذكر أسماء الشياطين وتسليطهم على المرسل إليه.

والطريقة الثالثة إنما هي لخداع البسطاء من أجل التوغل في السحر بظنهم أنهم يعملون عملاً دينياً صحيحاً بالاستعانة بالله.

ثم أن الهواتف بطلب ديني إنما هم ملائكة ولأغراض محدودة ولمرة واحدة، بينما الهواتف الشيطانية مختلفة فمنها مرة واحدة في كل عمل ومنها لمرات عديدة في العمل الواحد ومنها لعمل اتفاق مع الشياطين للهاتف إلى مجاميع من البشر بشروط معينة تتحقق حسب الشرط في الغالب أو حسب الإشارة من المرسل. وهذا يكون عند السحرة الكبار.

وهنا يأتي السؤال من أين عرفنا أن هذه الدعوة قائمة على هاتف يرسله الساحر وليس مناماً حقاً وهو جزء من سبعين جزء من النبوة؟

المنام الحق يأتيك بنفسه وليس بعد دعوة معينة وتنبية من أجل اقناعك بأمر خطير يصعب تصديقه بنفسه.

والرؤيا الصادقة لا تأمر بباطل، حيث أن هذه الدعوة تمس العقيدة والفقهاء والمنهج، وسلوك هذا الرجل هو عين الباطل وهذا ما لم يسأل عنه البسطاء ولم يلتفتوا إلى أن دعواه لها ربط بالعقيدة التي يجب أن تؤخذ بطريق قطعي ولا يكون إلا بالعقل وحكمه وليس بطرق ظنية غير مؤيدة بالدليل العقلي الصادق، والملاحظ أنه بعد أن يؤمن به الإنسان يبيت فيه أن عقيدته وفقهه ودينه هو الصحيح بينما كل العلماء اجماعاً هم على خطأ وهذا دجل فني واضح لأنه يسد الباب مسبقاً على المرید حتى لا يفكر في السؤال والاستفسار.

ثم إن الرجل قد درس في بغداد عند خريجي وأساتذة المعهد الباراسيكولوجي وجماعة الكستزنانية الذين إلتقيتهم وعرفنا كل أساليبهم وطرقهم في سرقة الأعمال الروحية ودمجها بالأعمال السحرية، وموضوع الهاتف يمكن أن يقوم به أي شخص وهو ينجح مع ٨٠ بالمائة من الأشخاص الذين يقومون به، وهو لا يحتاج إلى تقنيات سحرية ورياضة كثيرة وكبيرة.

وقد طلبت الرياضة الروحية من الشاب الشيخ أحمد كما يسمونه - ويقال بأنه أتى إلى النجف باسمين مرة يسمى نفسه أحمد ومرة اسمه حسن ويقال أن اسمه الحقيقي حسن - وهو قد انعزل سنين وهو يعمل هذه الرياضات وقد قيل عنه أنه منعزل وإن عزلته أنزلت عليه الوحي والإلهام والعلم المعصوم.

وسيقال وهل هذا العمل كان موفوراً في زمن صدام؟

نعم هو متوفر لكل من تخرج من معهد الباراسيكولوجي العراقي بإشراف الدكتور الحارث السوداني الذي قتل - حسب ما قيل - سنة ٢٠٠٨ قبل انكشاف أمر جند السماء وقاضي السماء ضياء القرعاوي بثلاثة شهور تقريباً ولا يعرف من قتله؟ ولماذا؟ وهل القصة حقيقة أم من الخيال؟

إن الدكتور الحارث السوداني درس السحر في المعهد الباراسيكولوجي الروسي في موسكو، وهو من كبار معاهد السحر المتقدمة جداً التي صرف عليها الإتحاد السوفيتي كثيراً، وكان يعنى كثيراً بالتبائني [التواصل الفكري اللاحسي] ويعنى بقوة التحريك للجمادات من خلال الروح والتركيز، وبقراءة الأفكار وبأمور أخرى من الطاقات الروحية الخطيرة، وقد استطاع هذا الرجل وهو من أصل شيعي من البصرة اقناع الرئيس العراقي صدام حسين سنة

١٩٨٤ - كما أظن - بقدرته على تدريس السحر وتكوين مجموعة تخدم الحكم سواء بالتنبؤ أو بقراءة أفكار الأعداء أو بالتأثيرات السحرية الايجابية والسلبية على الناس من أجل التأثير لمصلحة الحكم.

وقد إلتحق بهذا المعهد الكثير من اساتذة الجامعات بطلب من وزير التعليم العالي، وهذا ما جعلنا نتعرف على أسرار هذا المعهد، كما إلتحق به ضباط الأمن والمخابرات والاستخبارات وخصوصاً طلاب معهد الأمن القومي، وهذا المعهد قد خصص فيه صدام دفعتين منه للولوج إلى داخل الحوزة العلمية فرتب بشكل استثنائي دراسات لكيفية التحايل والدخول للحوزة والسيطرة على الفكر الشيعي، وكان من جملة الضباط السيد رياض النوري الذي اخترق بيت السيد محمد الصدر والذي قتل بعد ذلك في ظروف غامضة في النجف وهو قد اعترف لمجموعة بأنه ضمن دفعة ضباط معهد الأمن القومي، ومن الخريجين من معهد الأمن القومي السيد محمود الصرخي ومنهم الشيخ يعقوبي وهناك أسماء كثيرة تصل إلى حدود ٢٥٠ شخص، وبعض هؤلاء الطلبة قد طلبت القيادة إدخالهم إلى معهد الباراسيكولوجي لتعلم السحر لأغراض خاصة وممنهجة وكان من جملة الداخلين للمعهد أبو علي الشيباني الحارس من قبل الأمن العراقي للمرجع السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره وهو الآن ساحر على القنوات التلفزيونية ويبشر دائماً بحركات اليماني والصرخي وقاضي السماء واسمه الحقيقي حميد ونسيت اسم والده لعله هاني وهو مشتهر بالنجف وغماس باسم عفلوك، ودخل في هذا المعهد أيضاً الكثير منهم الصرخي واليماني هذا وقاضي السماء ضياء القرعاوي والداعي الرباني فاضل المرسومي والكثير من هؤلاء لتكوين مجاميع وكلهم تقريباً يدعون الاتصال بالإمام المهدي وأدلتهم متشابهة وهي المنام والاستخارة والعلم اللدني بالأفلاك والفيزياء ويدعون أنهم يعرفون كل شيء إلا العقيدة الشيعية والفقاه الشيعي

والسلوك الأخلاقي الشيعي، ويدعون المعاجز والكرامات بنفس طريقة معاجز الهندوس والرهبان المسيحيين الذين يشفون المرضى وينزلون الأنوار على الأماكن المقدسة وما شابه ذلك من (نَمِرٍ) سحرية معروفة جداً بين السحرة.

إن كل حركة سحرية مدروسة بسيناريو تسمى عندهم (نمرة) وهذه الحركات تباع من قبل راسمين للسيناريو فإذا كانت مكررة فسيكون سعرها رخيصاً مثل ألف دولار وإذا كانت لأول مرة ومعقدة ولا تعطى لغير بعض الأفراد فتكون بأسعار خيالية من عشرين ألف دولار إلى نصف مليون دولار، مثل تقطيع الفتاة والاختفاء وما شابه ذلك.

نرجع إلى الرؤيا التي يراها المدعو للإيمان باليماني فإنه يرى الرؤية التي تدعوه للإيمان باليماني.

فإن تكوينها سهل في الحقيقة ولكن كي تكون واسعة ومنشرة فيجب لها أن تتحقق أعمال وتهيئات خاصة، ولهذا فقد سافر كل هؤلاء بما فيهم أحمد إسماعيل إلى الهند للتزود بالأساليب العالية التقنية في السحر.

ولهذا فإن الهاتف الذي يرسله يستجيب فوراً وبشكل دقيق حسب البرمجة التي تغذى للهاتف الذي هو شيطان ويدار من قبل إبليس نفسه.

وقد تصدى بعض المخلصين لمعرفة هؤلاء وكشفوا اللعبة تماماً وأنها عمليات شيطانية بإدارة إبليس وأحمد إسماعيل حسب الخبرات المكتسبة من الهند.

سوف يقول بعض المؤمنين بأحمد اليماني هذه المعلومات كذب ولم نسمع بها إلى ما هناك.

فأقول ما عليكم يا أخوتي إلا أن تجربوا.

أولاً: اغتسل وصلي ركعتين بنية الاجابة.

ثانياً: حصن نفسك بتحصيلين مناسب من الجن والشياطين.

ثالثاً: قم بأحد أعمال الهاتف وابعثها لشخص تعرفه أو قريب وحدد ما تريده من الهاتف، وكرره مرتين أو ثلاثة فسيأتيك المرسل إليه ليحدثك بما أرسلته أنت إليه.

ولا أنصحك أن تعمل هاتفًا شيطانيًا بل رحمانياً وهذه الهواتف موجودة على النت يمكن لأي طالب حاجة أن يتعلمها سواء من النت أو من الكتب.

حدثت معي قصة طريفة:

في حدود سنة ١٩٨٨ جاءنا شخص يقول بأنه متصل بالإمام مباشرة وأنه مبشر به في اليقظة والنام وما شابه ذلك، وقد سمعت من اتباعه أن بعضهم أتاه على صورة نورية في اليقظة وبعضهم حدثني عن رؤيا عظيمة في الرجل، وبعضهم أخبرني بأنه يخبر بالمغيبات.

فذهبت إلى شيخي وأخبرته بذلك فقال: إن هذا يقرأ الأفكار ويبعث الهواتف في اليقظة والنام. فاستبعدت ذلك فال لي جربه وأعطاني طريقة لأكشف قراءته للأفكار، فجربتها معه فضبطت تماماً وثبت عندي قراءته للأفكار، وبعدها قال لي شيخي استعمل هاتفًا روحانيًا بطريقة محللة فقلت له: إن سائقي اختلس وأنا عرفت ولا أريد أن أقول له فقال: وجه عليه هاتفًا فسيخبرك ويعتذر. وأعطاني صيغة هاتف نسيته ولعله إرسال خادم سورة القدر (وهذا غير دقيق) بقراءة السورة عدة مرات، وقال لي لأنه أول مرة تفعله فكرره ثلاث مرات. فجلست تلك الليلة وعملت بما أخبرني به وطلبت من الخادم أن يعاقبه ليعترف أمامي وأسامحه، وكنت متيقناً أن الأمر لا يضبط في اليوم الأول، ونويت في اليوم الثاني أن

أحسن أداء الورد والعمل، ونمت، وفي الصباح أتاني السائق خلاف عادته يقبل يدي ويعتذر مما صدر منه ويعترف فسامحته، وأنا في الحقيقة أريد أن اعرف ما حدث فبقيت ألح عليه لمعرفة ما حدث له حتى يعترف فحدثني بمجيء شخص نوراني رهيب عدّبه ونهره لعمله معي وهدده بالقضاء عليه وضربه على كتفه وهو يقول بأن كتفه لا زال موجوداً من الضربة، فتعجبت من هذا الهاتف ومن قوته مع أنه رحماني وليس شيطانياً.

فتبين أن هذا الأمر هو من أبسط الأمور وأن المغفلين لا يعرفون معنى الهاتف ولا فاعليته.

فإنه يأتي بصورة جميلة ويقول أنا النبي محمد وأطلب منك كذا وكذا عليك بكذا وكذا إلى آخره والأخ يصدق به.

سوف يقول ضعيف المعرفة أن الرسول قال من رآني فقد رآني وأن الشيطان لا يتمثل بي. فأقول له هل رأيت النبي بنفسه؟ أم أنك رأيت الشيطان بصورة جميلة أخبرك فيها بأنه النبي، ولم تر النبي لأنك لا تعرفه ولا تعرف صورته.

لمجرد الثقافة أضع رابطتين من عشرات بل مئات الروابط لعمل الهاتف في الإنترنت:

<http://sheykhrohani.arab.st/t652-topic>

<http://hibou.clubdiscussion.net/t679-topic>

قتل المرتد

لا يجوز قتل المسلم ولو كان مسلماً بالظاهر.

ولا يجوز عندنا إقامة الحدود بغير حكم شرعي، وقد اختلفوا في معنى الحكم الشرعي هل هو إقامة حكم إسلامي مثل ما في إيران أو أن معناه هو قيام المعصوم بأعباء الدولة، وعلى كل حال فإن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم يقم الحد على المرتدين في زمنه ولم يقم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الحد على المرتد وإنما طلب قتل من ينشر الهجاء للإسلام ونبيه بعد أن إرتدّ ولهذا فما قام به النبي عليه وآله الصلاة والسلام ليس للردة وإنما للإعتداء والإضلال.

بالنسبة للتشخيص فهذا ليس بيدك أو يدي أو يد أي أحد وإنما للحاكم الشرعي سواء كان الفقيه أو المعصوم.

وقد روى الكليني في فروع الكافي عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن موسى بن بكر، عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام أن رجلاً من المسلمين تنصر فأتي به أمير المؤمنين عليه السلام فاستتابه فأبى عليه فقبض على شعره ثم قال: طنوا يا عباد الله فوطئ حتى مات.

والجواب بالنسبة لهذه الرواية:

أولاً: إنني لا أنفي حكم المرتد ولكن لم يثبت عندي فعلية قتل المعصوم للمرتد بل صرح صاحب الجواهر رحمه الله على ما اظن أنه لم يعثر على تنفيذ فعلي من قبل المعصوم ولو كان ذلك لوجب قتل نصف الأمة المرتدة عن الإسلام لأن من ثبت لنا قتله كان لسبب ثانٍ وهو المحاربة للإسلام.

ثانياً: الرواية ليس عليها العمل عند القدماء ولا المتأخرين حيث فيها وطء المرتد.

ثالثاً: منهجي بالنسبة للواقفة هو التوقف حتى تؤيد الرواية برواية عن غير الواقف أو أن تكون الرواية ضد الواقف كأن يروي أسماء الأئمة الإثنا عشر كما حدث لبعض الواقفة، والرواية عن واقفي وهو موسى بن بكر.

رابعاً: لو فرضنا صحة الرواية، فهي رواية آحاد وحكمها ظني لأن مثل هذه الحادثة تشتهر عادة، فحتى حرق ابن سبأ لم يثبت لنا، والمشكلة أنها روايات آحاد فيها أحكام غير مذكورة كالحرق والوطء.

خامساً: لو سلمت الرواية من كل اعتراض فلا مانع عندي من التراجع عن نظرتي فإن الدليل أولى بالإتباع، ولكن لحد الآن لم يثبت لي هذا الأمر.

الرؤيا، واستدلال الدجال أحمد الحسن بها

دليل الرؤيا وقد قلنا عنه :

أولاً: هو من مصدر شيطاني وعمله بسيط وهو الهاتف وقد شرحنا ذلك بإيجاز، وعلى الأخوة المتورطين أن يسألوا -أقرب من له علاقة بفك السحر- عن الهواتف؟ وماذا تفعل؟ فسيعرفون أنهم قد استغفلوا وتم الضحك عليهم، وقد غرقوا بالضلال. نسأل الله لهم الهداية والرجوع إلى الإسلام من هذا الدين الذي لا يعرف له أصل أصلاً.

ثانياً: قلنا أن الرؤيا ليست دليلاً شرعياً في إقامة الدين وهذا دين جديد لا يعرفه أهل الإسلام قبل ذلك، فالشيعة لا يعرفون كل ما يعرضه هذا الساحر والسنة لا يعرفونه كذلك، فهو دين جديد كالبهائية والقاديانية وغيرها من الحركات المتولدة حديثاً التي ليس لها أصل في الإسلام، وكل هم هؤلاء أن يقيموا الأدلة التلغيفية من أجل تغيير المغفلين وجعلهم مسرورين بما لديهم معتقدين أنهم يصححون للمؤمنين إيمانهم وهم لا يفقهون شيئاً.

لكن القول الثاني يحتاج إلى بعض البيان لأننا لا نكلم أهل العلم والمعرفة بالضبط، وإنما نكلم من انخدع إما بانطلاء الحيلة عليه مع الغفلة عن الضوابط وهو يعتقد أنه يملك العلم والمعرفة أو نكلم جاهلاً لا يعرف أي شيء عن الدين وكل الكلام الذي عرض عليه منهم هو أمر جديد وغريب وبديع ويراها يستحق الاعجاب.

وفي سبيل البيان يجب أن نقدم بعض المقدمات التوضيحية البسيطة.

* راجع مقالة (دليل الرؤيا عند المدعين) في هذا الكتاب.

جملة: الرؤيا ليست حجة.

الرؤيا معروفة وتوصيفها هي خواطر ذهنية لا إرادية تأتي في حال النوم بلا ضوابط.

والحجة لله على خلقه هو ما يحتج به عليهم يوم الحساب لبيان تقصيرهم حين المخالفة،
والحجة للعبد هي ما يحتج به العبد عند ربه لتبرير الموقف مع الله كالعامل طبق الوظيفة
أن لم يحصل على الحكم الواقعي.

إذا عرفنا هذا فكيف تتنجّز الحجة وتتم على العبد؟

إن الله سبحانه نفى العقوبة والمحاسبة عن العبد في أشياء منها الجهل ومنها النسيان وغير
ذلك من الأمور لأن أساس الحجة إنما تكون لله على العبد مع العلم وتكون للعبد مع الله
بالعلم، وبدون العلم لا حجة وإنما حكم آخر.

فإذا لا بد أن يكون العمل عن علم بصدور أمره من الله، ولا بد للعبد أن يعلم علمًا صادقًا
بدليله للعمل بمراد الله وإلا فهو لا حجة له.

فهل الرؤيا تشكل علمًا يحتج به الله على العبد أو يحتج العبد فيه مع الله؟

الجواب: قطعاً الرؤيا حتى لو تكررت فإنها يمكن أن تكون من إفرازات النفس ويمكن أن
تكون من الشيطان ويمكن أن تكون نتيجة غذاء أو فساد في الصحة كالمحموم وغيره، فلهذا
فإن المنام والرؤيا لا يبني عليها تكليف قط، وكلنا يعلم بأنه في الرؤيا قد يرى النائم أمورًا
محرمة أو أوامر بخلاف الشرع أو مع الشرع وهي ليست حجة بنفسها وإنما الحجة هي
نفس الحكم القائم بالدليل حين اليقظة، وقد يوافق المنام ولكن الحجة في غيره أي في
الدليل.

وهذا ما يقره العقلاء في مفهوم الحجة وفي مفهوم المنام.

فإذن كل ما يحاول تليقيه هذا الساحر من قوله: أن ردّ رؤيا الأنوار الإلهية هو رد لنور الله وأنكم تردون الحجة الإلهية... إنما هو دجل وابتعاد عن الدين ودليل على أنه رجل لا دين له، لأن عليه أن يثبت أن هذه أنوار إلهية! وهذا لا يثبت إلا باليقظة لأن المنام قابل لتداخل الصور فما المانع أن يقول الشيطان أنه جبرائيل أو أنه هو الله كما يدعيه المجسمة وأهل الشرك؟ وكذا يمكن أن يدعي أنه النبي أو أي معصوم، عدا صورة المعصوم بذاته التي لا يعرفها أحد الآن في هذا الزمان فلا موضوع لتطبيق قوله عليه السلام: من رآني فقد رآني، لفقدان العنصر الأساسي وهو معرفة صورة المعصوم المرثي فإن دعوى الشيطان أنه النبي لا تنطبق على صورة النبي الأصلي وإنما صورة أخرى محببة فما المانع؟ وعندها فأين الحجة في المنام؟ مع احتمال مصدرية الشيطان له أو حتى العوارض النفسية والجسدية.

وقد استدل المغفلون برؤيا الأنبياء والأئمة وأن بعض الأنبياء إنما وحيهم بالنام، فهذا من جهل المستدل، لأنه يريد أن يسحب الحكم الخاص بالأنبياء إلى نفسه، فهو حكمهم الخاص ولا يصح سرقة خصائص الأنبياء لعامة المكلفين، فإن هؤلاء العوام الذين رؤوا الرؤيا لا بد أنهم بمقام الأنبياء حسب قولهم أي لا بد من تسميتهم بالأنبياء بموجب دليلهم، وهذه غفلة ما بعدها غفلة، ولعل هناك أمراً مهماً جداً لم يلتفت إليه هؤلاء وهو أن الكفار حينما اعترضوا على الرسالة قالوا أنها أضغاث أحلام كذباً منهم وقد نقم الله عليهم لكذبهم ووصفهم الرسالة بالأحلام، والقرآن لم يدافع عن الأحلام وإنما دافع عن النبوة ونفي الحلم عنها، وهذا أكبر دليل على أن الحلم ليس حجة، ولو كان حجة لدافع الله عن الأحلام التي استنكرها الكفار، واصفين الرسالة بها {بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْآوَلُونَ} (الأنبياء/ ٥). فالقرآن في الآيات التي قبل هذه الآية

وبعدها يستنكر أشد النكير على دعواهم وتهمهم الكاذبة على القرآن وعلى النبي الكريم بأنه ساحر وشاعر ومصدر علمه أضغاث أحلام وما شابه ذلك فجعل الله سبحانه تهمة الأحلام بمستوى تهم الساحر والشاعر والمفتري الكذاب، وهذا يعني أن الأحلام لا يمكن أن تكون مصدر تشريع ومصدر هداية لاختلاطها بغيرها فلا يصح من النبي أن يعرض حجته عن طريق الحلم وإنما يمكن أن يستأنس بالحلم بعد ثبوت الحجة بأنه نبي مرسل، وصاحبنا ولدته أمه بالقلوب فهو يريد الاستدلال أولاً بالحلم (لأنه قابل للتصنيع السهل) وجعله دليلاً على هداية طريقه، بينما ليس فيما عرض أي هدى بل هي المغالطات تماماً.

ومن الطرائف أن العقيلي يحاول أن يلفق قرائن على صحة انطباق وصية رسول الله بالمهدي المنتظر على أحمد بن إسماعيل الهنبوشي السويلمي، فاعتبر إنكار الله على الكفار باعتبار أن الرسالة أضغاث أحلام إنما هو إنكار على إنكار حجية الأحلام، يا سلام على هذا الفهم!

وقدم لنا معلومات شيقة في أن منكر حلم الجهلة هو إنكار للحق وهو نتيجة الطرد من ملكوت الله وقد جعل من ينكر حجة الحلم سفيهاً لأن الأحاديث المتواترة والقرآن الكريم يشهدون بأن أحمد اسماعيل الهنبوشي هو الإمام المهدي ومن يرد ذلك فقد رد شهادة الله، لنقرأ قول العقيلي ونعلق عليه باختصار داخل نصه بكلمة (أقول)

قال: "... وهي من أقوى القرائن وأشرفها، وهي شهادة الله تعالى في المنام

(أقول: إذن أصبح المرثي ليس هو النبي بل هو الله بذاته فإنه يشهد على نبوة ابن إسماعيل الهنبوشي)

على صحة رواية الوصية وانطباقها على السيد أحمد الحسن، ومن أعظم من الله شهادة..

{ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ... }

(أقول: أين شهادة الله على الهنوشي حتى ينكرها الشيعة؟)

حيث رأى الأنصار مئات الرؤى بالرسول والإمام علي وفاطمة الزهراء وباقي الأئمة،

(أقول: هل أصبح النبي والأئمة هم الله الذي شهد؟)

وكلها تؤكد على أن السيد أحمد الحسن رسول الإمام حقاً، وإنه من ذريته، وإنه اليماني الموعود... وقد يستخف بهذه القرينة من سفه نفسه من الذين طردوا من ساحة الملكوت فهو جاهل به ومن جهل شيئاً عاداه، وقد تواترت الروايات والقصص في اعتبار الرؤى وإنه طريق المعرفة والاهتداء إلى الحق عند اشتباه السبل واختلاط الحق بالباطل

(أقول: لا يستطيع الساحر اثبات أي شيء مما يقول فلا يوجد أي حجية للرؤيا وهي

ليست دليل معرفة بل الله اعتبر أن القول بأنها أضغاث أحلام سبة للرسالة)

وقد مدح الله تعالى المصدقين بالرؤيا في عدة مواطن في القرآن الكريم وذم المكذابين للرؤيا {بَلْ

قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ} وما أكثرهم في عصرنا اليوم،

(أقول: هذا دليل جهل المستعصم بالشیطان فإن هذه سبة الكافرين للنبي وطعنهم برسالته

نتيجة الطعن بطريق أخذ الرسالة وهي أضغاث الأحلام فهي سبة للرسالة لم يقبلها الله

منهم لأنها ليست إلا وحياً في اليقظة)

والداهية العظمى أنهم وصل بهم الإنحراف إلى أن زعموا أن الشيطان يستطيع أن يتمثل بالنبي وآل بيته { مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبِرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ أَنْ يَقُولُوا } إِلَّا كَذِبًا {

(أقول: الانحراف أن يعلم هذا الساحر أنه يرسل الهاتف ليقول لهم أنه النبي ويأمرهم باتباع باطل هذا الرجل، وهذا الذي يتبعونه ما لهم به من علم وكبرت كلمة تخرج من أفواههم من الزندقة حيث يعتبر الهاتف الشيطاني رسول الله وانه هو الله نفسه) وهؤلاء لا دليل لهم سوى الهوى الذي أهلك الذين من قبلهم.

(أقول: على المستعصم بالشيطان أن يبين للعالم ما هو الدليل الذي يهلك من لم يتبعه، هل هو اتباع كلام النبي واهل بيته بدون تحريف ام مفاجئة الناس بعلم مستأنف لا علاقة له بالعلم وإنما هو الدجل والكذب والتحريف والمغالطة)

وقولهم هذا يدل على استخفافهم بحقيقة الرسول وآل بيته، وإن قلوبهم انطوت على معادة الرسول وآله، وإن أظهروا حبههم وموالاتهم.

(أقول: أن من يبعث الشياطين والهواتف إلى المؤمنين ليقولوا بأن المعصومين يأمرن بالمنكر وينهنون عن المعروف، لهو العدو للرسول وأهل بيته وهو المستخف بهم فويله من أمر الله وسيرى كيف سيقصم الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ظهره)

فدليل حجية الرؤيا هو القرآن والسنة وسيرة المتشعبة والواقع والوجدان والمنكرون لا برهان لهم..

(أقول: اين اثبات هذه الدعاوى الكاذبة والمنافية للحجة الشرعية؟)

عن سليم بن قيس قال في حديث: (... فإن رسول الله قال: من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي في النوم ولا في اليقظة ولا بأحد من أوصيائي إلى). يوم القيامة...).

(أقول: لا شك أننا نؤمن بهذا القول ولعله ثابت عندنا وإن شكك به بعض علماء الشيعة إلا أن الأغلب يقبلونه، ولكن ما علاقة هذا الحديث الاجنبي بإثبات إمامة أو نبوة أحمد اسماعيل؟ الذي نأمل أن يصل إلى رتبة الربوبية سريعاً. فقد قلنا أن المرثي غير النبي فأين النبي حتى يكون نفي ذلك انكاراً للحديث المختلف فيه؟ وهل يجب أن نصدق الشيطان حينما يلبس لباساً جميلاً ويقول أنا النبي؟)

إذن يا مساكين، إن خبر الوصية يحتاج إلى قرينة يقول عنها أنها مؤكدة وهي المنامات، وهذه المنامات استدل على حجيتها بطريقة كوميدية لأنها عكس المطلوب كاعتبار سبة الأحلام للنبي على أنها مصدر العلم ومبدأ الحجة الإلهية، فأين هذا من ذاك يا عقلاء؟

ثم كذب وادعى التواتر على اعتبار حجية المنام، وادعى دلالة الكتاب والسنة واستدل بحديث أجنبي لو صح فإنه سيدل على أن من عاصر النبي ورآه في المنام فهو سيراه وليس سيأخذ منه دينه أو عقيدته أو تشريعه، فهل قال النبي من رآني في المنام فليأخذ مني في المنام العقيدة والشريعة ولا يسألني عنها في اليقظة؟

ومع هذا فإن الأئمة نفوا أخذ الدين بالمنام كنفهيم لأخذ الأذان بالمنام كما يدعي أصحاب كتاتيب حمص. ومن لا يعرف ما أصحاب كتاتيب حمص؟ فليسأل عنهم التاريخ. بل أعظم من ذلك اعتبار الأحلام كمصدر للنبوة سبة غير مقبولة مثل كونه كذاباً وساحراً وشاعراً، فهل يفهم اتباع هذا الساحر المعاني؟

وهنا قد يدعي هذا الساحر وغيره أن هؤلاء يقولون بأن مئات من المريدين رأوه بالمنام، وقد قيل أن الواحد منهم رآه عدة مرات فهل يصح هذا التكرار ليكون المنام أضغاث أحلام نتيجة أكل الفول وما شابه ذلك من أسباب الأضغاث؟

فنقول لا أبدأً، إنه ليس عن طريق الصدفة وهذا التكرار والطلب المسبق إنما هو مجهز تمامًا للسيطرة على المسكين المغفل عن طريق السحر بطريق الهواتف الشيطانية التي يرسلها إبليس حليف هذا الساحر الدارس للسحر جيدًا، فليس ذلك من الصدفة أبدًا وهذا التضافر هو أكبر دليل على كونه هاتفًا شيطانيًا، فلماذا لا يأتي لمن لم يقدم له الأمر أو لمن لم يدعي ولو بطريق خفي كان يقال إمامه بأن اليماني يثبت دينه عن طريق الرؤيا ثم يرى الحلم العجيب الموافق للشيطان الرجيم. قبل أن يثبت بالدليل القطعي نبوته أو إمامته أو رسالته، وهذه الصفات كلها يقول بها أحمد وإسماعيل ويصف نفسه بها، ولكن كل حسب ذوبانه في الغفلة، ففي الرتبة الأولى يدعي أنه رسول المهدي ولن تعمق في الغفلة يقول له هو المهدي القائم المنتظر وكأن هذه الألفاظ لا معنى لها عند الشيعة؟ ولمن غرق في الغفلة سيراه النبي بنفسه وهو من سيقتل الشيطان في آخر الزمان لأنه لن يظهر غير هذا المهدي المكلف بكل أعمال النبي محمد صلى الله عليه وآله وهكذا التطور متصل. وحسب الدولار وحرارته أيضًا.

وأنا أدعو كل من آمن بهذا القائم أن يتعلم إرسال الهواتف وأن يرسل هاتفه للإمام القائم أحمد الحسن اليماني بشرط تسميته الصحيحة (أحمد أو حسن بن إسماعيل بن صالح بن حسين بن سلمان بن داوود بن هنبوش بن محمد بن روضان السويلمي حتى لا يتوه الشيطان لأنه لا يعرف شخصًا باسم أحمد الحسن فهذا لا وجود له في الواقع البشري وإنما هو افتراضي محض).

كما يجب أن يرسل أيضًا لمن يعرف حتى يتأكد من قدرته على إرسال الهواتف، وأنصح كل من ضلله السويلمي أن يستعمل نفس أدواته إذا تمكن منها فهو قد ترك دينه فلماذا الحياء من كسر الحاجز؟ فعليه أن يدعي أنه هو الإمام أو هو الإله بعظمته، بدليل رؤية النبي وآله في المنام ويسلط الشياطين لينجح في عمله فكلكم اعملوا مثله في السحر ولا تكونوا مغفلين يضحك عليكم، وهو سهل جدًا صدقوني يا جماعة الخير ومتوفر في جميع كتب السحر ومواقع السحر على النت فلا معنى أن تقولوا أنتم فقط ضحية للسحر والخزعبلات، وهذه نصيحة أخوية خالصة.

ملاحظة لاهوتية

لاحظت من دراساتي في كتب اللاهوت النصراني وكتب الحديث الإسلامي عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وعن خلفائه المعصومين عليهم السلام الكثير من التوافق والرموز التي تكشف عن معجز إلهية كبرى وعن تسلسل في الاسلام منذ آدم إلى النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله ولكن أهل الكتاب لا يفهمون وهم يفسرون حسب مشتهياتهم كما فسر أهل الضلال من المسلمين القرآن تفسيراً يقلب معاني القرآن بل يجعل القرآن بعيداً عن لغة العرب التي نزل بها، فإلى هذا الحد وصل تحريف الكتاب مع أن القرآن حافظ على ألفاظه بينما الكتب السماوية تعرضت للترجمة وتغيير الكلمات ولم تستطع الديانات من معرفة أصل النصوص الحقيقية وإنما هي ترجمة عن ترجمة عن ترجمة وهكذا، وما يعثر عليه من لفظ يروونه مؤشراً خطراً على بقاء ديانتهم يحذفونه أو يقلبونه كما قلبوا الباركليتوس من أفعل التفضيل لِحَمَدَ إلى البيركليتوس وهو المهرج أو المسلي وفسروها المعزّي ومن هذا خذ الكثير.

ومما لفت نظري هو إصرار الأئمة عليهم السلام وأمير المؤمنين عليه السلام بالذات على أنه هو إيليا، مع أن إيليا هو من أقدم المقدسين عند أهل الكتاب من يهود ونصارى حتى أن الأنبياء يروونه مقدساً أعلى منهم وهو مصدر الخلاص الحقيقي، فهنا يجب الدراسة بعمق والوصول إلى نتيجة محددة، وتفكيك كل النصوص القديمة المشوشة، وإعادة تركيبها وفق منهج التجميع الكلي المنهج بدل التجزيء والتفكيك وترك الأمر مفككاً بلا ربط،

فيكون موضوعاً غير قابل للفهم أصلاً مع أنه موضوع مفهوم وعلى الأقل في كلياته لا في تفصيلاته الدقيقة.

إيليا في الديانات السماوية

إن تجميع هذه النصوص (الداعمة لمروياتنا في الكتب المسيحية) في الحقيقة يُنتج في الحصيصة كل ما ورد في خطبة البيان لأمر المؤمنين عليه السلام من وصف لنفسه، وهذا ما يحتم على المؤمن التوقف في رفض هذه الخطبة لأنه لا يتعقل ما ورد فيها من أوصاف أمير المؤمنين فحتى بعض شراحها يقولون لا نقول بموجبها ويحاولون تأويل بعض المعاني التي لا يفهمونها بينما هي مبنية على سلسلة العلل الطولية وليس في ذلك غضاضة، فإن هذه نصوص الكتب القديمة تقول أن إيليا منزل المطر، محرك المياه منجي المؤمنين ورازقهم، وهو الشفيص، وهو المرافق لجميع الأنبياء والذي سيعود في آخر الزمان وهو الذي بيده ميزان عدل الله وهو عاكس لإرادة الله علينا وما شابه ذلك، وكل ذلك هو مفاد خطبة البيان الضعيفة سناً لأنها بسند سني غير موثق عندنا، ولكن الحيرة في موافقة النصوص التي في الخطبة في وصف علي بالنصوص في الكتب السماوية في وصف إيليا.

إن الإشارة العظيمة لكون إيليا مخلوق قبل الخلق وينزل مع الخلق ويبقى بعد الخلق وهو مخلوق لله مطيع، يتوافق مع العقيدة العرفانية بالله وبنوره النازل للوجود الغيري على شكل النور الأحمدية. فهنا تفسيرات قدسانية للوجود وللتاريخ وهو يقدم حصيصة خفية

لمسايرة الله لخلقه عبر وسائله الخاصة المخلوقة على شكل بشر كما نعرفه، فإنن نحن لا نعرف عليًا فكيف بناصب أو مؤمن جاهل للمقامات؟

بالمناسبة لقد طرح الشمساس نوري إيشوع مندو موضوع إيليا من وجهة منظر مسيحي فشوش فكرة القاريء ولكنه بنفس الوقت أعطى وصفًا مبهرًا لإيليا، فتارة يعتبره شخصًا ولد في فترة ما في قوم ما وارتفع إلى السماء بعاصفة نارية، وتارة هو ذاك النور الذي رافق الأنبياء وأنجاهم ورزق المؤمنين وساعدهم على مر تاريخ البشرية، فأين هذا من هذا؟ والذي يبدو من خلال قراءة اللاهوت النصراني أن هناك بعض القديسين وبعض المجرمين تسماوا باسم إيليا تبركًا باسم هذا العظيم وقد اختلطت التواريخ والنصوص بإسقاط الذي يرافق الأنبياء وهو أعلى منهم (وعلى الأخص أنبياء بني إسرائيل) على عبدٍ صالح زاهد متصوف أو مجرم طالح كالقائد العسكري إيليا العشوم المنتصر، وهذا ما حصل في موضوع الشمساس نوري إيشوع مندو في موضوعه (تذكار إيليا النبي)، وقد قال في آخر موضوعه كلامًا خطيرًا فإنه يعترف بأن النصرارى يعبدون إيليا فانظر ماذا قال:

«كذلك نجد يسوع يتكلم عن إيليا المزمع أن يأتي بقوله: فجميع الأنبياء قد تنبئوا وكذلك الشريعة، حتى يوحنا. فإن شئتم أن تفهموا، فهو إيليا المنتظر رجوعه. (متى ١١: ١٣-

(١٥)

إن عبادة النبي إيليا منتشرة بين المسيحيين، وعلى اسمه شيدت الكثير من الكنائس. فشفاعته مقبولة، وعجائبه كثيرة. فهو ينجدهم في شدائدهم، ويشفي مرضاهم، ويسرع إلى إغاثتهم وهو شفيع رهبان وراهبات الكرمل منذ أجيال وأجيال.

وتصلي كنيسة المشرق في تذكّار مار إيليا التشيبي هذه الترتيلة: ؛ نحتمي بصلوات النبي
القديس، الشهير مار إيليا التشيبي، لنستحق الرحمة ومغفرة الخطايا، ونقتدي بسيرته،
ونرفع المجد والشكر لقوته المظفرة؛ وتحفل كنيسة المشرق بتذكّار إيليا التشيبي في الجمعة
السابعة من سابوع إيليا» انتهى كلام الشماش توري مندو

الموضوع كبير جدا وأدعوكم للتحقيق فيه وبيان الاشتباهات التي يقع فيها الباحثون في هذا
الموضوع، وإن كان يحتاج في بعض المعاني الدقيقة دراسة دقيقة للعرفان والفلسفة العليا
وليس للكلام الخطابي.

ثم إنني أعتقد أن النصارى واليهود يفرقون تماماً بين إيليا وبين إلياس فالثاني هو الأخضر
وهو يوناني وهو يكافيء الخضر من الصالحين عندنا، وهذا لا يختلط بإيليا المقدس، نعم
عندهم كاهن صوفي أجرى المعجزات أو ما يسمونه العجائب اسمه إيليا وكذلك عندهم قائد
فاتك اسمه إيليا واختلطت قصصهما، ويبدو لي أن قصص هذين اختلطت مع إيليا الذي
ظهر لجميع الأنبياء ورعى الصالحين وسيظهر آخر الزمان مع الماشيحا أو المسيا وهو
المهدي المنتظر حسب نص قاموس كوجمان العبري. مع أنني توصلت إلى أنّ المسيا ليس هو
الماشيحا، فإنّ المسيا هو حمداً أو حمدو باللغة العبرية وهذا يكشف أنه اسم، بينما الماشيحا
صفة وليست اسم وهو المنتظر المهدي وقد قال كوجمان أنه المنتظر المهدي على أن المهدي
صلوات الله عليه اسمه محمد أيضاً فلا ننس هذا ولكن هناك ضابطة ذكرتها كثيراً للتفريق
بين محمد النبي وبين محمد المنتظر وهو الظهور العالمي الشامل في آخر الزمان فكل محمد
يكون كذلك فهو المهدي وكل محمد لا يكون كذلك فهو النبي محمد صلى الله عليه وآله
وسلم.

وأؤيدكم بأن اليهود لازالوا ينتظرون إيليا والنبيا والمسيا وكل نبوءاتهم وطموحاتهم مبنية على هذا الانتظار مع أن إيليا ظهر لهم وأخبرهم باسمه وصفته وهو علي بن أبي طالب عليه السلام ولكنهم بعيدون عن الواقع، حتى أن أنصارهم من الجواسيس كالوهابية والقاعدة وداعش كلهم يؤمنون بنفس المعتقد اليهودي الأبرتر ويعتقدون بأنهم حركة مهدوية تنتظر مجيء المسيا والماشيحا ولهذا ترى أعلامهم سود وفكرتهم مرتبطة بخراسان من أجل التأثير على حركة التاريخ ليصنعوا هم مجد الله، تعساً لعقولهم الفاسدة أ يحتاج الله أن يصنع له هؤلاء الوحوش البشرية القذرة مجد الله وملء الأرض عدلاً بعد ما ملئت جوراً، بينما هم عين الظلم والجور وهم من ينشر الأرض ظلماً وظلاماً عاماً.

فإذن تبقى قضية إيليا قضية حيوية وخطيرة جداً ويجب علينا جميعاً دراستها.

ويبدو لي أن المتأخرين من الشارحين المسيحيين تمسكوا بالاشتباه الذي وقع فيه المسلمون بالدمج بين إيليا الفلسطيني وبين إلياس اليوناني الذي هو الخضر عليه السلام كما في أغلب دراسات المسلمين.

وهذا قد نتطرق له للتفريق بين الشخصيتين رغم الخلط العجيب، ولكن هناك أمور مهمة يجب أن تقال في قضية إيليا وما هو المقصود بكلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بأن اسمه إيليا عند النصارى وإليا عند اليهود وعلي عند العرب (أبيه)، فهل هم واحد في النصوص؟ أم واحد في البشارة؟ ولا شك أن السياق يقربنا من الفرض الثاني.

الفارقليط

المعزي وردت بالتشديد في أوائل الترجمات التي قلبت الكلمة حيث كانت تكتب كما هي الفارقليط، ولكن أعتقد بعد ترجمة إبراهيم اليازجي للكتاب المقدس أصبحت المعزي، وهي معنى مقارب للمسلي أو المهرج بالضبط كما راجعتها باليونانية، التي هي في الأصل من الكلمة اليونانية بيركليطوس وكان في لغة اليونان الفرق بين أحمد وبين المسلي هو الفتحة والكسرة، فإن أحمد هي الباركليطوس بينما المسلي أو المهرج هي البيركليطوس، وهذه هي كل القضية.

ولو كشف أي نصراني هذا السر وهذا التلاعب لشاب رأسه من هول المصيبة، لأن النبي عيسى يبشر الحواريين بأنه سيأتي في آخر الزمان المهرج لينقذ العالم، بينما هو سيأتي أحمد لينقذ العالم.

فهو في خيار سهل لو عرف القضية، ولكنه عمي عن رؤية القضية لكثرة الدخان، فماذا يفعل؟

ولعلّ ضبط الكلمة كما تقول هو من الإبداعات المتتالية التي تتغير فيها الكلمات بقدرة قادر حتى تصبح عكس أصلها ومرادها، ولكن نصيبهم جعل حتى هذا التحريف ينطبق على النبي لأنه المعزى إليه - بضم الميم -.

إن من يطلع على اختيار الكنيسة للكلمات والمصطلحات يجد شيئاً غريباً وهو أنهم يؤمنون أن اللغة طوع أمر الكاهن وهي التي تكوّن الإيمان، والاستنتاج عليك. ولهذا تجدهم

يختارون الكلمات بدقة وحذر شديدين بدون علاقة بالتكليف من الله بل بدافع ذاتي
لحماية الكنيسة فقط.

الجهاد والمرجعية

أولاً: من ناحية دستورية لا يمكن للمرجعية قيادة الناس وهذا من المسلمات. والمرجعية تثق في مؤسسة الدولة وتحمل القائمين عليها المسؤولية، فإذا انفرط العقد فستتصدى المرجعية كما تصدى السيد الخوئي الذي اعتبره الكثير بأنه عدو ولاية الفقيه ولم يستطيعوا تفسير تدخله المباشر وتكوين مجلس عسكري لضبط الأمور، فقامت القوات الأمريكية بالتحالف السريع مع صدام لإعادة البوصلة خوفاً من نمو قضية المجلس العسكري الذي أداره السيد الخوئي بنفسه.

ثانياً: لا علاقة لسعة ولاية الفقيه في حفظ النظام فإن الشيعة متفقون على أن مهمة الفقيه حفظ النظام ورعايته لتأمين المجتمع الإسلامي، سواء كانت الولاية التي يؤمن بها عامة مطلقة بل حتى في الأحكام الأولية أو كانت خاصة مقيدة باضيق نطاق، ولا يوجد فقيه واحد يقول بأنه ليس للفقيه العادل نهائياً الحكم، وما قد يفهم من مذهب السيد الخوئي بولاية الفقيه فهو لا يناقض هذا لأن الفقه نفسه يتكفل وجوب حفظ النظام فيجب على الفقيه ذلك كمنفذ للفقه، ومنشأ رأي السيد الخوئي أن القاضي لا يحكم إلا بموجب الشريعة فالفقه هو الحاكم على الفقيه وذلك لأن السيد الخوئي لا يؤمن بحكم الحاكم في الموضوعات إلا بحدود ضيقة بيّنها في مواضعها. فإذا كان ليس تكليفه الحكم بالموضوعات فهو يطبق الأحكام على الموضوعات فالحاكمية للفقه لا للفقيه عنده، وهذه خلاصة مبتورة لنظريته قدس سره وقد ناقشها تلاميذه كثيراً بأن تشخيص الموضوع المتعلق به الحكم لا بد أن يكون بيد الحاكم وإلا لقال لا ترجعوا لي فأنتمم شخصوا والحكم في حال غضب الحق لا

يجوز ويجب ارجاعه وكفى، فإذا انتفى دور القضاء الإسلامي بهذا الاعتبار، نعم يمكن أن يقال بأنه مكلف بتشخيص الموضوع مدار الدعوى الحقوقية الخاصة أو العامة وعليه فله الحكم على المواضيع إجمالاً، ولكن بحدود أضيق من الولاية العامة وهذا ما عليه الأغلب حياءً من المعصوم بأخذ كل صلاحياته خصوصاً بعد قولنا بالتخطئة وأن أحكامنا ظاهرية بخلاف المعصوم.

ثالثاً: الجهاد الدفاعي في الغالب لا يحتاج إلى مرجعية ولا إلى حكم بل ولا إلى فتوى، لأنه واجب بنفسه من الأحكام الأولية التي تتوجه إلى عموم المجتمع لحفظ نفسه، نعم لا ينجح الجهاد بدون علم واستعداد وهذا أمر آخر وهو فني كما لا يخفى، والفقهاء دورهم هو توجيه الفنيين لإدارة هذا الجهاد وقد يكلف الفقيه نفسه بأن يكون جندي عند الفنيين، ولعل الفتاوى في هذا الشأن تعني تنبيه المؤمنين إلى تشخيص المرجع للخطر العظيم، ومن ثم تنبيه الفنيين والإداريين إلى إدارة الجهاد بصورة مبرأة للذمة ومن لا يفعل يتحمل وزر ذلك من المكلفين سواء كانوا جنوداً أو قادة.

رابعاً: فتوى المراجع بالجهاد لها أسباب ولها أهداف، فأما الأسباب فهي تدارك إنفراط الأمة وذهاب ريحها لأن عنوانها الأتم وهو الجيش خذله أصحابه فانفطر عقدهم فبات الجندي لا يرى أي فائدة في المراقبة. وكانت الأمور تحوص حول ذلك ولكن خيانة بهذا الحجم وانسحاب طائفة كاملة بمحافظاتها لتطبيق مشروعاً إسرائيلياً وحلاً صهيونياً بطريقة بشعة وبطريقة الغل نتيجة دعوات وأفكار لا أساس لها مثل التهميش الذي لا أساس له فإن المهمشين الحقيقيين في الحكومة العراقية هم الشيعة بمتطرفيهم ومعتدليهم وأن الحاكم الشيعي هو يصرح أنه سني المذهب شيعي الهوى، والمسألة إنما هي صراع بين السياسيين على سرقة الخزينة العراقية فقط ثم فقط ثم فقط، هذا بالإضافة إلى أن ما انفطر له عقد

الجيش العراقي إنما هو مشروع صهيوني استثنائي يريد استئصال الإسلام بسنته وشيعته وهؤلاء مجرد أدوات بهائم لا تفقه ويجب القضاء عليها من قبل المسلمين والمسيحيين وجميع الشعب العراقي فإن أمنهم هو بالقضاء على هذا المشروع الوحشي، وهذا هو أهم الأهداف بعد معرفة المسببات، وهذا ما فهمه السنة والشيعية والنصارى واليزيدية والصابئة فكلهم عرفوا الخطر وعرفوا أن دعوة المرجعية للجهاد إنما هي من أوقف العراق على رجليه من جديد وبدأ المد العكسي ضد المشروع الارهابي الاسرائيلي بحجة سخط أهل السنة على ما لا يدرون ما هو؟ فإن مطالبهم التي وصلت للقيادات بسيطة وأهمها هو الخوف، فإنهم يخافون من هيئة المسائلة والعدالة لأنهم ارتكبوا أعمالاً مخالفة سابقة في زمن النظام العقلي بحجة تنفيذ الأوامر فلا يريدون إلا راحة بالهم من هذا الخوف الذي يلاحقهم، فأغلب هذه الطائفة الصغيرة في العراق اشترك في جرائم صدام بشكل من الأشكال ولو بالدعايات والإشاعات ولا ننسى أن قوة صدام كانت عشرة بالمائة بقوة سلاحه وإرهابه، وتسعون بالمائة بالدعايات والتضخيم.

خامساً: إن فتوى سماحة السيد السيستاني كانت واضحة بأن الجهاد تحت إدارة الدولة، فإذا انحرفت الدولة فعلى الشعب أن يقرر مصيره ومصيرها ويمكنه أن يغير ذلك بنفسه إذا وعى أمره. بينما سماحة الشيخ بشير طلب الإنتماء للدولة أو للمقاومة المنسقة مع الدولة حتى لا تحدث مصادمات من جهة وليقينه بأن هناك من سيفشل الجهاد ويحوله إلى إسفنجة ماصة للصدّات التي يتعرض لها الخونة وبالنتيجة هو أيضاً يحمل الدولة المسؤولية لإدارة الملف لأن الامكانيات لا تتوفر إلا لدى الدولة. فالسؤال بعد وضوح الأمر لا معنى له، وهو نابع من القلق ومن الرغبة بتصدي الفقيه للشؤون العامة، وهذا جيد جداً ولكن المشكلة أن دستور العراق لا يقبل ذلك والفقهاء يريدون من الجميع تطبيق الدستور ما

داموا قد اتفقوا على هذه الآلية لحفظ النظام المسمى بالدستور، وأما مع إنفراط الأمر فلا يبقى للدستور محل، لذلك يختلف تكليف المرجع عند ذلك كما نوهت أعلاه.

سادساً: ما هي مسؤولية الفقيه في التصدي للجهد الدفاعي في حال إنفراط الأمر؟ جميع فقهاءنا يقولون بوجود التصدي، ولكن من لا يرى اختصاص الفقيه بتشخيص الموضوعات يرى عمل الفقيه هو تكليف المختصين والإشراف عليهم، ومن يرى الولاية العامة وتشخيص الموضوعات فهو بنفسه سيكون مسؤولاً عن مجلس إدارة النظام، وحسب خبرتي ومعاشرتي لجميع أنواع الفقهاء بمختلف نظرياتهم أرى أن الأمر في النهاية يعود للطبيعة الشخصية للفقيه المتصدي، فإن من لا يجيز الحكم بالموضوعات إذا كان يشك بالقيادات فلن يترك الأمر إلا بالإدارة المباشرة فإننا سألنا فقيهاً لا يؤمن بالولاية العامة أن يعين ابنه بدله في إدارة ما، فرفض قائلاً إنه قد لا تبرؤ ذمته حينما يبتعد عن الإدارة، ومن يؤمن بالولاية العامة إذا كان عقله مؤسسياً فإنه سيتق بقاتته ويمنحهم الصلاحيات ويبقي على الأمور الكلية ورسم الخارطة العامة من الخطوط الحمر والخضر، فحسب خبرتي أن مسألة إلتماس مع الإدارة هي مسألة شخصية بحسب تكوين الفقيه المتصدي، فالسيد محمد سعيد الحبوبي قدس الله نفسه أخذ أفضل النخب الشيعية وقاد الجهاد بنفسه حتى مات شهيداً وكان حامل ختمه السيد محسن الحكيم الذي أصبح المرجع العام لعموم الشيعة من سنة ١٩٥٦ إلى سنة ١٩٧٠، وكذا حال المراجع في إيران في زمن فتح علي شاه حينما تنازل عن الأجزاء الخضراء من إيران في شمالها وقد تم بإنفصال سني مسيحي حيث انفصلت المكونات السننية والمكونات المسيحية لصالح الروس، وقد طمع الروس بأخذ تبريز ونواحيها فكان الرد المرجعي الشيعي أن ذهب بعض المراجع بأنفسهم لإدارة القتال بدلاً عن خيانة فتح علي شاه بينما بقي الآخرون في النجف وطهران وخراسان وأصفهان يحشدون الجنود

حتى فشلت مساعي الروس من ضم تبريز بعد عمليات عسكرية وحيل سياسية كبيرة من أجل التخلص من إزمات الاتفاقات التي عقدها الشاه مع الروس، وهذا يدل على أن القضية ذات طابع شخصي في تشخيص العمل بغض النظر عن أصل الفكرة، فكلها قابلة للتطبيق.

الرسم القرآني

القول بأن القرآن نزل رسماً على رسول الله صلى الله عليه وآله هو قول من لا دليل له ولا يقول به مسلم قط وهو مخالف للوقائع التاريخية.

وأما قضية الرسم فإن الرسول كان يقرأ على المسلمين وهم يكتبون بطريقتهم الإملائية، وكان أغلب المسلمين المتعلمين للكتابة يتعلمون الكتابة عند أهل الكتاب وهم في الغالب تتسرب عندهم الكتابة العبرية إلى العربية فكانت تكتب الصلاة وعلوة والزكاة زكوت وغير ذلك في طريقة إملاء العرب لأن المثقفين في بلاد العرب ذلك اليوم هم أهل الكتاب من نصارى ويهود وأما الوثنيون فهم جهال لا يقرؤون ولا يكتبون ومن كتب منهم يتعلم عند اليهود، فليس بدعاً إذا كان الرسم القرآني خاضعاً لطريقة الإملاء العربية التي يتسرب فيها الإملاء العبري ببعض الكلمات وعلى الأخص ذات الطابع الديني غير الوثني، فدليله هذا هو دليل من لم يعرف التاريخ أصلاً.

ثم لو سلمنا بأن الرسول صلى الله عليه وآله نزل عليه القرآن بالرسم فلا بد أن يكون بطريقة إملاء الرسول أو طريقة خاصة، ولكن الرسول لم يكن لديه نسخة بخط يده وهم يقولون أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب وإجماع المسلمين أن القرآن لم ينزل ألواحاً منسوخة، وكل النسخ التي لديه في بيته إنما هي بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فحتى النسخ التي كانت عند زوجاته هي بخط علي.

ولنتزل ونقول بأنها بخط الصحابة عمومًا بدون تحديد كما يحلو لمن يكره عليًا أن ينسب المصحف الذي كان عند رسول الله والذي أخذته حفصة بنت عمر معها والذي اعتمد فيما بعد من قبل الخليفة عثمان لعمل المصحف الإمام بخمس نسخ وزعت على البلدان لحفظ القرآن، فإن الجماعة لا يريدون أن يفهموا بأن هذا المصحف الأصلي هو بخط علي بن أبي طالب، وأن مروان بن الحكم سعى أن يحرقه فترة وجود عبد الله بن عمر لأنه كان عنده ولم يحصل عليه وما أن مات عبد الله بن عمر أو غفل عنه حتى سلبه مروان بالحيلة وحرقه، وهذا ثابت تاريخيًا، فلماذا حرق مروان تلك النسخة الأصلية وهي نسخة النبي في بيت حفصة والتي هي أصل نسخة ابن عمه عثمان؟ فهذا ما لم يعلم! فهو إما كرهًا للنبي وحقدًا عليه وعلى القرآن الأصلي وإما للتغطية على تحريف وتزوير قاموا به في لجنة عثمان بإشراف مروان الذي كان كبير وزراء عثمان ويريد أن يمحو هذا الأثر تاريخيًا، فعلى المسلم أن يختار فرض من الفرضين.

والخلاصة إن المدعي انطلق من عدم علمه بمجريات الأمور وملاحظته للرسم الحالي من دون أن يتحقق عن جذور هذا الرسم فافتراض أن الرسم نازل ولم يسأل نفسه هل ينزل الله الرسم بخلاف إملاء الإنسان؟ أي بخلاف لغته؟ فلو كان الجواب نعم فالمشكل لا يفهم طبيعة رسالات الله، ولو كان الجواب لا فهو لا يفهم إملاء العرب في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله.

دليل صرف أموال الخمس

كل الإعلاميين المرتبطين بالمشروع الغربي يحاولون تشكيك الشيعة بدفع الخمس إلى المراجع لأنهم يعرفون أن طلب العلم قوامه هذا المال فإذا توقف توقفت كل مؤسسة المرجعية الشيعية التي يبغون تفكيكها.

وهذا أمر مطرد.

أما المسألة في واقعها فإنه لا دليل نصي على تسليم المبلغ إلى الفقيه، وإنما الدليل المستخدم في هذا الموضوع هو ما يسمى بالدليل العقلي وهو قريب منه وليس هو بالضبط.

يقول الدليل أن سهم الإمام ملك الإمام وهو يتصرف فيه، ولا يجوز لأحد التصرف في ملك الإمام بدون إذنه.

فهنا يرى بعض الفقهاء عدم جواز التصرف مطلقاً وآخر من عرفت منهم هو السيد حيدر والد السيد محمد باقر الصدر وكان يأمر بالدفن والحرز والوصية فيه.

وبعضهم يرى أن بقاء المال محبوباً قد يكون غير جائز لأن الإمام حينما أذن بتصرفات الفقهاء أذن بتصرف الفقيه في المال العام لتسهيل أمر الدين، فإن هذا المال هو مال عام لمقام الإمامة فيكون المتصرف هو الفقيه الجامع للشرائط وتقع المسؤولية على رقبته وبعضهم يرى أنه مال عام يملك للفقيه، وأغلب الفقهاء القائلين بهذا الأمر يرون أن مما يخرج عن عهدة

التكليف هو صرف هذا المبلغ على نشر العلوم ونشر المذهب لأنه من تكليف الإمام وصلب مهامه وكان الأئمة يصرفون من أموالهم من الخمس على أهل العلم.

وبعضهم رأى أن مما يرضي الإمام أوسع من الصرف على طلبة العلم وترويج العلم وإن كان منه، ولكن الفقراء والمساكين مشمولون أيضاً بعناية الإمام فيجوز الصرف عليهم سواء بإذن الفقيه وبعض يرى أن لا حاجة للإذن لأنه أمر توصلي (الصرف وليس نفس الخمس فإنه تعبدي).

ولكن الكثير من الفقهاء المعاصرين يرون أن من المشكل السماح لغير الفقيه بتقدير المصرف فإنه إغراء للعوام في التساهل في صرف مال الإمام فيما قد لا يناسب، فإن الفقراء كثيرون جداً ومال الإمام المدفوع من بعض الشيعة لا يستوعب الفقراء أبداً، وإذا بدد هذا المال الشريف فلا يبقى لأهل العلم ما يقيم أودهم فينبغي إنهاء المذهب عملياً، هذا ما يسمى بالدليل العقلي فإن لازم عدم أخذ رأي الفقيه إنما يلزم منه تدمير المذهب لأن نظر الناس إلى أقرب الفقراء لا إلى حفظ حوزة الدين وكيانه التسلسلي وهذا تدمير للدين وبالتالي فقد يصار إلى الارتباط بغير نفس الدين كما هو عند علماء كل الديانات والمذاهب حيث ارتباطهم بالقوى البشرية والحكام والنافذين ويتبعون قرارهم وليس لهم استقلال مطلقاً في دينهم، وهذه الميزة في الاستقلال في مذهب الإمامية الإثني عشرية ستفقد تماماً بعدم التمويل للحوزات ولرجال الدعوة إلى الله وهو ما يسعى إليه الأعداء الذين يتمنون أن لا يرون التشيع موجوداً على الأرض.

وأعتقد أن ما رد به الأخوة يجب أن ينظر لهذه النظرة الواقعية التي يتمسك بها الفقهاء والذي يسمونه بالدليل العقلي في بعض الأحيان لأنه يعتمد على اللوازم.

وما طرحه الأخ الهاد صحيح فإن الاستدلال بالأدلة العامة غير صحيح في هذا الموضوع ولا يستأنس به كثيراً، نعم في كون هذه الأدلة إذا دلت على الولاية فإن لازم الولاية هو التسلط على مال الإمام بحكم الولاية فيكون لا بد من مراجعة الولي بحكم الولاية. وهذا ليس رأي الجميع وإنما هو رأي من يقول بالولاية المطلقة بموجب النصوص العامة والخاصة، فكلام الشيخ الهاد صحيح بنفسه أن هذا الدليل محصور فيمن يقول بالولاية وليس لجميع الفقهاء.

والحقيقة أنهم جميعاً يعتمدون على ما يسمونه الدليل العقلي الذي هو بطلان اللازم من القول بعدم مراجعة الفقيه في المصرف وأغلب الدارسين يميلون إلى هذا القول حتى الإخبارية منهم فإنهم يعرفون بأن السماح والإذن بصرف مال الإمام عشوائياً مضر بالمذهب كما صرح لي بعض زعماء الإخبارية حفظه الله.

قضية ذو القرنين

إن قضية ذي القرنين الآن قضية مهمة جداً لأن أعداء الإسلام وأعداء القرآن يريدون اثبات خطأ القرآن فيكون القرآن ليس من الله كما يدعي المسلمون، . ولا اتذكر أنهم تعرضوا لقضية أصحاب الكهف كقضية مسقطه للقرآن.

إن اسقاطهم للقرآن مبني على معلومة خاطئة جداً، وهي أن ذي القرنين هو الاسكندر المقدوني، وهو وثني كافر يخالف ما وصفه القرآن بالعبد الصالح، فلا بد من الجواب بأمور:

الأول: فمن يقول أنه الإسكندر أصلاً، فقد وجدت دراسات تقول أنه ليس لذي القرنين علاقة بالاسكندر على أغلب التقادير لأنه لم يصل إلى مطلع الشمس ولا مغربها ولم يبني سداً ولم يهدي أمة وإنما قتل وخرّب البلدان التي مر بها جميعها وقد قُتل شاباً بسبب تخريبه حيث قتله الفرس في بابل كما يقال انتقاماً من أعماله وهذه قصة لا تتطابق مع النص القرآني، فينقلب اشكالهم عليهم فإن فرضهم لكونه هو المقدوني بلا دليل علمي ولا تاريخي ولا يمكن اثباته تاريخياً.

الثاني: من يقول أن الاسكندر كافر بهذا الشكل؟ فلعل كل هذه الأوصاف له كذب عليه من قبل أعدائه! فهل حققوا في حقيقة الأمر؟ وإنما يصفه به من لا قيمة لهم علمية وهم علماء الآثار الذين يكذبون ويشتهبون في الغالب، وقد اعترف أمامي أحد كبار منقبي الآثار الألمان بأنهم قد يحتملون شيئاً فيتحوّل عند الناس علماً مقبولاً بينما تظهر النتائج البعدية خلاف ذلك الاحتمال.

الثالث: إن معرفة ذي القرنين الحقيقي، سواء كان عربياً أم فرعونياً أم فارسياً أو صينياً أو أوربياً، بنفس صفات القرآن الكريم، هو انتصار للقرآن الكريم، ولكن بعلم يقيني وليس ظنياً، فيعني أن هذا بنفسه معجزة، وينقلب السحر على الساحر حيث يتحول النص من مشكل يراد به إبطال مصدرية القرآن الكريم إلى معجز يثبت المصدرية بأقوى مما كان عند نفس المعارض، وأنا جربت مع من يدعي بأنه لا ديني باسم "مهادن" فلم يستطع الرد بعد أن كان يتشدد بأن هذه القضية تسقط القرآن وصدقته، والذي أظن أن "مهادن" مجرد مشوش فكرياً لا يدري ما يقول وليته اهتدى بهدي العقلاء وشاطرهم التفكير بدل التيه.

فلا ينبغي أن ننساق في الابتعاد عن النص بحجة التعمق في الفهم، لأن هناك مستويين من الفهم للنص:

الأول هو ظاهر الدلالة.

الثاني هو الباطن.

فإذا خالف البطن الظاهر كثيراً فإما أن نوجد قرينة لعدم إرادة الظاهر أو ندعي بأن هناك معاني متوازية لا تلتقي، وكلاهما ممكن في حال هذا البحث، ولكن حين ندعي ذلك علينا أن نقول بأن البحث التأويلي الخارج عن النص أو علم الدلالة إنما هو يبحث القضية في مجال آخر تماماً لا ينفي مجال النص الذي يتأطر بعلم الدلالة، بمعنى أن هذه معرفة ثانية لا علاقة لها بما يفهم من القرآن ولكن هذه المعرفة تستخدم الرمز القرآني وإيحاء هذا الرمز ليكون موجهاً للمعنى الذي تولد في نفس الباحث، وهذا كلام لا شأن لنا به فهو نظريات أغلبها مستندة للخيال وليس لها أي دليل يسندها فإذا وجد الدليل فنحن معها ولكنها ليست متقاطعة إطلاقاً مع النص القرآني، بل هي متوازية معه وتسير بطول معناه.

ثم إن نفيك لاحتمال أن يكون داريوس على ماذا بنيته؟

الأبحاث الإيرانية (التي قلت: أنه يجب التأكد منها) تقول بأنه رجل مؤمن (هذا قول المحققين الإيرانيين نتيجة النصوص التي عثروا عليها) وأنه سافر ثلاث سفرات أو أكثر حيث أخضع أوروبا وشمال أفريقيا أولاً، ثم أخضع الهند والهند الصينية ثانياً ثم اتجه إلى جبال القوقاس، وبنى هناك سدًا (والحقيقة أنه أكمل سد سلفه كورش وهو قبل سور الصين العظيم بثلاث مائة سنة مما يعني أن سور الصين هو تقليد لهذا السد مع أن الإيرانيين يقولون بأن داريوس أكمل السد من الجهة الشرقية إلى خوازم أي حدود الصين تقريباً ولعل الصينيين أكملوا هذا السد المبتدئ من البحر الأسود حتى قيل أن طوله أكثر من ٨٠٠٠ كم أي بدمج السدين، فلماذا هذا العمل؟) فيما يعرف ذلك السد لاحقاً بسد القوقاس ويقال أن هناك بوابة اسمها بوابة دريند يدعون وجود بوابة من معدن الحديد والنحاس فيها، وأهم شيء في رحلات داريوس أنه وصل إلى شمال أوروبا فلا بد والحال هذا أنه شاهد ظاهرة الشفق القطبي حيث يصف الله نزول الشمس في نار ملتبهة كأنها تخرج من بئر لتلتهم الشمس، وهذه بالضبط متطابقة مع ظاهرة الغروب في حال حدوث ظاهرة الشفق القطبي الكهرومغناطيسية التي تولد نوعاً من البلازما المعروفة في طبقات الجو لتكوّن نوراً ملوناً ينبثق من نفس الغازات كما يحصل في شمعات النيون وفي شاشات الكاثود، وأن داريوس حسب النصوص الإيرانية كان قد كتب الشرائع وأكرم الأديان وأقام دولة ميزانها العدل وليس الانتماء الديني ولهذا قبلت به الشعوب لأنه لم يطلب تغيير دياناتها وإنما طلب العدل والتعايش وسن لذلك قوانين عدم الاعتداء وفرض احترام القانون. وكل هذه التوصيفات تقترب من التوصيف القرآني إلى درجة شبيهة بالمطابقة. فردك لهذه المعلومات عبارة عن مشتبهات ليس لها أي واقع علمي، فأنت إما أن تنفي معلومات الإيرانيين وهذا

من حقه لكن بالدليل وبالبحث المقابل، وإما أن تجد ثغرة خطيرة تعارض ولو واحدة من الأوصاف في النص القرآني. فهذا هو البحث العلمي على أقل تقدير، نسأل الله لكم التوفيق وإزالة التشوش.

من المؤكد أن الاسكندر المقدوني قرر الإنتقام من الذل الذي سببه داريوس لأوربا بعد هجومه الكاسح قبل الاسكندر بحوالي ٢٠٠ سنة، والدراسات الإيرانية تقول بأنه وصل إلى شمال أوربا بعد اكتسح اليونان والرومان. ثم ان كورش لم يصل إلى الهند ولا إلى اوربا وقد قاد داريوس احتلال مصر قبل أن ينصب ملكاً، وهذه حيطان عاصمته قرب شيراز من أداء ملوك الأرض جميعاً عهد الولاء والطاعة، والمؤخون الإيرانيون يقولون بأن داريوس نجح في مهاجمة الإغريق وما بعد الإغريق، ولكن الكتاب الإغريق ادعو أن داريوس نجح أول الأمر ولكنه خسر المعركة في الأخير: (يذكر هيرودوت أن الحملة التي أرسلها داريوس لاحتلال بلاد الإغريق حققت نجاحاً في بداية الأمر، فاستولت على مدينة ارتيريا واستعبدت سكانها، ثم اتجهت الحملة إلى شبه جزيرة أتيكا لتأديب أثينا، فنزلت القوات الفارسية في سهل الماراتون، حيث جرت المعركة المشهورة بين الفرس واليونانيين عام ٤٩٠ ق.م، والتي انهزم فيها الجيش الفارسي. وقد بالغ المؤرخون اليونان في وصفهم لهذه الحرب وعدد الجند الذين شاركوا فيها، واختلطت الحقيقة بالأسطورة.)

إن هذا التقرير غير واقعي فإن الرسوم التاريخية تدل على تقديم أثينا رسوم الطاعة لداريوس وفي التاريخ خلل في الزمن، وهذا يدل على هجوم داريوس على الغرب فليس أقل من الشمال الأفريقي فهل هو شرق إيران؟

إذن يا أخي الكريم علينا قراءة التاريخ وجغرافيا التحرك بشكل دقيق، ويجب أن لا تنسى أن الشعوب الشمالية من الألمان والفايكنك والهكسوس هم شعوب إيرانية هاجروا إلى شمال أوروبا لأسباب عسكرية فهل كانت الهجرات العسكرية بدون وصول الجيش. فأرجو قراءة الحدث من جديد لصالح تحقيق من هو ذو القرنين مع العلم بأن الأوربيين يدعون بأن داريوس هو من نشر الديانة الزرادشتية، بينما الإيرانيون يقولون أنه موحد، فلعل الزرادشتية في ذلك الوقت لم تكن شركية وكانت ديانة توحيدية، فإن أمير المؤمنين عاملهم معاملة أهل الكتاب وهذا يعني أن أصل ديانتهم صحيحة وقد انحرفت انحرافاً هائلاً كما إنحرف المسلمون إلى الديانة الوهابية الشركية المبتعد عن الإسلام ١٨٠ درجة.

أصول الحوار العلمي

السيد مهادن^٥،

قرأت أسئلتك وأجوبتك فرأيتك لا تجيد طرق التفكير العلمي، وسأبين لك باختصار ما يدل على عدم أهليتك للتساؤل أصلاً. منهجياً حين يتحاور طرفان لا بد من وجود بعض الأمور بينهما:

منها توفر نقاط الاتفاق، ومنها الالتزام بالمباني لكل منها، ومنها اتباع المنهج العلمي المنطقي، ومنها امتلاك آليات الفهم للمطلب المبحوث عنه، ومنها وضوح الشخصية وتمايز كل من الطرفين فإنه لا بد لكل طرف من تحديد ذاته ومحاولة تحديد مقابله ليكون هناك حوار مثمر.

وهذه الأمور وغيرها مما ينبغي توفره في المحاور العلمي هي مفقودة عندك بشكل تام، فلا يوجد قواسم مشتركة مع من تبحث معهم، ولا يوجد عندك التزام بمبانيك، ولا يوجد عندك منهج منطقي للاستدلال، ولا يوجد عندك آليات لفهم النصوص وتداخلها، وليس هناك وضوح بشخصيتك، كما أنك لا تفهم شخصية خصمك. فكيف تريد أن تحاور وبصفة مهادن؟ بينما أنت أشد الخصام حيث تهاجم وأنت لا تحديد لنوعك، وهذا من اشد أنواع الخصام. وهو حين يخاصم من لا هوية له، وهو مملوء بالحقد والكراهية والهجوم على

^٥ حاور حاور العلامة المنار في شبكة هجر، وفي منتدى الطومار الليبرالي، كان يدعي أنه لا ديني وغير متمذهب بل باحث عن الحقيقة، فيسأل في شبكة هجر ويجيبه العلامة، ثم يستهزأ بكتابات العلامة في الطومار!

أساسهما ابتداءً. فهذا هو حالك بكل تأكيد ولن أناقش رشحات الكراهية والحقد العجيب بين كلماتك فهي لا تفوت أصحاب الفن، ولكنها تخفى على من لا قدرة له على التمييز.

– القواسم المشتركة: وهي ضرورية لجعل الحوار مثمرًا؛ مثل المرجعية الأساسية للدليل، والأدلة المسلّمة بين الطرفين (من نصوص وغيرها)، والغاية المنشودة للطرفين كما لو كان الطرفان ينشدان الحق مثلاً، ويتحاوران على أي الفكرين يوصل لهذا الحق المنشود.

وهذه الأمور مفقودة فيك تمامًا، فلا تملك ما تتفق فيه مع محاوريك حيث لا يوجد مرجعية أساسية للدليل، فلا أنت من أهل العقل وتناقش بالدليل العقلي، ولا أنت من أهل النقل فتناقش بالدليل النقل، ولا أنت من أهل الأثر العلمي والاستقراء المنطقي لتناقش بهما، ولا يوجد لديك تحديدٌ لحدود كل من الدليل العقلي أو النقل أو الأثري العلمي.

فعلى أي أساس ترفض أو تقبل فكرة من خصمك؟ ومن أعطاك حق رفض فكرة خصمك بحكمك الخاص؟

فهذا لا يمكن أن يكون بهذه الطريقة، لأنك تبدأ منكرًا وتستدل بإنكارك على الإنكار وباستبعادك على البعد، وهذا غير مسموح لمحاوّر أن يقابل به خصمه، والسبب هو عدم وجود أي قاسم مشترك بين الطرفين، فيكون البحث عبثيًا، وهو قد يكون عند من لا هوية له نافعًا لأنه بنفسه عبثي ويريد العبث، ولكنه لا يكون نافعًا عند من يبحث عن الجدوى والحصيلة ولديه تسلسل منطقي والتزام علمي.

– الالتزام بالمباني: وهذا من أهم ضروريات الحوار من أجل الوصول إلى نقطة الاتفاق بالدليل الجدلي الصحيح، حينما لا ينفع البرهان، إما لعدم تعقل المقابل للبرهان وقوة إلزامه أو لأنه صاحب هوى وغاية ويريد أن يلتف على الحقيقة.

وسوف لن أطيل بهذا الأمر لأنك قطعاً لا تتعقله ولا ترى له أهمية له، وهذا واضح من كل كلمة كتبتها، إلا أنني أريد أن أشير عليك بقضية في غاية الأهمية في هذا الجانب، وهي أنك تقول هذا القول: (لشخص مثلي يصنف نفسه لا ديني حتى اشعار آخر).

فهذا تصنيفك لنفسك وعليك أن تلتزم بهذا التصنيف والتزاماته. فإذا كنت لا دينياً فيعني أنك أساساً تجيز التناقض ونفي السببية لأن أساس الدين هو عدم جواز التناقض وعكسه عكسه، بل بالتحقيق العلمي إن كل فكر لا ديني لا بد أن ينطلق من تجويز التناقض والصدفة العبثية ليفسر به الكون بدون إله وبدون دين، ولو ادعيت أنك مؤله بلا دين فهذا هو الخلل بعينه وهو خروج عن الالتزام بما تقوله. فإذا كنت تجيز التناقض فكيف تُشكل بالتناقض؟ وإذا كنت تجيز عدم السببية فكيف تطلب السببية؟ ولماذا ترى في الاختلاف عيباً وأنت لا تجده عيباً أصلاً؟ فليس من حَقك أن تقول لخصمك: (أنت ملتزم بعدم التناقض وبوجود السببية وهذا الكلام لا يدل عليه، فأنت مخالف لمبدأك). وذلك لأنك لا تتفق مع خصمك بهذا القاسم المشترك فما عليك منه حين يعمل وفق التزامك أنت؟ من قبول التناقض وقبول العبثية وعدم السببية. فحين ينطق خصمك بما تريد فلا إشكال لك عليه من الأساس، نعم لو اعترف هو بالتناقض وعجز عن الحل عنده لكان إشكالاً عليه بعدم الالتزام ولكن وفق مبنى من يتفق معه بهذا القاسم المشترك، وليس وفق مبدأك.

وثانياً: هو لا يسلم لك بكونها تناقضاً إلا في مخيلتك. لأنك لم تتوفر على آلياته، ولو كان تناقضاً عنده لرفضه لأنه لا يؤمن بالتناقض، ولو كان عبثياً لرفضه لأنه لا يؤمن بالعبثية. ومع ذلك فلو قَبِل التناقض مع أن مذهبه عدم التناقض فلما خرج عن مبدأك كما قلنا، ولما كان لك إشكال عليه، وإنما هو وجه من وجوه الـ لا دينية وقبول التناقض وعدم السببية. وهذا متماشٍ مع فكرك فلا يمكن أن يولد عندك إشكالاً لأنه يمشي وفق معتقدك. فما

إشكالك عليه وهو موافق لك في وقوع ما أنت تقبله؟ والخلاصة أنه إن قدم حله للتناقض الظاهر أو دفعه أصلاً بحسب مبناه، فهذا عدم اعتراف بالتناقض يجعل كلامك أجنبياً عن قاعدة الحوار، وتبقى أنت في مشكلة الإشكال على ما أنت توافق عليه، فينقلب الإشكال عليك وليس عليه، وأما بقية شواهد وقواعد التوافق مع المباني فأمرها واضح لأهل الفن.

- إتباع المنهج العلمي المنطقي: وهذا يقتضي تسلسل الأدلة وعدم تضارب الأحداث في جهاتها والتفريق بين أنواع الأدلة وقيمتها العلمية ومنشئها.

فمثلاً أنت رويت قصة تحوّلك إلى لا ديني كما يبدو من كلامك وهي أنك ابن ثمانية عشر ربيعاً سمعت قارئ القرآن يقرأ آية {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} ففكرت في قول العلماء (إن الله خلق الخلق للعبادة مصلحة للخلق وليس حاجة للخالق) فهذا هو مبدأ الشك عندك وقد انقلبت إلى لا ديني بناءً على هذا السيناريو الفاشل. فلو درسنا هذا السيناريو لوجدنا فيه ما شاء الله من الخلل:

هذا السيناريو لا يتفق مع ابن ثمانية عشر، فابن ثمانية عشر لا يفكر بهذه الطريقة الخبيثة فهو إلى البراءة أقرب مع أنه شديد التعصب لما بين يديه، فهو متعصب لما يعتقد به فإذا كان مسلماً فهو متعصب لإسلامه وإذا كان كافراً فهو متعصب لكفره. وهذا معروف من سيكولوجية الإنسان ومراحل المراجعة والتشكيك تبدأ في مرحلة متأخرة جداً.

إذا كان ابن ثمانية عشرة ولا يلتفت للقرآن إلا في هذه اللحظة فهو لا يعرف أقوال العلماء في الخلق ولا يميّزها، وإذا ميّزها نتيجة تلقين ودراسة وهذا ممكن جداً، فهو يعرف أن ما طرحته غير صحيح، فالعلماء يربطون بين التكليف وبين المصلحة ولا يربطون بين فعل الله وبين المصلحة، وهذا القول ليس بين جميع المسلمين ولا يعرفه من المسلمين إلا الشيعة

القائلون بأن التكليف لمصلحة المكلف بالفتح، وهو يختلف عن قولك بأن الله خلق الخلق لمصلحة، فإذا كان شيعياً دارساً فهو يفهم أن هذه المقولة التي أوردتها بهذه الصيغة لم يقل بها علماء الشيعة، وإنما هم يقولون بأن خلقَ الله لخلقهِ لا يُعلل، بينما التشريع والتكليف يعلل بمصلحة العباد، وهم يؤمنون بأن آية {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} من المتشابه الذي يجب الفحص عن كل جزء فيها، فإذا فوصل إلى نتيجة تحل التشابه فيها ونعمت، وإذا لم يتوصل الإنسان إلى نتيجة حاسمة بحسب مداركه، يتركها لقاؤها اعترافاً منه بالعجز لأنها من المتشابه الذي لا يجوز تقحمه عقلاً وشرعاً، فأما العقل فلا حكم له لما فيه احتمال مخالفة ما يرى، وأما الشرع فهو للنهي من إتباع المتشابه.

وهذا الشاب ابن الثمانية عشر ذكر إشكاليين ولكنه نفى الإشكال الأول بعد جملة مناقشات، والإشكال الأول هو أنه قال «فالأية ترجع سبب الخلق لرغبة الله ان يعبد وهو مستغني عن ذلك حتماً» والتعبير العلمي لهذا الإشكال هو أن فعل الله لا يعلل لعدم صحة العلة عليه، وهذه الآية تعلل فعل الله، وقد غفل هذا الشاب أن مئات الآيات المتعلقة بفعل الله تعلل فعله، وليس هذه الآية فقط، ولم يجد علماء الشيعة الملتزمين بهذه القضية غضاضة لأنهم يقولون العلة إنما هي من جهة المقدور لا من جهة القادر، ولكن فعل الله الأساسي لا يعلل إلا به. هذا الإشكال يكون على السنة أيضاً بشقيهم الأشاعرة والحشوية وعلى المسيحيين وعلى اليهود لوجود هذه الحقيقة في كتبهم ومبادئهم وهي ذكر تعليقات للخلق مع أنه غني عن التعليل. وكلهم لهم جواب واحد تقريباً إلا من يجيز انعدام المنطق فإنه ينفرد بأن هذا تناقض مقبول لأنه ورد في النص فلا ضير فيه، كالحشوية وبعض اليهود والنصارى أمثالهم في العقلية، فالكنيسة الحشوية تقول بكل ثقة أن الإيمان والمنطق أو العقل لا يتفقان، وهكذا الوهابية وغيرهم فإنهم يرون النص الديني والمنطق والعقل لا يتفقان، ولا علاقة لأحدهما

بالآخر، وعليه فإن الإشكال لا يتوجه عليهم بالأساس لأنهم يقبلون ظاهرة التخالف، وإنما يتوجه لمن يقول بخلاف ذلك كالشيعة وغيرهم من العقلايين وهم قد بينا أنهم يجيبون عن القضية بوضوح واختصار بأن التعليل بعد قرار الخلق يتعلق بالمقدور لا بالقادر. وأما قرار الخلق فهو عائد لله الذي لا يسأل عما يفعل، إلا أن من يؤمن بنظرتي الصدور الموجب أو نظرية الفيض فإنهما نظريتان توجبان التفضل بالعطاء والفيض الدائم من الله الكريم على الدوام بدون إلزام عليه وإنما هو فيض بحسب الطبع كما هو - مع قصور في التشبيه- إشعاع مصدر الضياء الذي من طبعه الإشعاع وليس لأحد أن يلزمه به. والفارق في مثل هذه التشبهات مع قول الأشاعرة وغيرهم أن الله مختار عالم بحريته عند الشيعة وهو عند غيرهم مسلوب الحرية وعلمه مقيد من الأزل ولا يستطيع خلافه وإلا انقلب علمه جهلاً. وعلى كل حال فإنك قد نفيت هذا الإشكال بقولك «ولكن ليس هذا ماسألت عنه. ليس التناقض في الآيه ولكن في تفسيرنا بأن الخلق لمصلحة الانسان» فهذا حصر للسؤال فيما يتعلق بالفكر الشيعي، وليس في اتجاه تعليل فعل الله، ولهذا حاولت اقتراح التصحيح من منطق القضية بمنطق حشوي سارق من الأشعرية بقولك «أعتقد لكي يستقيم أنه لمصلحة العباد فمن عبَدَ الله ينال أعلى الدرجات ومن لا يعبد لا يعاقب» وهذا يتماشى تماماً مع من ينفي قاعدة التحسين والتقبيح العقليين ومع من ينفي دليل العقل ودليل العدل، فهو يؤمن أن ليس هناك مقياس حقيقي للعدل، ولا يمكن من ناحية عقلية معاقبة المذنب إلا بإرادة إلهية محضة بدون سبب، بلا اعتراض. وليس مطلوباً من الله العدل ولا التزام به ليفرق بين المسيء بعقوبته وبين المحسن بثوابه، وسأتكلم عنه إذا وجدت لذلك متسعاً في بقية كلامي.

قلنا أن ابن ثمانية عشر لا يجيد هذه الألاعيب الفكرية ليتبادر لذهنه هذا، فإذا كان دارساً فلا شك في أن هذه الآلية وغيرها قد سبق وأن فكر بها وفهم الجواب، ولم تكن مفاجئة إليه لأنها وردت في أثناء الدرس الإبتدائي، فانا ابن خمسة عشرة أو ستة عشر حين درست الباب الحادي عشر في علم الكلام، فكان الكلام عن هذه الآلية وغيرها يرن في أذني من المدرس قدس الله نفسه الزكية لحد هذا اليوم، فالدارس لا يقوته هذا. وغير الدارس لا يعرف هذا أصلاً، ولا يفكر في إزماته، وإنما هذه شبهات مرقعة من كل قماش رقعة لتكوين صورة حنقبارية هزلية يقوم بها أصحاب الأهواء والمذاهب المعادون المكلفون بالهجوم على أعدائهم أهل الحق لتثبيت الباطل، وهذا يعني من وجهة نظر علمية أن صاحب هذه الإشكالات غارق في تدينه المذهبي إلى قمة رأسه، في وحل الباطل الذي عليه، ويريد أن يشكك الناس في حقهم، بطرق غير فنية. وأقول ثانياً: ثم إن هذا الشاب لم يشكل على الدين ولا على القرآن، فيما يبدو من حديثه. وإنما أشكل على المتدينين والمفسرين بموجب مذهب معين، وهذا لا يدعو إلى عدم التدوين بل هو دعوة للتழهد بخلاف المذهب المقصود هدمه، فإن من يرى أن الإشكال في فهم النص الديني لا في النص، لا يتحول إلى لا ديني بل هو مذهبي للأعماق، وهذا خلل كبير في السيناريو المضحك الذي عرضته علينا، ولن أطيل في التنبيه لخلل السيناريو المخجل جداً من زوايا أخرى.

- امتلاك آليات الفهم للمطلب المبحوث عنه: وهذا مفقود جداً عندك فأنت لم تدلل على وجود أي آلية لعلم الدلالة من أجل تحديد الظواهر وفهم دوائر الدلالة، وهذا واضح من خلال حوارك وإشكالاتك التي تعتقد أنها ذكية في القفز على الدلالات، بينما هي مكشوفة لأصحاب الفن بشكل يدعو للسخرية، وعلى كل حال فالبحث في الدلالة وما تنتج بحث طويل، نعرف أنه لا يناسبك البحث فيه، وإذا بحثت به فمجرد أن تشكك في كل مبحث

دلالي وتحاول أن تخرج بتناقضات العلماء في التحديد لتنفي أصل ثبوت المطالب، وهذا معروف ممن سلك مسلك في الحوار، ولكن سنأتي الى موضعين فقط هما عدم فهمك لقول المرجع النجفي حفظه الله وعرضك لدليلك المتهافت.

أنت قلت أن كلام العلامة المرجع النجفي غير كاف في القضية بينما هو قد أجابك عن سؤالك بدقة من دون أن تسأل. فقد أشار: "إن التكليف هو لمصلحة العباد وأما أصل الخلق فلا يعلل إلا بالفيض الدائم الذي ينبغي من دائم العطاء، وانقطاع العطاء نقص، وهو لا يليق بكماله". فكيف أصبحت تكرر أن العلماء يقولون بأن خلق الله إنما هو لحاجة؟ وهي العبادة له وهذا مناف لكونه غنيًا! فكلام النجفي ينفي ذلك من أصله وأنت تقول غير كاف! إذن الكافي عندك هو الخرط فقط، فهذا كلام المرجع النجفي حفظه الله وأنت لم تتوفر على أي آية لفهمه: "اعلم يا بني أن الله [فيّاض مطلق]، وامتناع وانقطاع الفيّاض عن الفيض نقص لا يليق به تعالى، فالعبادة التي [كلفنا بها] يعود نفعها وربيعها إلينا فقط، والله غنيّ عن العباد، [إلا أن إنشاء] الخلق وبسط الشريعة وتشريع الأحكام فهي أفعاله سبحانه.

لم يكن الله سبحانه، وما كان [يليق به عدم المنّ بها] لأنه كما قلنا [قطع الفيض، وهو نقص]، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً".

وأضيف توضيحاً لمن لا يعرف أصولنا: أن أفعاله بنفسها عندنا غير معللة من جهته، وإنما تعلق من جهة المقدور، وحاجته، وهذا في التكوين والتشريع سواء. فالمرجع هنا يؤكد أن أصل الخلق فيض يناسب الذات الفيّاضة بحسب طبعها. وأما التكليف بالتشريعات لا أصلها فهو يعود لنفع العباد وسعادتهم. فأين الفهم الذي فهمت أنه لا يفي؟ مع علمي

بأنك ستقول بأن هذا لم يفسر نص حصر الخلق لأجل العبادة، وهذا يعني أنك لم تفهم مبنى الشيعة الذي كررته هنا وهو أن الآية من المتشابه والتي لا يمكن أن تدل على العلة للخلق منه، وإنما هي لتوصيف نوع الخلق وهدفه المخلوق له بمعنى "إن الله خلق الخلق بطبعه ليعبد الله ويطيعه في الكون في كل قوانينه، فلهذا فإن الخلق يسير بقانون موحد متناسق ونظم واحد لا يعلم مده إلا الله، هذا إذا فسرنا العبادة بالطاعة وأما إذا فسرناها بالمعرفة فهو يعني إن الخلق مخلوق ومبرمج ليعرف الله وهذا من طبيعة خلقته". والآية لا تأبى هذا الفهم بل هي به أوضح، ولهذا فهي بهذا تخرج من خانة التعليل وتكون أجنبية عن تعليل خلق الله، وإنما هي لتوصيف حالة الخلق والهدف الذي يسرون إليه، فيكون معناها ومعنى ما ألحقته بها من آيات التكليف ووصف العقاب والثواب: إننا خلقنا الخلق مبرمجاً للسير بقوانينه أو لمعرفته ومن قوانينه العدل والنظام المحكم وعلى الخلق الذين أعطيناها الاختيار في مساحة محددة أن يسيروا وفق هذا البرنامج، ومن يخرج عن هذا البرنامج يكون قد أوقع نفسه في مخالفة النظام المحكم، وبهذا يفسر ترابط المعاني.

وهنا ننتقل إلى مثال ثانٍ للقصور في آليات الفهم بدون تحديد نوع الآيات فهو خارج هذا التنبيه لأنه علم قائم بذاته، وهو قولك:

«ليس التناقض في الآية ولكن في تفسيرنا بان الخلق لمصلحة الإنسان، يقول لنا القرآن ان الله اهتم بان يعبد ولذلك خلق الخلق {وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون} وبعث لهم رسل وانذرهم وتوعدهم بالعذاب الأليم {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} بل إن أشركوا أو كفروا خلدهم في النار أبد الأبدية وكلما نضجت جلودهم بدلها بجلود غيرها، أعتقد لكي يستقيم أنه لمصلحة العباد فمن عبَدَ الله ينال أعلى الدرجات ومن لا يعبد لا يعاقب».

وهذا الكلام يدل على قصور عجيب في علم الدلالة فأنت بداية تقول ليس التناقض في الآية وإنما في فهم الآية وحين تأتي بالشواهد يتبين أن التناقض في الآية وليس في فهم الآية، فما هذا الكلام؟

حين تدعي أن إشكالك إنما هو على التفسير بأن الخلق لمصلحة الإنسان، ثم لم تشكل عليه بدليل يناقض كلامه، بل أتيت بشيء أجنبي مدعيًا التنافي بين هذا القول وبين الترابط في الآيات بالمعاني التالية: «خلق الخلق من أجل عبادتهم له، وبعث لهم الرسل وتوعدهم بالعقاب والثواب بل توعد من أشرك بالخلود في النار أبد الآبدين». فما التناقض بين هذا العرض وبين قولك «ولكن في تفسيرنا بأن الخلق لمصلحة الإنسان» فهل تخاطب مجانين؟ وهل في ما عرضت تنافيًا مع مفهوم الخلق لمصلحة الإنسان أو مفسدته؟ فأنت ترد على القائل بما هو أجنبي عنه بل بما يؤيده في الواقع ولكنك لا تدري. وذلك لعدم التنافي بين مصلحة الإنسان وبين خلقه وإرسال الرسل والثواب والعقاب على أن قول العلماء لا يتعلق بأصل الخلق وإنما بحسن التكليف وعود المصلحة في التكليف للعبد، أي هل منع الله الإنسان عن المحرمات لمصلحة لهم في المنع أم بلا سبب؟ فإشكالك لا يمكن أن يكون دالًا على المطلوب.

وهنا على هذا النص الذي قدمته عدة مواقف مهمة في فهم الدلالة، فأنت قلت: «وبعث لهم رسل وأنذرهم وتوعدهم بالعذاب الأليم {و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً}». وهذا من عجائب الخلط، لعدم وحدة الموضوع بين (وبعث لهم رسل وأنذرهم وتوعدهم بالعذاب الأليم) وبين قوله {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}، فالبعث والإرسال له نصوصه وأنت أتيت بنص يتعلق بعدم ظلم الله لمن لم يصله البلاغ، وهو نفي العذاب على من لم يبلغه الدين لقصور، وهذا إثبات لعدل الله. وأن الله لا يؤخذ على وزر الغير ولا على من لم

يبلغه التكليف، فما علاقة هذا النص بما تفضلت به من الإرسال والتوعد بالعذاب، فهذا النص يقول أنه لا عذاب لمن لم تبلغه الرسالة وهذا من المسلمات عندنا ونص الآية الشريفة هو: {مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} (الإسراء/١٥).

فأصل كلامك يسير على نحو يكون فيه الدليل بعيداً عن جنس المدعى كما لا يخفى على أي مميّز، وطرحك غير متسلسل فلا علاقة بين توصيف عملية أصل الخلق كما تدعي وبين التكليف، فأصل الخلق بحسب فهمك هو لأجل عبادة الخلق لله وهذا حسب فهمك يعود لمصلحة الفاعل ولهذا تشكل، وكما لا علاقة بين إرسال الرسل من أجل الثواب والعقاب وبين عدم عقوبة من لم يصل إليه الرسول، فالعرضان لا يتوافقان في الموضوع، ثم أن ترفيك في الدليل بقولك (وكلما نضجت جلودهم بدلها بجلود غيرها) لا معنى له فهذا من مستلزمات الخلود فلا داع للمبالغة بقضية هي تابعة لأصل لها معلوم. وهو الخلود في العذاب.

ثم أن إشكالك على قضية: أن التكليف مبني على مصالح العباد. بأن مقتضى المصلحة عدم تعذيب المخالف ورفع درجة المطيع، فهذا من الجهل الفظيع وهو من إشكالات الفضل بن روزبهان على العلامة الحلي في موضوع العدل والتكليف، كما أتذكر وهو ليس إبداعاً من عندك.

العدل يقتضي إثابة المطيع وعقوبة العاصي ليكون هناك توازن حقيقي في معادلة التكليف، ولعل من التفضّل على الخلق عقوبة الجاني. وهذا الفهم ليس غريباً. فإن القوانين الوضعية ترى أن عقوبة الجاني نوع رحمة ولطف بالمجتمع وكيان الإنسانية، ولم يفكر أحد إلا

المجانين أن من الرحمة والمحبة أن يترك المجرم بلا عقوبة وأن ترفع درجة غير المجرم. فهذه هرطقات صبيان لا يؤمن بها حتى اللا ديني الحقيقي، ولكن لأنك متمذهب للنخاع تتكلم بمثل هذه الكلمات الغريبة عن العقلاء وعن المجتمع الإنساني وكأنك تسخر من وجودك ونفسك بسخريتك من هذا الاتجاه العقلي الثابت، ولكن ما نقول لمن يجيز اجتماع التقيضين ونفي الأسباب لمجرد أن يرد على الإسلام وعلى أهل بيت النبوة.

- وضوح الشخصية وتمايز كل من الطرفين: أنت تكتب هنا على أساس توصيف نفسك بلا ديني، ولكن كل مشتغل في مجال الفكر يعرف أنك استعرت الفكر الأشعري وألبسته لباساً وهابياً لترد على الشيعة. وليس على الإسلام بحسب عقيدتك، وإشكالك الأول هو من إشكالات غلاة الأشعرية المعروفة على الشيعة، وقد قال عنها علماء الشيعة أنها إشكالات على الإسلام، وليس علينا كما يعتقد المخالف، فهم يتهمون المخالف بأنه يريد أن يهدم خصمه فيهدم نفسه، لأنه يتمسك بالإسلام ويسقط إسلامه بهذه الدعاوى، فإذا لم تكن سلفياً وهابياً حاقداً فأنت بلا شك تنقل هذه الإشكالات من هجمات المسيحيين الحديثة التي تتبنى الصراع الداخلي الإسلامي لتضرب هذا بذاك، من دون كشف لهويتك. فأنت الآن تمثل ثلاث اتجاهات ليس بينها ما قلته من تصنيف نفسك بأنك لا ديني، بل أنت تتحد مع الوهابية وغلاة النصرانية وغلاة اليهود المهاجمين للإسلام. فلا ينفك أن توصف نفسك باللا ديني، بل هناك رشحات الشهوة المتحدة للهجوم على الإسلام وبالخصوص الإسلام الصحيح الذي يمثله فكر أهل البيت عليهم السلام فأنت لا تريد أن تكشف هويتك لأنك لا تريد أن تلتزم بأي إشكال توجهه لخصمك حقيقة لأنك تعرف أنه طعن بمذهبك وتدمير له من نفسك، ولهذا تصنع من نفسك لا ديني وأنت لا تلتزم بقوانين الـ لا دينيين أيضاً لأنك لا تعرفها أصلاً باعتبارك متمذهب للنخاع.

كيف تريد من الأخوة ان يحاوروك وأنت مخفي الهوية المذهبية ولا اقصد مخفي الشخصية فهذا لا يهم، فنحن لا اعتبار عندنا لكونك فلائناً أو علتاناً، وإنما الاعتبار أن تكون من أي اتجاه، وتلتزم بأي التزام، ولنعرف هل إشكالاتك حقيقية وتلتزم بها أم هي مجرد نوع من التخريب.

وإشكالك على قصة ذي القرنين هو واحد من عشرات الإشكالات الجاهلة على القرآن يقدمها بعض المتعصبين المذهبيين من مسيحيين وغيرهم. وهم متدينون للنخاع وليسوا لا دينيين، مثل الكثير من إشكالاتهم بما يمس شخصية الرسول صلى الله عليه وآله وبعض النصوص مثل نص آزر هل هو والد إبراهيم؟ ومثل ذي القرنين ومثل قصة هامان والتشكيك بكونه مصرياً وادعاء أنه بابلي، وأن السامريون لم يجيئوا إلا بعد السبي فكف يذكر الله السامري في زمن موسى؟ وقضية وصف الإسراء إلى هيكل سليمان مع أنه كان مهتماً في زمن النبي، ومثل إشكالهم على قصة المسيح في القرآن بأنه وُلد تحت نخلة، مع أنه وُلد في مذود. و تكلم في المهد وإنه خلق من الطين طيراً وهو صبي مع اعتقادهم أن أول معجزة أجراها المسيح كانت في عُرس قانا الجليل وهو في الثلاثين من عمره.

فالإشكالات كلها إما مبنية على التسليم على صحة ما لديهم أو مبنية على الجهل بالنصوص واعتماد طريقة ضرب الأقوال المتنافرة لإسقاط الحقيقة كلها من أساسها، وهذا لعب المشاغبين الذين لا يخافون الله لأنهم متمذهبون يرون أن من واجبه الكذب والتزوير والتلون في سبيل إعاقه من يعتقدون أنهم من الضالين، وتصرفهم هو عين الضلال.

فأنت تريد أن تلقي شبهات محلولة ومجاب عليها علمياً لتطرحها على شباب مسلم وكأنك تعتقد أنه لا يوجد علماء يردون الشبهة ويبينون عوارها، ولهذا فأنت تسبح دائماً في ما

تعتقده نقطة ضعف الخصم في كلامه ، وتترك ما كان كلامًا مهمًا، فهذه طريقة لو أردنا أن نستخدم أسلوبك فسند على نفس ردي هذا بإشكالات من الكلمات الجانبية والأفكار التعميمية المخترعة كالتي اخترعتها في إشكالاتك وندعي بأننا اجبنا علميًا، وهذا لا يعبر على من اشتغل بالعلم وإنما يعبر على من لا يعرف أي طرفيه أطول من أمثال الوهابية وبعض القسوسة الحشويين، بخلاف أهل المعرفة والنظر فهم لا يقومون في الغالب بهذه الألعاب.

وبالنسبة لمسألة ذي القرنين فكلامك فيه الكثير من الأخطاء التاريخية فمن يقول أن ذي القرنين هو الاسكندر المقدوني؟ حتى يكون سفره شرقًا؟ فقد قيل إن العبد الصالح الذي يلبس خوذة فيها قرنا ثور من نحاس، هو كورث ويسمى سيروس الأصغر أو خلف خلفه داريوس الموحد والذي نادى بحقوق النساء وأنهن بشر بخلاف عادات الديانات السائدة في ذلك اليوم التي تقول أن النساء ليست من البشر. وقد هجم على أوربا قبل مولد الإسكندر المقدوني بمائتي سنة ووصل إلى مناطق شمالية تكون فيها الشمس كأنها تنزل في وهج ناري وهو ما يعرف بظاهرة الشفق القطبية، ووجد عندها قومًا غربيي الأطوار لعلهم الفايكنج، فكل إشكالاتك هوائية ومبنية على قصور معلوماتك، والقصة لا يعلم تطبيقها وحجم الاستعارات والتشبيه فيها لتناقش فيها فهي غامضة في النواحي التفصيلية والمهم منها العبرة بتمكين الله لخلقه، وبما جرى على ذي القرنين، فرواية الحدث صحيحة بناءً على مثل هذا التصور الذي بدأ البرهان عليه حين وجدت قلاع داريوس ودُرست حياته وأعماله فتبين أنها مطابقة لما قاله القرآن الكريم، فكلمة (وجدها) تعني أنه عثر على منظر لمغرب الشمس يختلف عن منظرها في بلاد الشرق الأوسط، وهذا كلام واقعي يعرفه كل من سكن شمال أوربا أو شمال آسيا، فكلما اقترب الإنسان من القطب كلما ظهرت ظواهر غريبة

لتكسر الأشعة فتبدو كموجات النار، فهذه الحكاية عنه لا شيء فيها. وهو تقرير للحقيقة حيث أنه اكتشف لما يختلف عليه من مناظر كونية خصوصاً إذا كان في أيام معينة من السنة يكون فيها الشفق القطبي مليئاً بالأنوار المتमوجة الغريبة التي تعددت أقوال علماء البصريين والفيزياء في إيجاد تفسير لها وهي تشبه عين النار.

حوار في إثبات الحمورية!

الملاحظ على أسئلتك أنها لم تتعد عن الشبهات المسيحية الفطرية قيد أنملة، وهذا يحتاج إلى تأمل منك أكثر في طريقة تناول الأفكار، مع أنني أريدك أن تقر ما وضعته لك عن الأهلية العلمية للحوار بصورة جيدة، فليس هناك وضوح في القواسم المشتركة ولا كيفية تناول المعلومات ولا غير ذلك من اللوازم، وسنأتي الى توضيح أكثر للمنهج.

قبل كل شيء إن الإنسان على نفسه بصيرة، فلا يمكن أن يتعلق برقبة آخر، ولهذا أنصحك من كل قلبي حباً وشفقة أن تبدأ بإدراك حقيقة السببية وعدم التناقض ومفهوم الحسن والقبح العقليين فيما ينبغي أن يفعل وكيفية التكليف سترى نفسك مقاد عقلياً إلى جادة الصواب إذا كنت على نية سليمة، وإذا لم تكن على نية سليمة فلن ينفعك عقل ولا علم ولا دين ولا لا دين، فالكل سواء والدنيا عبارة عن ولادة وأكل وخلاء ونوم وموت، والباقي نوع من الألم واللذة الآتية، المهم في سبيل الترقى عليك أن تقوم بجلسات تأمل ذاتية لتدرس هذه الأشياء مع الاستعانة بما تستطيع تعقل الأقوال ومحاكمتها للوصول إلى نتيجة واضحة في المواد أعلاه خصوصاً بالنسبة للتناقض والسببية فهي البداية بالنسبة لك، ولكل من يريد أن يكون في قلبه ديناً صحيحاً.

ولا أستطيع أن أنصحك بأحد لأنني لا أعرفك والنصيحة شرطها العلم بالناصح والمنصوح.

مشكلتك تبدأ من خلال توصيف نفسك ومن أسئلتك التي تدل على أنك لا تعطي أهمية للأدولويات في البحث، فما قيمة النبوة إزاء إنكار الديانات؟

ف اللاديني عليه أن يتأكد من صحة فكرة الديانة والدين واثبات وجود الله وتوجهه لخلقه قبل أن يسأل فيما لا يعرف من أساليب اللغة والصياغة، ليُشكل على جزئية بسيطة في الديانة وهي نصوص يشتبه بها أنها غير موافقة للعلم لتدل على عدم صحة الدليل على النبوة التي هي فرع صغير جداً لا يساوي شيئاً تجاه الإيمان بالله، وكل ذلك بأدلة غير منتجة علمياً.

فهذا نشاهد من يرتكب مثل هذا المنهج كأنه يسبح في النهر طولاً ولن يصل لساحل.

هل القرآن الكريم وحدة أو بمفرده دليل نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله؟

ليس القرآن وحده دليل نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله فهو نفسه دليل نبوته، وهذا الرأي يذهب إليه الكثير من المفكرين الإسلاميين، ولولا التشويه الذي لحق صورته من جرّاء كذب أعداءه الداخليين والخارجيين وتثبيت ذلك بصورة حديث صحيح أو موثوق، لما حصل أي إشكال في صورته الحقيقية، فكل ما لصق به صلى الله عليه وآله وسلم كذب معروف ترعاه الدولة، ولي بحث منشور يمكن ان يشرح بعض الجوانب (وهو كتاب اسمه: تأملات في طبيعة المعجزة وشخصية النبي)

الأخ العزيز مهادن: هناك مشكلة في مقدمتك سواء بدئها بقولك إن الأصل في مدعي النبوة التكذيب حتى يثبت خلافة، فهذه القاعدة ليست صحيحة بإطلاقها، إنما نقول الأصل في كل ادعاء بحسب صاحبها وصفاته فإذا كان قابلاً للتصديق فيقال أن دعواه ممكنة التصديق (بل الأصل في الصادق الصدق) ويطلب منه مواد الدعوة وينظر في قبولها ثم تقام الأدلة

بالشكل المناسب، وإذا كان غير قابلاً للتصديق فترفض دعواه أصلاً ككونه مشهوراً بالخداع والكذب والجدل.

أو بحواريتك التي تحصر الدليل على نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله بالقرآن ونبوته لا ينحصر دليلها بالقرآن، وانتهاءً إلى دعوى أن القرآن خالف العلم هي دعوى مضحكة تستند على استخدام العموم والخصوص من وجه وعلى فكرة المقارنة بين المتشابه منه لما في العلم الذي هو نفسه في طور تطوّر وتبدّل مفاهيم مستمر، وهذا أعظم خلل في أساس المحاكمة.

ثم إن الحوار مبني على إمكان تلقي النبي من مدرّسين مزعومين بخيال كنسي معروف حيث تم ربط الأشياء عندهم بغير سند مطلقاً، ولكن الواقع لم يثبت التلقي قط بل ولا اللقاء، ولو ثبت جدلاً فلم يكن عندهم محتوى يشكّل واحد بالألف مما عرضه النبي محمد صلى الله عليه وآله، والإناء لا ينضح إلا بالذي فيه.

فيا عزيزي، إن أصحاب الأهواء لهم طرق معروفة في تغيير الحقائق وطمس المعالم وهي فذلكات سهلة العبور على خالبي الوفاض، ولكنها سهلة الاكتشاف عند العارفين أيضاً، ومجملها يقع ضمن المغالطات المنطقية الشهيرة، وقليل منها يقع ضمن المغالطة العالية والخفية، إلا أن هذه المغالطات تُغلف دائماً بغلاف يجعلها قابلة للتصديق، وسأتيك بمثال قريب جداً .

هل تعتقد بأن من السهل أن يقام دليل على أن الإنسان حمار؟

طبعاً هذا مستحيل ابتداءً فلا يوجد عاقل يمكن أن يفكر في هذا الاتجاه، ولكن ما قولك حين تعرف بأن هناك مئات الأدلة التي يمكن أن تثبت للمخاطب بالفتح أنه حمار؟

وما قولك أكثر حين تعرف أن نفس أدلة إثبات حمارية المخاطب هي أدلة نفي نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله؟ وكذلك نفي الديانة أو نفي وجود الله أو إثبات التعبد للشمس والقمر والروح والبشر وما شابه ذلك، فكلها تعتمد نفس نوع المغالطات.

طبعاً سوف تستغرب، ولكن لا غرابة في ذلك لمن يفهم أصول التفكير ودرَسَ الفرق بين الدليل البرهاني والجدلي والخطابي والمغالطة (السفسطة)، والسفسطة تعتمد بشكل عام على إيهام الطرف المقابل بأن الدليل المقام صحيح ومنتج. بل أكثر من ذلك يستعمل المغالط في كثير من الأحيان وسائل لإقناع نفسه بنفس مغالطته (وهذه قضية سيكولوجية) كما يمكنه أن يخدع الآخرين ويجعلهم يتوهمون صحة مغالطته ويفكرون أن المغالطة برهان والبرهان مغالطة، وكما عانى علم المنطق من مغالطات عجيبة مثل نفي الكثير من المغالطين لإنتاج القياس المنطقي وهو أساس كل تفكير عند البشر مثل قولهم بأن المقدمات تستبطن النتيجة فتكون النتيجة قبل المقدمات فيكون إنتاجها عبثي أو بأدلة بعضها من الشكل الرابع بما لا يمكن أن ينتج كإنتاجهم للدليل من السوالب أو استخدام نقائض وعكوس لا تنتج أبداً ويدعون أنها تنتج ويستدلون بها على إبطال المنطق نفسه.

ومن خصائص الإنسان أنه لو اقتنع بفكرة موحاة له من أي جهة كانت يدعي أنها له لأنه مقتنع بها، وهذا ما تقوم به وسائل الإعلام الموجهة لنصرة النظام أو الزعيم أو الفكرة التي يراد انتشارها، من دون أن يجد المتلقي للمغالطة والمارة عليه أي غضاضة بادعاء أنها له ومن ابداعه، وقد لاحظنا ذلك في حواراتنا مع الشيوعيين في الستينيات فقد رأيناهم جميعاً يتبنون الفكرة الخطأ وكأنهم هم من ابداعها بينما هي مكتوبة قبل أن يولدوا.

على كل حال من أجل ان نمثل مثلاً واقعياً نعود إلى ما يعرف في علم المغالطات بالمسألة الحمارية في علم المنطق، ويقال أن اول من أثارها هو المرحوم المقدس الشيخ بهاء الدين محمد بن الشيخ حسين بن الشيخ عبد الصمد العاملي الحارثي الهمداني قدس الله نفسه الطاهرة. وقد نجد تعددًا في الأدلة قد تصل إلى مئات الأدلة المغالطية، وهنا عندي ملاحظتان ضروريتان: الأولى أن هذه المغالطة دائماً تطرح على شكل توجيه الخطاب لمخاطب بالفتح، ولهذا فحين تطرح هنا ليس المقصود بها شخصاً بعينه لأنها في الغالب مسألة تطرح هكذا فلا يتوهم أحد بأن هناك مقصوداً شخصياً في المسألة، والثاني أنني لم أرتب الأدلة ترتيباً علمياً بحسب الفهرسة المنطقية وإنما هكذا كما اذكر من الأدلة الشهيرة التي تقدم كصيغة مغالطة.

يقال لمن يراد إثبات حماريته: نحتمل أنك تأكل الحشيش ليلاً وهذا دليل على أنك كنت جحشاً فقلبتك الطبيعية إلى إنسان بضرب بعض الجينات، وبما أن هذا الإمكان موجود فهو متحقق والدليل هو أن نفرض التساوي في الفرض وندرس الإمكان فنجد أن الإمكان متحقق والامتناع غير متحقق فبهذا الرجحان يثبت حماريتك بدون الحاجة إلى الاستدلال بوجود الحشيش قرب بيتكم في الحدائق وغيرها، فإذا أضفنا له الدليل العقلي القاطع المبني على الشكل الصحيح المنتج من أشكال القياس المنطقي فينتج نتيجة محققة جداً بصيغة الشرطية المنحلة وهو قولنا: ما يلزم من وجوده وعدمه حماريتك، إذا كان موجوداً لزم حماريتك، وإذا كان معدوماً لزم حماريتك. فتأمل جيداً فإنه دليل ما بعده دليل، والدليل على لزوم حماريتك ونفي إنسانيتك هو أن الإنسانية عارض خاص على الانسان وهو إما أن يعرض للشيء المتصف به فيلزم عروض الشيء لنفسه وإما أن يعرض له عند عدم اتصافه به فيلزم اجتماع النقيضين، فكلا الفرضين باطل فثبت انتفاء إنسانيتك، ولو ادعى جاهل أنك

والحمار نقيضان فنقول له حلاً ونقضاً: فأما الحل فإنه من المستحيل تحوّل الموافق إلى نقيضه وقد ثبت بالأدلة التوافق، وسيأتي بعضها. وأما نقضاً فنقول: بإمكان أن تكونا نقيضين مجتمعين معاً وذلك أنّ رفع النقيضين نقيض للنقيضين، والنقيضان يستحيل ارتفاعهما فيستحيل أنّ يرتفع رفعهما وعينهما بقاعدة استحالة اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما، فيجب أن يتحقق نقيض النقيضين وهو ارتفاعهما فيبطل حكمها، وبذلك يثبت اتحادكما حتى لو كنتما نقيضين. بل هناك دليل يثبت الاتحاد وهو أنك والحمار تقعان تحت جنس الحيوان وتتحدان في اللازم العام، و لازم الأعم لازم للأخص، لأن الأعم لازم للأخص، ولازم اللازم لازم بلا إشكال، فتكون مع الحمار من نوع وفصيلة واحدة، ونضيف إليه ما يمكن وصفه بالدليل القطعي الناتج من عكس النقيض الصحيح جداً وهو: كل (لا حماريتك) هو (لا أنت)، فينعكس بعكس النقيض، كل حماريتك هو أنت. وهاك دليل بديع بالقياس الشرطي وهو أنه كلما كان الحمار موجوداً كنت موجوداً وكلما كنت موجوداً فالحياة موجودة فكلما كان الحمار موجوداً فالحياة موجودة والحياة تساوي الحياة، فأنت تساوي الحمار وأصبح بلا شك الحمار يساوي أنت، ثم إنك لو لم تكن حماراً لكنك إنساناً، و كل إنسان ناطق، وبعض الحيوان ليس بإنسان، فينتج كل ناطق ليس بحيوان. بينما أنت حيوان، والحمار حيوان، فأنت حمار لتكرر الحد الأوسط بصراحة و يقين. فثبت انتفاء إنسانيتك من هذه الجهة وبقيت الحمارية على حالها سليمة من الخدش، وهناك مئات الأدلة العقلية على حماريتك كلها يقينية لا تقبل النقاش (هذا نوع من الغلاف المبطن الذي يستخدم للإيحاء)، بل يمكن أن يضاف إليه الأدلة الحسية والعلمية على المطلوب حيث أ، أجزاء الحمار الداخلية هي نفس أجزائك الداخلية من دماغ وكبد وقلب وأمعاء وطحال ومخرج وقضيب والتساوي بالأجزاء يوجب التساوي بالذات، ولا يُشكل بزيادة بعض على بعض، كالكرش مقابل المعدة فإن الإنسان نفسه قد يولد بكلية واحدة أو ستة

أصابع وغير ذلك مما لا ينضبط بضابطة، والمهم الغلبة، وهذا دليل حاسم قاطع، ومن الأدلة القاطعة على حماريتك أن الحمار حين يسير يتفادى المخاطر من حفر وغير ذلك وهذا تفعله أنت بالذات ولو لم تفعله لكننت أدنى مرتبة من الحمار أعزكم الله، وهذا دليل اتحاد الفعل وهو من الأدلة اللازمة، ومن الأدلة أن الحمار يخلط بين قضايا الفكر ولكنه لا يخلط أبداً في منفعتة، وقد ثبت أن هذا بعينه هو طريقتك، فهذا اتحاد في الفصل الذي يوجب اتحاد النوع والجنس، والحمار لا يطير وأنت لا تطير والحمار له أذنان وأنت لك أذنان. والحمار له شعر قسم منه أبيض وقسم منه أسود وأنت لك شعر فيه أبيض وفيه أسود وهذا من العجائب في الاتحاد، ولو تتبع العلماء الدقائق لوجدوا التطابق، وهناك أدلة كثيرة لم نذكرها اختصاراً للوقت والكلام.

طبعاً هذه الأدلة كما قلنا مغلقة بالتأكد واليقين واستخدام بعض أساليب الإيحاء كما أشرت في قلب الأدلة، ولكن لأن المسألة مكشوفة لا يمكن تصديقها قد يقرأها المرء مستهزئاً، والحقيقة أن هذه الأدلة نفسها يمكن استخدامها ببسطها وتغليفها بالإطار الأدبي لنفي وإثبات أشياء بالباطل لا صحة لأدلتها.

فيا عزيزنا مهان أنت حاول أن تطبق أدلتك ستجدها في الحقيقة لا تخرج عن هذه المغالطات وأمثالها، وأنت تعتقد أنها مشاكل علمية، وستتذكر في كل دليل أنه يتشابه ونفس الأدلة الحمارية، وهذا منحى مؤسف جداً ترتكبه البشرية لخطأ بسيط في بداية طريق التفكير، ويكبر مع الزمن كخطي الزاوية مهما كانت الزاوية ضيقة فإنهما كلما ابتعدا عنها ازدادا بعداً عن بعضهما حتى الوصول إلى بُعد المسافات بالسنين الضوئية.

وهنا نأتي إلى إشكالاتك:

إشكالك الأول: القمر نور ... فما مخالفته للعلم؟ فالقمر الظاهر لأهل الأرض يعكس إشعاع الشمس، وقد سماه الله نوراً يعني بأنه ليس مصدرًا للإشعاع بقريئة (والشمس سراجاً) فالسراج مصدر للإشعاع، وهذا ليس فقط لا يخالف العلم، بل هو معجزة حقيقة يدل على أنه ليس صادرًا من رجل في حضارة متخلفة أشد التخلف بل حتى من عالم في تلك الأزمنة، لأنهم لا يعرفون الفرق بين مصدر الضياء وبين الضياء المنعكس ولا يعرفون أن القمر ليس مصدر الأشعة لأنه لا يشع بنفسه كالشمس، فأرجوك أن تقارن بين دليل انعدام وحدة الموضوع وبين الدليل الحماري.

إشكالك الثاني: الطعام الواحد خير من الطعام المتعدد؛ جواب موسى لا يتجه للواحد مقابل التنوع وإنما يتجه للقيمة الغذائية أو الدوائية. على أنه ليس إشكالاً على القرآن وإنما هو إشكال على المسيحية واليهودية حيث حرّمت تلك الأشكال كما ورد، فإذا لم يكن تحريمًا تشريعيًا وإنما هو فقدان تكويني لهذه المواد، فهذا يكون أقبح حيث أن الله وقر لهم نوع طعام بدون تعب وكد، وهم يريدون التعب والإرهاق وإضافة عوامل النجاح والفشل أو يريدون أن يزرع الله لهم بلا تعب منهم، فهذا أيضًا بكل احترام يقارن مع الدليل الحماري، لأن الإشكال يقول في مفهوم الآية أن الطعام الواحد أفضل من المتعدد بينما الوارد أن الهبة الإلهية الغذائية المفيدة للصحة أفضل من المشقة أو طلب ما لا يُجبر الله عليه أو أنه ليس بمستوى هذه الفائدة، فأين هذا من ذاك؟

إشكالك الثالث: مسألة النسيء؛ لا أعرف أين مخالفتها العلمية فالآية لم تتطرق إلى نفي الخلاف بين السنين القمرية والشمسية بل في القرآن إشارة واضحة لاختلاف السنين القمرية عن الشمسية وتحديد هذا الاختلاف حين اعتبر الثلاثمائة سنة ثلاثمائة وتسعة قمرية في قصة أصحاب الكهف، فليس على هذا يتوجه الإنكار في الآية، وإنما لأن

الجاهليين الكفار كانوا يحترمون بعض محرمات الله رغم كفرهم، كالأشهر الحرم، لتأمين حياة الناس من الغزوات والحروب المدمرة فكان يعمد الجاهليون بكفرهم لزيادة الكفر بحذف شهر حرام ليسمحوا بالاعتداء على الناس، وهذا تخلٍ عما يلتزمون به من أحكام الله فهو زيادة في الكفر، وذلك بقيامهم بمغالطة مضحكة وهي التفاوت بين الشهور الشمسية والقمرية متناسين عدم وحدة الموضوع لأن الأشهر الحرم هي قمرية فما علاقتها بالفرق مع الشهور الشمسية؟ وقد ذكرني إشكالك هذا بما حدث مع صديق لي رحمه الله يقول جلست في الميناء فجاء رجل هندي متصوف يسألني أسئلة تدل على فراغ عقله فأحببت أن أتمازح معه فقلت له: يا شيخ هل تتذكر حصول محرم في أيام الدخول (عيد النورون)؟ فقال: نعم حدث معي مرتين مرة كنت في كراچي ومرة في دار السلام. فقلت: يا سبحان الله وهل تتذكر أن وفاة النبي كانت في الصيف؟ قال: نعم. فقلت: وهل تتذكر أن أربعين الحسين كان في الشتاء أيام عيد النصارى؟ فقال: نعم والله حدث ذلك. فقلت له: هل تتذكر حين كان عاشوراء في ليلة القدر في رمضان؟ وكان العيد الكبير في فرحة المولد؟ فقال: أي والله حدث معي ذلك مرة في الهند ومرة في مسقط. فهذه هي عين الأدلة الحمارية يا أخي الكريم.

إشكالك الرابع: الشمس ليست سبباً للنهار وإنما مصاحبة، وهذا الاستنتاج جاء من استخدام الواو التي تفيد المصاحبة، وهنا علينا أن نواجه هذا السؤال بشجاعة ومنطقية وهو هل المصاحبة نافية للسببية قبل أي كلام حتى نعتبر السببية منفية؟ طبعاً لغوياً وعقلياً الأثر والمؤثر متصاحبان فيصح وصفهما بالصحبة ولا يمنع وصف الصحبة لوقوع السببية، فإذا كان التأثير مباشراً وفورياً فيمكنك أن تقول جاء الخادم ومشعله أو تقول جاء الخادم ومشعله وضيائه فكلها آثار ومؤثرات متقارنة يصح وصفها بالمصاحبة. فأين المخالفة العلمية؟

ثم إن الاستشكال بالسببية عند من لا يؤمن بها لأنه لا ديني فلا يثبت عنده سبب باطل،
و كأنه يستعير مروحة غيره يروح فيها بجو بارد، فلا السببية من أدواته ولا هي من
قواعده ويريد أن يثبتها في الوقت الذي لا يوجد ما ينفیها! فهل هذه القضية بعيدة جدًّا
عن الدليل الحماري؟

إشكالك الخامس: وجود الندية بين الشمس والقمر من قوله تعالى {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ
تُدرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}، وهذا فهم عجيب للنص، لأنه
بكل وضوح يدل على التعاقب الدائم وعدم التصادم، فأين الندية المزعومة؟ وهذه المسألة
استحي جدًّا أن أعلق عليها فالتعليق إليك.

إشكالك السادس: العقل في القلب، هنا نحتاج إلى بسط في علمي البلاغة واللغة
وخصائصها، ولكن لعل إشارات خفيفة تفي بالمطلوب تزيدك تأملًا يا عزيزنا، في علم اللغة
يصح نسبة الشيء إلى أثره وإلى مؤثره وإلى أصله وإلى نفسه، وكل هذا وارد سواء في الوضع
اللغوي أو في الوصف التعبيري المسمى بالبلاغة والبيان، فإن الإنسان يعلم علم اليقين أن
التأثر بالفكر لا يظهر على الدماغ (الدماغ عديم الاحساس لعدم وجود مجسات فيه) وإنما
يظهر على حركة القلب من هبوط وارتفاع وعدد الدقات، بالحب والخوف والرجاء والفرح
والحزن والغضب والنشاط والخمول وكلها إنما تكون نتيجة التعقل لما يوجب ذلك، فأنتم
حين تريد أن تعزم على شيء فأين تشعر تمثل عزمك؟ ستحس به قطعًا في حركة قلبية
معينة كما هو حالنا جميعًا بشعور ذلك، وحين تغضب على مخالف للقانون كذلك، فإن
عضلات القلب هي أول العضلات استشعارًا بها، فالقرآن ككتاب هداية نسب الأمر هنا إلى
أثره المحسوس ولم يكن هو بصدد علم التشريح ولا هو من مهامه، فنسبة العقل إلى القلب
هي نسبة الشيء إلى أثره وما به الاحساس الظاهر والتأثر البين، وإلا ففي النصوص ما يدل

على الربط بين العقل و الدماغ مثل قوله عليه السلام: أكل القرع يزيد في العقل وينفع الدماغ. ومثل قولهم عليهم السلام في دية الجنون بضربة على الدماغ وتسمى المأمومة، وقد نصوا فيها صريحاً بأن الضربة إذا اذهبت العقل فحكمها كذا، قد وضعوا لكل مرحلة من مراحل العجز دية، فهم عليهم السلام قد أخذوا ذلك عن النبي ويعرفون أن العقل والجنون في الدماغ وليس في القلب، فتأمل وقارن.

اشكالك السابع: يتمثل بقولك: (صفات الله في القرآن أقرب لصفات كسرى وقيصر، يزعجه أن ينكر وجوده ويشتات غضباً إن أشرك به غيره).

أقول: هذا الاشكال عبارة عن رأي مجسم يتصور الله بهذه الصورة، فقد اعتبر البعض أن الأمر والنهي من المولى والتوعد بالعقاب والثواب لمن لم يتبع المولى يعتبر سلوكاً غير ديمقراطي كما قال عنه حسن حنفي الذي يريد رباً ديمقراطياً، فهذا الكلام ينطق به من ينطلق من صياغة لصورة مخلوق لا فضل له، وليس هو المالك المطلق، وهذا الإشكال بالإضافة إلى أنه إشكال تجسيمي فإنه يفتقر إلى فهم قواعد عقلية مهمة مثل وجوب الامتثال ووجوب شكر المنعم باختصار الوسائط في الأدلة، تبرهن على أن صورة الجبار المنتقم الرؤوف الرحيم هي صورة موافقة للعقل والعلم والذوق رغم بعض الشبهات السطحية، وكذلك وجود حقائق وجودية وفلسفية لا تقبل النقاش إلا لمن يريد أن يغالط لفترة ثم يعجز مثل كونه الخالق المطلق المقوم لكل وجود في الكون، ثم إن صورة الله المتخيلة ليست دليلاً على البطلان بل هي دليل على ثبوت الديانة حيث أن اللا ديني يتصور وجود إله على نحو من الأنحاء فيكون ادعاه عدم الإيمان به غير صحيح لأنه يسلم حتى بصورته المتخيلة.

والجواب الحاسم في الموضوع لا يوجد مناسبة لتشبيهه الله بقصر وكسرى بل هو جبار الكون وواجب الوجود ولا تقاس هيئته وسلطانه بمن لا يستطيع مقاومة حاجة بطنه، وهذا التشبيه ستجد مثله في الدليل الحماري لو تأملت جيداً هداك الله بهدأيته.

إشكالك الثامن: يتمثل في قولك: (لم يمنع الاسلام الاسترقاق ولو أنه حض على عتق العبيد وقد قام الانسان المتحضر بتحرير العبيد ومنع الاسترقاق)

أقول: بل منع الإسلام من استرقاق الأحرار، وتعامل بلطف في تحرير من وقع عليهم النظام العالمي العام للعبودية. وكان نظام العبودية نظاماً دولياً عالمياً وقد حاربه الإسلام، وهذا السؤال قد يصدر ممن لا يدري بأن الإسلام توقف تطبيقه ونموه فور وفاة الرسول صلى الله عليه وآله فقد نعذر من لم تبلغه المعرفة. ولهذا فقد كانت هناك الكثير من السلوكيات المرتبطة بالرسول، لم يؤخذ بها عملياً بين المسلمين لمصالح اقطاعية، فما تفسير عمليات التحرير القهرية والطوعية، خصوصاً ما حدث في حروب الرسول صلى الله عليه وآله حيث لم يستعمل من أسره بالحرب كعبيد، وإنما عفى عنهم أو شارطهم بالتعليم وغير ذلك، وقد أذن بشراء العبيد من الأمم الأخرى والدول الأخرى ووضع قوانين لتحريرهم مع أنهم ليسوا ضحايا معارك المسلمين وهذه قضية حساسة، وما تفسيرنا لكون أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام -وهو خير من يمثل مذهب الرسول صلى الله عليه وآله - كان يعمل بالكراء في الأراضي بالأجرة ليجمع مالاً يشتري به عبداً ويطلقه لوجه الله، وما أدانا لو بسط الأمر للأئمة الطاهرين لما منعوا أصل العبودية؟ بل نحن مطمئنون لذلك من خلال سلوكهم، ولكن هذا فعل خطر جداً على حياتهم حين عدم بسط الأمر الحقيقي، لأن هناك إقطاعيات كبرى فيها عبيد يمكن أن يكونوا هم أنفسهم أكبر خطر على من يريد تحريرهم،

كما حدث لأمریکا وأوربا فقد طافت البلدان معارك عظمى في سبيل تحرير العبيد، قام بها العبيد أنفسهم بسبب تجييش ملائكم لهم.

فهذا الكلام المعروض هنا ينطوي على مغالطة واضحة جداً تعتمد إخفاء الحقائق وتعتمد سبق النتيجة على الفرض، وعدم تقليب الأمر من جوانب متعددة وهو يمثل رؤية أحادية واضحة.

فلتكن مطمئناً يا عزيزنا أن كل أدلتك هي من هذا النوع، وهي لا تصمد أمام البحث العلمي واعتذر عن الاختصار والاقتراب لعدم توفر الوقت، وأتمنى لك حسن التأمل والإصغاء إلى الفطرة السليمة والله الموفق.

مؤسسة الضمان الاجتماعي في الإسلام

نواجه مشكلة خطيرة في العراق اليوم، تتعلق بضمان الأمن الاقتصادي للإنسان في العراق، إن كل إنسان في العراق يشعر انه اذا لم يكن موظفا ولم يكن له مال وأملاك يمكنها أن تعيشه إلى آخر عمره فإنه بلا أي أمان على معيشته وهو بمنزلة من يأكل إذا عمل ولا يأكل وسيموت جوعاً إذا لم يستطع العمل، هذه في الحقيقة كارثة كبرى نواجهها في دولتنا، حيث توجه جميع الشبان بما فيهم أبناء الاغنياء إلى طلب الوظيفة في الدولة لكون راتبها التقاعدي يشكل أمناً له في صعب الأيام، وهذا يعني عملياً أن كل الشعب العراقي يجب أن يكون موظفاً في الدولة، فهل حدث أن إندفع شعب بأكمله لأن يقتنع بأنه لا خلاص له إلا الانتظام في سلك الدولة؟

لماذا لا يكون ذلك في بريطانيا وفي أستراليا وغيرها من دول العالم المتقدم؟ ثم هل إن نظامنا اشتراكي لتكون الدول هي صاحبة رأس المال وربة العمل والبقية عمال فيها؟

إن التقدم الإنساني والاجتماعي اقترب من النظرية المحمدية العلوية في ضمان الحاكم لمعيشة أفراد الشعب الذين لا يقدر على العمل، ولكنهم ابتكروا مشروعاً مؤسسياً استثمارياً اسمه «مؤسسة الضمان الاجتماعي» وهذه المؤسسة في الغالب ملكيتها أكبر من ميزانية الدولة، فحين كانت ميزانية الأردن بحدود المليار دولار كانت ملكية مؤسسة الضمان الاجتماعي ثلاثة مليارات دولار، بينما في الغرب أكبر من ذلك فميزانية هذه المؤسسة في أستراليا خمسين مليار دولار سنوياً، وليس ملكيتها، وهي دولة لم يتجاوز عدد سكانها عن واحد وعشرين مليون نسمة.

التعريف :

تعرف الموسوعات العالمية مؤسسة الضمان الاجتماعي: هي مؤسسة عمومية ذات طابع اجتماعي وإداري تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي والانتساب إليها إجباري.

مداخلها:

يدفع الاشتراكات كل من المستخدمين والعمال الأجراء وغير الأجراء وصندوق الخدمات الاجتماعية (من خزينة الدولة).

و أهميتها بالنسبة للفرد والمجتمع :

- توفير الحماية الاجتماعية للعامل وذويه.
- ضمان استمرارية دخل المؤمن له (العامل).
- التكفل بمصاريف العلاج المختلفة.
- تعتبر مؤسسة للإدخار الإجباري.
- ينمي روح التضامن ويجسده بين الأجيال عملياً.
- حماية العامل من ظاهرة التسريح.
- العناية بالفئات الاجتماعية الخاصة.

وخدمات هذه المؤسسة هي :

١- التأمين على المرض ويشمل التكفل بمصاريف العناية الطبية والعلاجية لصالح المؤمن وعائلته.

٢- التأمين على الامومة وكفالة المصاريف المترتبة عن الحمل والولادة وتبعاتها

٣- التأمين على العجز فيمنح للمؤمن معاش الذي اضطره العجز إلى الانقطاع عن العمل

٤- التأمين على الوفاة افادة ذوي حقوق المؤمن المتوفى من راس مال الوفاة الذي يساوي اجره الشهري لمدة سنة كاملة أو اكثر حسب العقد.

٥- التأمين على التقاعد يستفيد المؤمن له من منحة التقاعد ومن التغطية الاجتماعية له لذوي الحقوق من افراد اسرته

٦- التأمين على البطالة ويشمل التكفل بتعويض البطالة والتغطية الاجتماعية والطبية

٧- التأمين على حوادث العمل وتشمل مختلف المصاريف الطبية والعلاجية والتعويضية اليومية

٨- التأمين على الامراض المهنية إذا اصيب العامل بمرض ناجم عن ممارسته لعمله ويستفيد من التعويض اليومي في المصاريف الطبية والصيدلانية الناتجة عن المرض أو الإصابة.

تاريخ انشاء جمعية مؤسسات الضمان الاجتماعي :

في أعقاب الحرب العالمية الأولى، تطورت أنظمة التأمين الاجتماعي سريعاً في عدة أقاليم كما تم إدراج الحماية الاجتماعية على أجندة المنظمات الدولية المنشأة حديثاً، ولأول مرة في

مايو ١٩٢٧، حضر ممثلون عن جمعيات المنفعة المتبادلة وصناديق التأمين ضد المرض الدورة العاشرة لمؤتمر العمل الدولي المنعقد في جنيف حيث تم إدراجهم ضمن قائمة الوفود الوطنية، وتضمن جدول الأعمال وضع لوائح دولية للحماية الاقتصادية والصحية للعاملين من خلال أنظمة التأمين الاجتماعي، وقد قررت مجموعة من الوفود المشاركة تشكيل جمعية دولية بهدف تطوير وتعزيز التأمين ضد المرض في جميع أنحاء العالم.

ومن ثم تطورت الأفكار والإجراءات والجمعيات إلى مستويات أكثر نضجاً بعد مؤتمرات عديدة وبعد الحرب العالمية الثانية وحروب محلية كثيرة أثرت على المجتمعات ونزعت الأمان الاجتماعي فتعالت الصيحات لطلب هذا الأمان، ولا زالت هذه المؤسسات في تطور خلال هذه المائة عام إلى يومنا هذا.

وصيغة هذه المؤسسات بسيطة جداً وإنما التعقيد في القيود التي تضعها الدول والجمعيات لمنع التحايل وإبتزاز المال المشترك، والصيغة الأساسية لتعامل هذه المؤسسة هي أن تستوفي مالا إجبارياً أو اختيارياً لمن يريد أن ينتسب إليها من الموظفين الحكوميين أو غيرهم وتضعه في محفظة استثمار كبيرة العائدات، ومن ثم تقوم بتعويض المنتسب من أرباح المؤسسة سواء بطريقة الدفعة الواحدة او بطريقة الراتب الشهري مدى الحياة.

فهي إذن تشغل أموال ومستحقات المنتسب نفسه وتعطيه من الأرباح بنظام عام، ولا تعطيه من كفالة عموم المجتمع له، وهذه طريقة بديلة عن كفالة المجتمع لرفع التكاليف عن كاهل الدولة لكلفة الضمان العالية وانشغال الحكام بالحروب والمصارف على مشترياتهم فليس بمقدورهم سد هذه التكاليف لضمان العوز في المجتمع، وهذه الطريقة أقرب إلى تفكير عمر بن الخطاب من تفكير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فإن عمر بن الخطاب رأى

أن العامل عليه أن يتكفل نفسه وليس على الإمام ذلك، بينما النبي أمر بأن يستدين المحتاج والنبي يسد دينه كما في الرواية فهو يرى أن الإمام يتكفل العاجز والمحتاج بموجب التعاليم القرآنية والإلهية كما في نص الرواية (بهذا أمرت) أي بكفالة بيت المال لكل محتاج.

الطبري في تهذيب الآثار قال حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبرَاهِيمَ الأَنْطَاطِيُّ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ المَدِينِيِّ، حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبرَاهِيمَ الحَنْبَلِيُّ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: " مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَ، وَلَكِنْ اسْتَقْرَضُ عَلَيَّ حَتَّى يَأْتِينَا شَيْءٌ فَنُعْطِيكَ ". فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأبي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا كَلَّفَكَ اللَّهُ هَذَا، هَذَا أُعْطَيْتَ مَا عِنْدَكَ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ فَلَا تَكَلِّفْ، قَالَ: فَكَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَ عُمَرَ، وَكَانَ إِذَا غَضِبَ عَرَفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: بِأبي أَنْتَ وَأُمِّي، أُعْطِ وَلَا تَخَفْ مِنْ ذِي العَرْشِ إِقْلَالًا، قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: " بِهِذَا أُمِرْتُ".

وقد رواه الترمذي في الشمائل بسند حسن.

فالنبي كان يرى نفسه قائد دولة والدولة هي منظمة مجتمع متكافلة وأن المجتمع يجب عليه كفالة ضعيفه، فتكون كفالته على بيت المال، فيكون كفالة أمن المواطن اقتصاديًا حق من حقوقه، وما تقوم به مؤسسات الضمان الاجتماعي إنما هو عقد لتأمين الإنسان في حالات منصوصة.

وفي النصوص الإسلامية الإمامية ما يؤكد أن كفالة وتأمين المواطن المسلم هو من واجبات بيت المال الإسلامي ومن حقوق المواطن المسلم، لنقرأ هذه الرواية الموثقة لكون موسى بن بكر الواسطي ثقة وإن كان واقفياً، وهي تغنينا عن الكثير:

في الكافي، والتهذيب: أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن موسى بن بكر قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام [يعني الإمام الكاظم] من طلب هذا الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله عز وجل وإن غلب عليه فليستدن على الله عز وجل وعلى رسوله ما يقوت به عياله فإن مات ولم يقضه كان على الإمام قضاؤه فإن لم يقضه كان عليه وزره إن الله جل وعز يقول {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ} إلى قوله {وَالْغَارِمِينَ} فهو فقير مسكين مغرم.

أقول: وتمام الآية الشريفة {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (التوبة/٦٠).

ودراسة هذا النص يكشف أن القرآن وأهل البيت عليهم السلام يشيران إلى أن الأمان الاقتصادي واجب على الإمام، فالمسلم إذا احتاج حقيقة فعليه أن يستدين وسداده على الله والإمام إذا لم يقدر على سداد دينه حقيقة كما هو مفروض، وهذا من حقه وهو صنف من أصناف المستحقين للزكاة وهم الغارمون ولو لم يفعل تعففاً فهو كما الفقراء أو المساكين.

وهنا تأكدنا أن هذا حق ثابت للمواطن المسلم، ولكن في فرض أن الإنسان رغب أن لا يصل إلى عتبة الفقر أو أن الحكم لا يسمح بتطبيق مواد الزكاة وأداء حقوق الفقراء سواء بما هي حقوق فعلية على المجتمع أو بما هي حقوق ممنوحة من الله سبحانه وتعالى.

وعلى أي حال فإن حقيقة ما تقوم عليه المؤسسات الضمانية من عقد لا يوجد ما يمنع منه شرعاً من الناحية التشريعية (وستتكلم عن الموانع المفترضة كالربا والغرر) وفي هذا الحال يكفي عدم المنع للإمضاء، والقانون الإسلامي وإن كان يتكفل الحاجة من بيت المال كحق من حقوق المواطن وهذا صحيح، ولكنه لا يمنع إقامة مثل هذه العقود التضامنية والتي هي عقود تأمين متنوعة، كما لم يمنع ضامن الجريرة أو ضمان (التلف والكفالة والتعدي) فلا مانع من إقامة هذه المؤسسة سواء مع قيام الحكم الشرعي الصحيح أو مع عدم وجوده، فإنه عقد خاص ليس فيه أي موانع شرعية إذا قبلوا بالشرط كما يفترض والمؤمنون عند شروطهم، وإن كان الإسلام يفرض حلاً أفضل وهو كفالة الإمام لكل ذي حاجة، ولكن حين تعطيل هذا الأمر وعدم تعاون المجتمع على انجازه فلا مانع من اجتماع مجموعة من المجتمع لتشكيل مؤسسة فيها نظام يتوافقون عليه يقوم على أساس استثمار المستقطع من رواتبهم حين العمل ليرجع إليهم حسب مستواهم ورواتبهم حين كانوا في العمل، وعادة تكون الدولة شريكاً أساسياً لأنها في غالب الدول تدفع الجزء الأكبر من رأس المال الأولي لبدء العمل بالنظام.

ملاحظة مهمة: إن الكثير من الباحثين المسلمين حين تعرض لمسألة الضمان الاجتماعي، أخذوا يتعرضون لنصوص كثيرة تبيّن العدالة والتكافل الاجتماعي في الإسلام بمختلف المجالات والنصوص، ونراهم يستنبطون من نصوص وجوب كفالة المسلم من بيت المال أو نصوص منع التصرف بالصدقات، أحكاماً في الضمان الاجتماعي والتأمين الصحي، وهذا تكلف ظاهر، لأن النصوص تنص على حقوق للفقير بينما قيام هذه المؤسسات على أساس العقود، وكل عقد جديد ليس له خصائص العقود المسماة فهو عقد بنفسه قام بذاته يكفي فيه عدم المنع من هذه المعاملة لشرط تحقق العدالة وحفظ الحقوق والأموال، فإن هذه معاملة

غير مسماة، لا تتعارض مع ثوابت الإسلام ولا مع القواعد الفقهية، فحكمها الإمضاء لعدم التعارض كما لا يخفى، بشرط عدم التعارض مع شروط العقود، وهنا افترض الفقهاء بعض الحلول التكميلية لهذه المعاملة، لورود إشكاليين معروفين هما شبهة الربا وشبهة الغرر للجهالة، فأما سبب شبهة الربا في الموضوع فباعتبار أن المعاملة على ذات المال وفيه فضل زائد فيكون ما يؤخذ ربا، ولم أر أحداً قال بأن هذه المعاملة فيها شائبة القرض، والحقيقة التي يشير إليها العقد أن التعامل ليس على ذات المال وإنما هو شراكة تبرعية على مجمل عمل المؤسسة والاستقطاع من أرباحها المشروعة في العمل بنظام يفرضه قانون المؤسسة، ولكن سينقطع عنها حين الوفاة أو حين يأخذ كامل مستحقاته وفق النظام الخاص الموقع عليه بالعقد، فلا ربا في البين تخصصاً، نعم يشمل هذه المعاملة ما يشمل معاملة التأمين.

وهنا توجد مشكلة في الصيغة التعاقدية، حيث يتساءل الفقهاء هل يقع الغرر على أحد الطرفين كما لو كان لا يعلم أنه كان يأخذ من العامل أكثر مما دفع أو أقل مما دفع؟

أو لجهة الجهل بما سيدفع سواء بأساس العقد أو بتطبيقه مثل ما الذي يحتم على المؤسسة دفع المبلغ الفلاني دون غيره، فهذا لا يوجد من يعينه مسبقاً في العقد، كما أن تشخيصه صعب جداً في حال الحدث فكيف بغيره، خصوصاً في تعويض الإصابات وما شابه ذلك فهو عقد مشوب بكثير من الجهالة، فيكون العقد غررياً للجهالة فيه، وقد عمم الفقهاء نتيجة الإحصاء والتتبع منع الغرر حتى في غير البيع وإن كان النص ورد في البيع، بل حتى في غير المعاوضة كالوكالة كما صرح الشيخ الأنصاري قدس سره في المكاسب فقال: «أن الدائر على السنة الأصحاب هو نفي الغرر من غير اختصاص بالبيع، حتى إنهم يستدلون به في غير المعاوضات كالوكالة، فضلاً عن المعاوضات كالإجارة والمزارعة والمساقاة والجعالة، بل قد يرسل في كلماتهم نهى النبي - صلى الله عليه وآله - عن الغرر» المكاسب / ١٨٨،

ولكن من أراد التخلص من هذا الإشكال قال أن الرواية وردت في البيع وقد عممها الفقهاء فلا بد من احترامهم ولكن يؤخذ بهذا التعميم في عقود المعاوضة دون غيرها، ويستفاد من كلمات الفقهاء أن المورد الموجب لدفع الغرر هو خصوص الغرر المؤدي للتنازع، الأمر الذي يقل تصوره في عقود التبرع، هكذا قالوا.

وفي سبيل حل ذلك والابتعاد عن شبهة الربا وشبهة الغرر، تعددت الخيارات الفقهية لحل هذا الإشكال، فقالوا بأربعة حلول أعرفها ولا أدري بحل آخر فكل شيء ممكن، وهذه الحلول هي في نوع العقود نفسها:

أ - كونه صلحاً، فالفقهاء لا يحصرون الصلح في الموارد التي يكون فيها حق متنازع عليه بين الطرفين.

ب - كونه هبةً معوضةً، مع رفض أن يكون حكم الهبة المعوضة نفس حكم البيع تماماً ليكون التخلص تاماً.

ج - كونه ضماناً معوضاً، يلتزم فيه أحد الطرفين بجبران الخسارة لقاء إلتزام الآخر بعوض، فهذا عقد ينتج ضماناً، ولا داعي لحصر أسباب الضمان بالكفالة والتعدي والإتلاف فموضوعه أشمل وغير منحصر وإن حصره الفقهاء في هذه الأمور ولكنها قابلة للتطبيق على غيرها.

د- كونه عقداً مستقلاً حديثاً تشمله قاعدة الوفاء بالعقود.

إلا أن الحق أن الفرض الأخير هو الأقرب هنا نتيجة استقلال هذا العقد وصيغته فإن التكييفات فيها محاولات لإدخال ما لا يدخل، حيث يعلم الفقيه أن هذه المؤسسات

تُراجعُ عقودها وقوانينها دائماً وتغيّرُها فهل يضطر الفقيه إلى تغيير نوع المعاملة التكميلية حينما نجد شروطاً لا تنطبق على هذه المعاملة أو تلك؟ فما يمكن أن يكون قريباً من الصلح يمكن أن يخرج بإضافة شرط ككونه عقدًا ملزمًا غير قابل للصلح فكيف يكون صلحاً؟

وما يمكن أن يكون قريباً من الهبة المعوضة أو الضمان المعوض فيمكن أن يخرج برفع شرط أو اضافة شرط، فقد رأينا أننا احتجنا أن نرفض ما يشترط في البيع لنقبل بالغرر في الهبة، وقد رأينا أننا يجب أن نتعدى المواضيع المنصوصة في الضمان كالكفالة والتعدي والإتلاف إلى غيرها من المرض والعجز والراتب التقاعدي لانتهاء مدة العمل وما شابه ذلك.

فلا مناص أن هذا عقد غير مسمى سابقاً محكوم بالوفاء بشرط المتعاقدين بكامل حريتهما في قبول الشروط بينهما، وهو عقد ملزم ويجب حال إجرائه أداء ما على المؤمن من دفعات مالية تستقطع إجباراً أو تدفع مباشرة لزوماً نتيجة العقد الملزم بحسب الشروط. ولا تقبل أي مؤسسة للضمان أن يتحول عقد الضمان من ملزم إلى جائز مطلقاً، بل نفس المؤمن عليهم لا يقبلون، فقد يقوم القائمون على المؤسسة بإغلاق المؤسسة وفسخ العقد وليس للمنتسبين إلا أموالهم المدفوعة ويخرجون بحصيلة مليارية من الأموال التي في واقعها هي أموال مشاركة بين الجميع من أجل ضمان الأجيال مستقبلاً وتطوير الحالة الاجتماعية وسد العوز فيه مما يساعد على النهوض الاقتصادي والاجتماعي.

(وبعد المحاضرة اعترض أحد الفضلاء اعتراضاً وجيهاً بقوله: إن محتوى مهام هذه المؤسسة متعددة فبعضها يمكن وضعه في الضمان وآخر في التأمين، فيلزمها ما يلزم العقود، فلماذا ينبغي تعدد العقود على أنواع التأمينات التي ذكرت في مهام هذه المؤسسة، وهذا رأي سديد فيما إذا استطعنا أن نجعل كل المؤسسة بعقد إسلامي محض ولجاناً إلى التكييف

الشرعي لتحقيق الصفة والشروط لعقد مسمى، ولكننا نرى أن عقود هذه المؤسسات فيها شروط وإضافات تمنع من تطبيقها على العقود المسماة، وبالقول بأنها عقد جديد قائم بذاته يشترط فيه العدالة وحفظ الحقوق والأموال يخرجها مما يشترط فيه بغيره، والعقود التبرعية فيها تسامح بين العاقدين فيما جهل أو استحق أكثر مما دفع أو أقل مما عاد على ماله من أعمال الشركة وبهذا التسامح المنصوص فيه إبراء ذمة مسبقاً للطرفين في حال تطبيق مضمون العقد).

وهنا نشير إلى أن نظام الظلم والجور في العراق قبل سقوط الدولة الطائفية الجائرة، كان فيه مؤسسة ضمان اجتماعي كبيرة، ويبدو أن صدام سرق أموال العاملين وسحبها أبان الحصار فعطل عمل المؤسسة عملياً وإن لم يلغها رسمياً، وهذا ظلم كبير لكل عامل في العراق ولكل متعاقد على أمن ضمان مستقبلي، على أن النظام السابق يمكن أن يحتاج بأنه ترك استيفاء الاستقطاعات من العاملين فلماذا انتهت الأموال ولكن هذه حجة لا يمكن أن نصدقها إلا بالأرقام الحقيقية المصدقة من جهات محايدة والحكومة الحالية لا تملك الحياد لأن أغلب موظفيها لهم ضلع في النظام السابق.

فلماذا والبلد الآن ميزانيته أكثر من مائة مليار لا يعيد هذه المؤسسة ويطورها ويكبرها، لتكون خير ضمان لكل مواطن عراقي عامل، وبهذا نمنع موجبات الارهاب ونمنع مشاهد البؤس التي تملأ قلوبنا حزناً فإن منظر عشرات الناس يبحثون بين القمامة يومياً يفطر قلوب الصادقين وإن وجود عوائل تعيش ليلاً رهيباً يوم المطر والبرد حيث لا يحميهم سقف ولا جدران من البرد والماء، ليجعل المؤمن حائراً فيما يرى؟ ولا يدري ماذا يفعل؟ وكيف يتصرف؟

إن إقامة ودعم هذه المؤسسة الآن واجب إنساني، وواجب ديني، ويجب علينا جميعاً تطوير صيحة كبرى على الحكومة لإعادة بناء هذه المؤسسة، لتطوير العمل وإنعاش الإنتاج وكفالة المحتاج لنؤدي بعض حقه وإن كان من جيبه بطريقة ادخار تسامحية.

وبغير هذا يبقى الناس يجمعون قوتهم من القمامة أو يموتون جوعاً من التعفف، فهذا هو البديل العملي.

وقد يقال أن منظومة الرعاية الاجتماعية تمنح أموالاً للفقراء كبيرة (بحدود مليار دولار)، وهذا يكفي فنقول بأن هذا غير صحيح والشاهد هو ظاهرة أكل الناس من القمامة وأغلبنا شاهد أو سمع من يمر على قمامة بيته بعد طلوع الشمس بقليل باحثاً عن الطعام أو عن المواد التي يبيعها منها، ومن المؤكد أن منظومة الرعاية الاجتماعية لم تف بحاجة أسر الضحايا من جرائم النظام السابق حيث يوجد لدى العراق أعلا نسبة أيتام إلى نسبة عدد السكان فإن عدد الأيتام يتراوح بين أربعة إلى خمسة ملايين وإن الأرامل بحدود مليوني أرملة ولم يصلهم من مال المنظومة إلا أقل من الخمس كما سمعت.

وفي الأخير أقول كلمة تتعلق بالوعي الاجتماعي والقانوني والاقتصادي عند الإنسان العراقي بل عند كل مواطن مسلم فقد لمست شيئاً مشتركاً في أغلب بلدان المسلمين التي زرتها، فإنني كنت ألاحظ أن العمال وأصحاب العمل كانوا يتضايقون أشد المضايقة من الانتماء لمؤسسة الضمان الاجتماعي وأن العامل يراه ظلماً له أن تأخذ الحكومة جزءاً من تعبه، وكان صاحب العمل يراه ظلماً فظيماً حيث يؤخذ منه مبلغاً للضمان هو غير مسؤول عنه، وهذا يدل على عدم الوعي للمشكلات الحقيقية التي تواجه الإنسان ولسبل حلها ولو جزئياً حتى لا تصل طبقة في المجتمع إلى ما دون خط الفقر، وإنما يجب أن يكون الجميع فوق

خط الفقر على أقل تقدير، وهذا من سعادة أي شعب ولكن المسلمين بشكل عام لم يروا في ذلك أي فائدة لهم مع أننا وجدنا أن الكثير من العمال ممن انتسب لهذا النظام قد استفاد من الضمان الاجتماعي وقد أعانه مبلغ التعويض بموجب العقد في بقية حياته حيث استلم هو وأسرته راتباً تقاعدياً أو منحة مقطوعة بدأ بها عملاً جديداً هو وأبناؤه.

ويجب أن نعلم أن هناك دراسات علمية اثبتت أن الدول التي ليس لديها وعي للضمان الاجتماعي أو التي تعتقد أن الضمان الاجتماعي مضر بميزانية الدولة، فقد رصدت مسيرة تلك الدول اقتصادياً فتبين أنها تخسر أكثر بكثير من الضمان الاجتماعي لعدم الاستقرار الاقتصادي، حيث أدى عدم الضمان الاجتماعي إلى ركود نسب التغطية المجتمعية لدعم الفقراء وحتى إلى انخفاضها، ونتيجة لذلك فإن أدى إلى تفاقم الفقر حيث لا معين فأدى إلى زيادة العائد الاجمالي للدولة وبالتالي إلى التقليل من التغطية وهذا يؤدي إلى زيادة في الفقر في دورة تضمن بقاء الفقر مخيماً على ذلك المجتمع، ومن الجدير بالذكر أن الأغلبية العظمى من سكان العالم لا تزال تفتقر إلى تغطية الضمان الاجتماعي لزيادة الفقر بين الناس فيقل العمل الخيري والتطوعي لسد حاجة المحتاجين، وهذا يتصور بسهولة في بلدان فقيرة ليس لها عائدات كبيرة وهنا له مدلول غاية في الخطورة حينما نكون في بلد غني جداً ونرتكب خطأ فادحاً لا تقبله الدول الفقيرة وتعترف أنها ارتكبت هذا الخطأ في حق شعبها.

حين سقط نظام الجور في العراق لم نلاحظ دعوات اجتماعية وإصلاحية للمطالبة بهذه المؤسسة وتفعيلها ودراسة ملفاتها وأين ذهب الأموال وكمياتها المعادلة للدولار في حينها؟ وكيف خسر عمال العراق كلياً ما أودعوه فيها؟ فهذه قضية يجب أن تثار على صعيد وطني وصعيد دولي لأنها قضية مست ملايين الأسر العراقية الفقيرة وساهمت في تعميق الفقر في

العراق وقد عرضت أمن الناس إلى الخطر فزلت أقدام الكثيرين من أبناء شعب العراق بمختلف طبقاته واتجاهاته، حيث امتهن بعضهم الارهاب لسد شهواته التي لا يستطيع سدها، وقد ساهم الفقر نتيجة عدم التأمين وضمان تخطي خط الفقر في ترك التعليم فتحول الشاب العراقي إلى عاطل كليصا نتيجة الجهل بأبسط وسائل الانتاج والابتكار.

والبطالة هي أم المفسد والإنزلاقات السياسية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية، وهي نقطة الضعف التي يفكر بها كل أهل الفتن والغايات السيئة في تخريب المجتمعات وعدم محاربتها إنما هو فتح ثغرات على المجتمع ليكون قابلاً وحاضناً لكل فتنة تخريبية، وما أشد انحراف تفكير بعض حكام الدول الإسلامية حينما يفكرون بإفقار أعدائهم المذهبيين أو السياسيين أو العرقيين وحين يتحرك المتحركون يتهمون أياد أجنبية ولا يسأل هذا الحاكم نفسه عن قراره بإفقار هذه المجتمعات التي استهدفها ودمر بنيتها الاقتصادية حيث فتح على نفسه ثغرة كبرى وخلق شرخاً واضحاً في قبول تلك المجتمعات له وأبسط مثال مشكلة الأكراد في تركيا هي مشكلة حقوق ومشكلة فقر فلو كان الأتراك أو العراقيين سابقاً قد ساووهم في الحياة ومعيشتها لما وصل الأمر بهم الآن إلى أنهم كلما يعطون شيئاً يريدون أكثر بشراهة - ويستخدمون الارهاب لتحصيل مطالبهم وأصبح الجسد الكردي بؤرة اختراق إسرائيلي وغربي يهدد المنطقة ونفسه بأشد أنواع التهديدات الحضارية، والحقيقة أن من فتح هذه الثغرة هم من قرروا احتقار هذا الشعب ومنعه من الخيرات والضغط عليه وعلى حقوقه وهذا الذي فعل ذلك إنما خرق بنفسه نظامه وأعاد على نفسه ما كان يريد أن يتخلص منه وهو شبح التفكك أو انعدام الأمن وهكذا يفعل الأذكيا ما يفعله الأغبياء نتيجة الأحقاد والكراهية وانعدام العدالة.

الإسلام ودعاوى المتغربين

هناك فرق بين أن نتكلم كمسلمين بيننا مواد مشتركة مثل النص الإلهي والقيم العامة، وبين أن نتحدث مع غير المسلم مثل الغربي المتربص بنا من خلال ما يعتبره ثغرات وهمية أو صحيحة الوجود ولكنها ليست إسلامية في الواقع.

ولعل أهم جواب للغربي: أن عليه أن ينصت للخلاف بين المسلمين في هذا الأمور، وأن لا يحمّل الإسلام مسؤولية فهم خاص من منهج أو شخص مسلم، فهذا التعميم خلاف العلم، ولعل صاحب أي ديانة أو مذهب فكري في العالم لا يقبل أن يحمّل الفهم التفسيري أو التزويري لعموم مذهبه أو دينه على أنه هو ذلك المذهب أو الدين، فلا يمكنه أن يعتبر تفسيراً لعالم ديني أو لحاكم مسلم هو الإسلام بعينه ويحاسب الإسلام كله على أساس الرأي الشاذ، فإن من يعتبر الشذوذ عن المجموع هو نفس المجموع، لن يستطيع أن يصمد أمام هذا الحكم نفسه، فهو من سيسقط بالتأكيد إذا طبق عليه وعلى مجموع ما ينتمي إليه. وهذا المنطق الخاطئ مبني على إلقاء الكلام على عواهنه.

ولأنهم يملكون الإعلام ويتكلمون بالباطل ليل نهار وليس هناك من متصد لهم، فقد يتخيّل من لا يعرف أن هذه الأصوات المتكاثرة تمثل الحقيقة ولكنها لا تمثل إلا الخطأ في التفكير وفي الاستنتاج.

فأنت قد ترى مثلاً في إيران وجود ناشطات متغربات متبعات لأفكار مستوردة يطالبن بنزع العفة والالتزام الإجماعي، واعتبارها قيوداً غير حضارية والمطالبة بالحرية الشخصية للمرأة في اختيار سلوكها، وهن بأنفسهن ينتقدن الإسلام وفق الفهم الشيعي هناك، لأن فيه جواز الزواج المؤقت الإسلامي، مدعيات أنه يفقد المرأة حقوقها ويجعلها رخيصة، وكأن فقد العفة غلاء ورفعة، بينما قوانين حفظ الحقوق الزوجية رخص؟ وإذا كان الزواج رخصاً فما تقيمهن للمعايشة خارج فراش الزوجية التي يطالبن بالحق فيها كمتغربات؟

أبعد المطالبة بإباحيتها يطالبن بالقيود عليها؟

فما شأنهن إذا كان ذلك تعبيراً عن حريتهم كما يردن؟

إنها انتقائية سطحية من أجل تكريس النقد، لخلخلة المفهوم الاجتماعي للإسلام، ولا علاقة لما يطالبن به بكل صور المطالبة، بأي منطق أو عدالة، وكل ما في القضية هو الهجوم العدائي واستغلال الثغرات، فلا يخفى أن أي حكم يمكن أن تحدث فيه ممارسة خاطئة، فإذا أردنا أن نعتبر الممارسة الخاطئة للحكم الصحيح دليلاً على بطلان الحكم، فلا يثبت حكم في الكون، لأنه ما من حكم إلا وتم التحايل عليه.

ولو سألنا الناشطات الداعيات لحياة غريبة في العلاقة الزوجية وهي علاقة المعايشة بدون زواج، وقبول الغرب لهذا النوع من التباني على الاجتماع *common in law*، فهل يتم هذا بدون خلل في الممارسة والتطبيق بحسب أحكامهم أنفسهم؟

الجواب: إن أكثر شواهدة فيها خلل وهذه محاكمهم التي تعج بالمخالفات لنفس هذا العرف الذي فننوه وهو ما يدعو له ناشطون في بلاد المسلمين بينما يشتمون أحكاماً إسلامية بناء على سوء التنفيذ لأصل الحكم المقنن.

إن موضوع الحوار هذا مع غير المسلمين له وجهة ثانية قد لا يحسن الآن التطرق إليها، ولكن يجب أن نلاحظ أنهم يثبتون السطحية في التعاطي مع القضايا الإسلامية، بانتقاء العينات التي لا يمكنهم فهمها، وفهم العمق فيها بتطبيق معاييرهم، وإنما يجب فهمها وفهم مشاكلها بموجب الحقيقة أو معايير المسلمين أنفسهم بمختلف اتجاهاتهم.

وأما الحوار حول الفتاوى والقدرة على الفتوى إسلامياً فهذا ما يجب أن نبحث فيه من جوانب متعددة وبأشكال متعددة.

ولعلي سأختار البحث في موضوعين منفصلين أطرحهما لبيان أمور مهمة جداً من ناحية إسلامية وحياتية يعيشها المسلمون.

الموضوع الأول: الاختلاف بين النصوصيين والعقليين.

الموضوع الثاني: حقيقة الهجمة على الفتاوى الفقهية في الأزهر الشريف، وهل هي انحراف أم تصحيح؟

الفرق بين النصوصيين والعقليين

هذا الموضوع هو أعقد موضوع واجه الإسلام من بداية تكوينه، وهو من أهم مسالك الإنحراف والتدمير للإسلام من الداخل، وفي وقت مبكر جداً من ظهور الرسالة الإسلامية وله أسباب كثيرة لا نريد بحثها لأنها بحوث مطولة فيها تجاذب في الآراء وتفصيلات نحن في غنى عنها الآن.

نحن كشبيعة نقول العقل هو الأساس في التشريع والتعبد وإقامة الحياة، ولكن لا مجال في مقاومة الشرع إذا كان نصاً صحيحاً صريحاً، يعني لا اجتهاد مقابل النص.

ولكن ماذا تقول المذاهب الأخرى؟

الجواب في الحقيقة: لا ندري ولا يدرون ما يقولون، وكل قول لهم يناقضه قول آخر في المذهب الواحد، وأما في مذاهب متعددة فحدّث ولا حرج.

تبدو المشكلة لمن لم يتعمق في الدراسات، أنها كامنة في الإلتصاق بالنصوص، وذلك لأن فقهاء الزور يحاولون الإحياء بأن فقههم مبني على النصوص، وأنهم متجمدون ومسمّرون على النصوص.

فتراهم يحرمون التدخين ومشاهدة أفلام الكرتون وإهداء الزهور للمرضى، ويحللون قتل المسلمين الأتقياء والأبرياء، ويحرمون قتل المعتدين من المعتصبيين اليهود وغيرهم، ويجيزون أشكالاً من الزواج لا يقولون بها هم أنفسهم، ويحرمون زواجاً مثبتاً في القرآن، وما من

مطلب باطلٍ إلا ويفعلونه ، ويفتون به ذاكين بجنبه آيات قرآنية وأحاديث شريفة وأقوال من يسمونهم العلماء لا علاقة لها بالقضية الشرعية من بعيد أو قريب ، وهذه الخدعة جعلت كل من يريد أن يحلل ظاهرة التدهور في الفتيا ، يعتقد أن الأمر متعلق بالنصوص والتمسك بها ، وأن الإسلام هو هذا بهذا السوء وبهذا الإجرام .

ولا يدري المراقب غير المطلع بأن ما يجري فعلاً هو مجرد (هوى) مغلف بنصوص لا علاقة لها بالموضوع ، للإيحاء بأنه عين شرع محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وما هو من شرع محمد بقريب أو ببعيد حتى .

إذن المشكلة في رأينا هي مشكلة منهج ، وليست مشكلة (نص وعقل) كما يبدو من النظرة الأولية .

ولكن هذا الكلام قد يكون مبهماً جداً لمن لا يعرف أسرار التشريع وأصل المشاكل التي اختلف عليها المسلمون قديماً جداً .

وفي سبيل أن نبين انها ليست مشكلة خلاف بين نص وعقل وإنما هي لعب على الذقون ، علينا أن نبيين الحقائق المتقابلة :

مدرسة علي بن أبي طالب عليه السلام تقول ما يلي :

حين يحلل الإنسان الشرع بطريقة عقلانية يرى الحقائق التالية :

العقل يحكم بوجود وجود الله بموجب تسلسل منطقي عقلي لا يقبل الجدل .

العقل يحكم بأن عملية الخلق ليست عن عبث وإنما هي نعمة من الخالق المنعم .

العقل يحكم بعظمة هذا الخالق.

العقل يحكم بعدل الله ووجوب تجنيب الذات الإلهية النقائص ووجوب تنزيهه من الشبيه والمثيل والتجسيم.

العقل يحكم بوجوب شكر هذا المنعم والخالق.

العقل يحكم بأن الإنسان يختلف عن الحيوانات لأن إرادته وفعله تدمر مجتمعه ونفسه، إذا ركن للهوى. ويمكن أن يصلح ويطوّر المجتمع إذا نظم والتزم بالنظام.

العقل يحكم بأن أهم ميزة للإنسان هي القدرة على اتباع نظام منطوق ينتقل بين البشر بطريقة التفاهم باللغة والقوانين المنطوقة، وليس بالفطرة ب (الجينات الوراثية) كما هو حال بقية الحيوانات التي تعمل بموجب نظام دقيق غير ملفوظ وغير منقول بطريق التفاهم، وإنما ينتقل بطريق الوراثة.

العقل يحكم بوجوب قيام النظام والحكومة في المجتمع البشري لحفظ نظامه، وحفظ المجتمع الإنساني، وطرد المظالم وجلب المصالح.

العقل يحكم بأن أساس التكليف حسن.

والعقل يرى حسن نظام العقاب والثواب لأنه الجزاء العادل، لمخالفة أو موافقة النظام، وكذا لأداء شكر المنعم.

العقل يحكم بأن الله العادل لا يعاقب محسناً ولا يحسن لمسيء.

العقل يحكم أن الخالق لم يخلق الإنسان ليتركه بلا هداية لمصلحته.

العقل يحكم بتصديق أن الله يرسل رسلاً للهداية (سواء كان رسولاً داخلياً كالعقل نفسه أو رسولاً خارجياً كالأنبياء).

العقل يحكم بطرق وآليات تصديق أو نفي من يدعي الرسالة.

فإذا وجد مدعٍ وثبت صدقه بالأدلة، وأنه ناطق عن الله، فعلينا طاعة ما يريد الله امتثالاً لوجوب شكر المنعم وطاعته، وليس لنا أن نردّ قوله أو نتلاعب عليه، لذا فإن من يخالف لا بد أن يعاقبه الله بعدله، ومن يوافق لا بد أن يحسن الله إليه بعدله، والعقل يوافق الشرع بأن الله كريم غفور يغفر ذنوب المستغفرين بشروط وليست بلا شروط.

العقل يقول إن كل تشريع أنزله الله إلينا إنما هو لمصلحتنا، لا لمصلحة المنعم فهو غني عنا.

العقل يقول أن كل ما وافق العقل - بمعنى ما أجمعت عليه العقول على ضرورة العمل بموجبه - فالشرع يحكم به، وما لم يصل لمرحلة إجماع العقول فلا.

العقل يقول بأن الإنسان لا يدرك بمداركه علل الأحكام الخفية، ولا نفس الحكم الإلهي وإنما يدرك الترابط بين الأحكام، ومعنى أنه لا يدرك علل الحكم أنه لا يستطيع أن يقيس لمجرد توهم علة، ومعنى أنه لا يدرك نفس الحكم أنه لا يستطيع أن يستحسن حكماً بنفسه ولهذا فالاستحسان باطل لأنه إدراك لنفس الحكم الإلهي.

العقل يقول أن الحاكم الذي لم يتصل بالله ليخبره عن حكمه، يخطئ ويصيب في إصابة الحكم، فإذا أصاب فله ثواب وإذا أخطأ لا ثواب له، وإنما له عذر لعدم تفریطه في إصابة

الواقع، نعم قد يكون له ثواب في بذل الجهد، ولكن ليس الثواب لنفس التصدي، وهذا خارج موضوع الحكم نفسه.

هذا التسلسل ينبئنا بشيء مهم، وهو أن تكاليف الله لنا لا تبنى على أساس ما نفهم من علل وإنما لعل قد لا ندري ما هي، وقد ندركها أو قد ندرك ظاهرها أو المصلحة المتحصلة منها بعد صدورها. ولكنها ليست باليقين هي سبب التشريع لعدم إطلاعنا على الواقع بما هو واقع.

فمن يدري لماذا وضع الله لنا نظام التزاوج وأحكام النكاح؟

فلو قيل بأنه نظام يؤدي إلى الأمان الاجتماعي، فالواقع قد يخالفه في بعض الشواهد بالضرورة، ففي مجتمعات متشددة بالتزاوج لا تنعدم الجريمة فيها بل لعل أكثر مجتمع فيه الجرائم من اغتصاب حقوق وهدر كرامات هو المجتمعات التي يقودها حكام يتلبسون لباس الدين كمن يتلبس الدين الإسلامي أو المسيحي أو اليهودي، بينما قد نجد بعض المجتمعات الإباحية الصغيرة نسبة الجرائم فيها أقل من جرائم المسلمين أو المسيحيين أو غيرهم من الملتزمين بالمثل الأخلاقية العالية ظاهراً.

ولو قيل أن حكم التزاوج وجد لحفظ الأنساب؟

إذن لماذا أصر الشرع على ارتباط النسب بالعقود، و لا يعترف إلا بصاحب بالعقد (الولد للفراش)؟ ولا يقبل الدليل الظني إلا بدعوى مضادة عليها دليل قطعي أو لعان وما شابه، فلم يكن علم الفراسة الذي أبطله الإسلام مبني على مجرد الهوى واللعب، وإنما على العلامات الفارقة الوراثة التي تبين بدليل ظني راجح أن هذا المختلف فيه ينتمي لأي من الطرفين، ولكن الإسلام حرّم الفراسة وأبطل أحكامها ورجحان حكمها بنفي الجعل عنها،

ولم يبني عليها وبنى على علاقة العقد، فإذا انتفى العقد انتفى النسب شرعاً حتى للوالد التكويني (الولد للفراس وللعاهر الحجر) فلو ولدت من الزنا وهي على ذمة رجل لكان ابن زوجها وليس ابن الزاني، بلا إشكال ما لم يكن هناك دعوى الملاعنة، مع عدم إغفال التكوين في الأحكام الأخرى، وهذا بحث آخر.

فهذه العلة الظاهرة قد ندرکہا كالأمان الاجتماعي وحفظ الأنساب والحقوق، ولكن لا يمكن أن نبنى عليها حكماً شرعياً، إلا إذا كان يقينياً قطعياً فقط. كما يذهب الفقهاء إلى اعتباره إذا كان يؤدي للقطع، كالخلاف في حكم فحص الـ DNA وهل هو قطعي فإنه يثبت متعلقه؟ لأن العلم القطعي حجته ذاتية لا يمكن تخلفها وهذا بحث آخر. مع ذلك فإنهم يرون أن هذا الكاشف يصح تقديم الدعوى ولا يحكم بنفسه بدون دعوى أو ملابسات أخرى كما أنه لا يتدخل في الأنساب بحيث لا يصح نسب إلا به، وإنما يكون دليلاً شرعياً يسمى بـ (اللوث) لإثبات متعلقات شرعية كثيرة، منها صحة دعوى أحد الزوجين قبل إجراء الملاعنة، وهذا كله ليس له علاقة بدعوى: أن أصل أحكام الزواج في الإسلام هو لحكمة حفظ الأنساب، وإنما هناك حكمٌ كثيرة قد لا يمكن معرفتها للبشر، وإلا لو دار مدارها لصح الزنا حين يحفظ النسب، كأن يصح زنا من لا ينبج مثلاً فهذه النتائج تبين أن مثل هذا التوجّه لا يصح في تفسير التشريع.

ولو أردنا أن نحلل كل حكم استحساني أو قياسي سنجد أنه ليس كما يبدو لنا من علة ظاهرة من خلال عدم الدوران مدار العلة، وإنما هناك مقاصد خفية تؤكد عملياً صحة النظرة العقلية أنه ليس هناك صلاحيات مطلقة للعقل لإدراك الأحكام التفصيلية أو أسبابها بخلاف الأحكام الكلية أو القضايا المحمودة المتفق عليها عند البشر، ولعل المصلحة في تعميم حكم فيه استثناءات عملية، فلا ندري.

ولهذا فالعقل ليس له القدرة أن يحكم في تفصيلات التشريع الصادر من الله، وإنما يحكم في القضايا المحمودة التي يتفق عليها جميع البشر والعلاقات بين الأحكام وتطبيق القواعد وإرجاع العام إلى الخاص وما شابه ذلك من أعمالٍ لمنهج العقل في المعالجة، كما أن العقل يعالج مشكلة الفراغ من النصوص بالقواعد العقلية كالقاعدة القائلة بأن كل مسكوت عنه ليس بممنوع ما لم يتعارض مع حكم آخر، وهذه قاعدة عقلية وافقها الشرع (أصل البراءة)، ويقابله أصول أخرى كالاحتياط والاستصحاب والتخيير.

فالخلاصة: إن مذهب أهل البيت يقول بأن العقل مقدم على الشرع رتبة حتى لا يسقط الشرع نفسه، ولكن حين يكون الشرع قد أعلن حكماً معيناً في شيء ما، فلا يوجد صلاحيات للعقل بنقضه، والشرع لا يصدر حكماً مناقضاً للعقل حقيقة، وما نراه من مخالفة إنما هو لعدم إدراك الأسباب الحقيقية، ولو أدرك العقل الحقيقة لما أفتى إلا بما أفتى به الله العالم بالخفيات.

ومعنى أن العقل مقدّم على الشرع هو أن الدليل - لتناول الشرع بكامله - لا بد أن يبدأ من دليل العقل، وإلا فلو بدأ بدليل الشرع فإن الدليل سيتوقف على نفسه وهذا باطل، لأن السؤال الذي هو: ما هو الدليل على الشرع؟ لا يمكن الإجابة عليه أنه الشرع نفسه!

ولكن للأسف فإن هذا هو ما يجيب به أغلب أصحاب المذاهب غير الشيعية، ولا يأبون منه رغم أنه خلل منطقي ممنوع عقلاً.

فهذا هو منهج علي وأهل بيت النبوة، وهو منهج واضح ومتسلسل ومتربط لا خلل فيه إلا عند من لا يفهم الدليل وحقيقته.

لكن ما رأي الفقه السلطاني؟

ونقصد بالفقه السلطاني هو الفقه الذي رعاه سلاطين الدول وأغدقوا عليه المال وجهّزوه بالرجال وغلّفوه بالقداسة الزائفة، وطلبوا أن يكون بهذه الصورة المركبة التي سنوضح بعض غرابتها بشكل موجز ومقتضب.

هنا سترى العجب وسنبداً بخلاصة ونشرح قليلاً ثم ننتهي بخلاصة.

الخلاصة المقدمة:

يقولون: أنه لا يوجد عقل ليحكم في أساس الدين وأساس التدين وإنما يُعتمد النص فقط. ولكن في الفقه لا يوجد وجوب الإلتزام بالنص فيما اذا اقتضت الضرورة، وإنما يجوز أن يحكم الحاكم بالشهوات التي تسمى العقل، وليس بالدليل العقلي القطعي فقط، ويجوز أن يحكم بكل ما خالف النص أو حوّره أو لعب فيه، وهو حكم صحيح تماماً، وهو حكم الله. التفصيل:

كيف يكون هذا بالتطبيق العملي؟

وهل من شواهد على هذه الدعاوى؟

سندرس هذا الآن بشكل متعجل وسريع:

يقولون:

أن الشرع مقدم على العقل في العقائد، يعني أن دليل وحدانية الله هو قوله {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، ودليل عدل الله هو قوله {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} ودليل النبوة هو قوله {إِنَّا

أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} ودليل الجزاء والمعاد هو قوله: {يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ}.

ولو قيل إن هذا توقف الشيء على نفسه وهو تناقض، فكيف يكون الشرع دليل صحة
الشرع؟

فسيقال لك: هذا غير مهم أبداً، المهم أن لا عقل وإنما الحكم النص!

وسيقال لك: ان العقل لا يحكم بوجوب شكر المنعم، وإنما ورد هذا عن طريق الشرع.

وسيقال لك: أن الله لا تتعل تصرفاته فمن قال أن خلق الله الخلق لحكمة فقد كفر، لأنه
علل أفعال الله والعباد بالله؛ فالعبثية هي الأصل، حتى لو قال الله أنه لا يعبث، ولكن
العبث وعدم التعليل هو الأصل، وهو الواقع وغيره كفر.

وسيقال لك: من قال بوجوب العدل على الله فقد كفر — وجوب العدل بمعنى لا تصدر منه
نقيصة —، وهذا اعتداء على الله، فالله يتصرف في ملكه كيفما يشاء، فيظلم أو يعدل فكله
صحيح، وليس ظلماً أن يتصرف المالك في ملكه بما يشاء بلا ضوابط، وقد قال الهدهدي
الأشعري في حاشيته ص (٩٧) للتعليق على عدم قبح الظلم من الله: [والمالك لا يجب عليه
شيء لمملوكه بل يفعل به ما يشاء]!

وسيقال لك: أن العقل لا يوجب حفظ النظام ولا يوجب قيام التجمع الإنساني أصلاً،
وإنما أوجبه الشرع فقط.

ولهذا لا تجب الإمامة بالعقل لأن الأصل الشيعويع وعدم وجود النظام عقلاً، ولا يقبل العقل
أصلاً التحكمم بالإنسان فالحكم باطل بالعقل.

وانما أوجب الشرع تحكّم الفسقة الجائرين في الأعراض والأموال والأنفس، ولا يجوز لمسلم أن يعترض ومن اعترض يقطع رأسه فوراً قربة إلى الله تعالى.

وسيقال لك: لا يحسن التكليف ولا إرسال الرسل ولا العقاب والثواب عقلاً، وانما أمر بها الله، وكفى بالله آمراً، ومن قال غير ذلك فقد كفر(يعني صاحب بدعة يجب قتله).

وسيقال لك: أن كل النظريات العقلية مبنية على أمرين باطلين وهما المنع من اجتماع النقيضين وهذا انتقاص من قدرة الله، والثاني اثبات السببية في الكون، وهذا كفر لأن الله هو السبب الوحيد، ولا يوجد أسباب وعلل للأشياء، ومن قال أن النار تحرق أو السكين تقطع فقد كفر، ومن قال بأنها إنما تقطع لقوة أودعها الله فيها، ففي كفره قولان.

ولهذا فلا سبب يوجب على الله معاقبة العاصي أو إثابة المطيع، وانما سيحشر الله الأنبياء في النار، والفراغة في الجنة، وهذا حكمه وهو أعرف به، فقد صرح في تهذيب شرح السنوسية ص ١٨ النسخة الإلكترونية (مثاله تعذيب المطيع الذي لم يعص الله تعالى في عمره أصلاً، فإن تعذيبه جائز يقبل العقل وجوده بأن يدخله الله جهنم ويقبل عدمه بأن يدخله الله الجنة، ولكنه لا يقبله العقل حتى يتأمل ويعلم أن الله سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية وأن الظلم في حقه تعالى محال لأن الظلم هو التصرف في ملك الغير بلا إذن، ومولانا سبحانه هو المالك لجميع الخلق يعذب من يشاء. فإذا تأمل العقل في ذلك علم أن تعذيب المطيع جائز يصح وجوده ويصح عدمه) كما صرح العضد الإيجي في (المواقف) (٤٩٤/٣) قائلاً:

[فإن المطيع لا يستحق بطاعته ثواباً والعاصي لا يستحق بمعصيته عقاباً إذ قد ثبت أنه لا يجب لأحد على الله حق].

ناسياً هذا الفاضل الإيجي أن الله نفسه قال بأن للمؤمنين حق على الله {كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا
نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ} فهذا ليس مهماً عندهم، لأنه يخالف قواعد المذهب، حيث لا حق لأحد
عليه، ويظلم كيفما يشاء.

جيد إلى هنا يمكن أن نفهم بأن هذا المنهج هو منهج نصوي لا عقلي، وهو منهج لا يقبل
العقل بأي شكل من الأشكال لحد الآن، ويريد من الناس الطاعة فقط، سواء كان بثواب أو
بعقاب لا يهم، وإنما يجب أن يطيعوا الحكام، ومن لم يطع يقتل فوراً بلا استتابة، وهذا
هو تصويرهم لدين الإسلام.

إلى هنا فهمنا نظريتهم هذه وهي واضحة، ولكن هل تستمر على هذا النوال؟

فماذا يقولون حين نصل إلى مرحلة ما بعد نزول الشرع؟ وإلى فهم الشرع؟

فاسمع ما يقولون وتعجب من النقص لكل الكلام السابق بقضه وقضيضه.

سيقال لك: إن الشرع يُدرَك بالعقول، فإن الشرع قام على (العلل)، حتى الظنية منها،
ولهذا يجوز القياس الذي هو التمثيل المنطقي لا القياس المنطقي، أي وجود حالات التشابه
ولو الناقصة، لتسرية الحكم، ويسمى التشابه بالعلة، ويسمى التمثيل بالقياس، لأنهم لا
يجيزون استخدام المصطلح الفلسفي أو المنطقي بحذافيره، فلذلك غيره احتياطاً لدينهم
فسموا التمثيل قياساً وسموا وجه الشبه علة، تغييراً للألفاظ يتقربون به إلى الله.

ثم سيقال لك: بأن (نفس الحكم) في الواقعة يدرك، ولو ظناً، وهذا يكفي في جواز الحكم ونسبته إلى الله والإسلام، ويقال أن هذا حكم الله، وهذا حكم الإسلام، ولهذا أجازوا الاستحسان والمصالح المرسلة وغير ذلك واعتبروها مصادر إسلامية للتشريع.

ووجه ذلك أنهم يقولون بنظرية التصويب.

فما هي نظرية التصويب؟

نظرية التصويب باختصار تقول: إن الوقائع التي لا نص فيها خالية من أحكام الله أو أن الله ليس له حكم في الوقائع، فإذا حكم الحاكم على واقعة أجرى الله حكمه وفق ظن الحاكم.

وهذه هي نظرية التصويب باختصار شديد، وقد اختصرها الإمام الغزالي في المستصفى ٢ / ٣٦٣ فقال: [فالذي عليه محققوا المصوبة أنه: ليس في الواقعة التي لا نص فيها حكم معين يطلب بالظن، بل الحكم يتبع الظن، وحكم الله تعالى على مجتهد ما غلب على ظنه، وهو المختار وإليه ذهب القاضي].

بل هناك قول أعجب في نظرية التصويب تقول أن الله يتنازل عن حكمه لصالح الحاكم.

فانظر ما قاله الإمام أبو حامد الغزالي في المستصفى ٢ / ٣٦٦: [وذهب قوم من المصوبة إلى أن فيه حكماً معيناً يتوجه إليه الطلب، إذ لا بد للطلب من مطلوب، لكن لم يكلف المجتهد إصابته، فلذلك كان مصيباً وإن اخطأ ذلك الحكم المعين الذي لم يؤمر بإصابته، بمعنى أنه أدى ما كلف فأصاب ما عليه].

وأنت خبير بأن هذا يعني أن الله عطلَّ حكمه لصالح حكم المجتهد.

فما أعجب هذا التناقض ففي الاعتقاد لا يجوز القول بحكم العقل مطلقاً وهو كفر، مع إن الاعتقاد نفسه في الأساسيات هو معرفة عقلية وليس عملاً بإتباع النص، ولكنهم في التشريع يقولون: لا قول لله فيما لم ينص عليه بل للعقل، والله تابع لظن المجتهد، بل جؤزوا الاجتهاد مقابل النص لعمل الصحابة والأصحاب.

وفي تقدير فقه أهل البيت أن كل المشكلة في الفتاوى النشاز هي القول بدون حجة، فكل هذه الفتاوى لا تستند على قول صريح أو صحيح للشرع الشريف، وإنما هي اجتهادات بدون نصوص، بل هي ضد النصوص، مفتعلة من قبل الحكام وأتباعهم من شيوخ الإسلام الذين يصنعون لهم الأحكام بمقدمات ونتائج عجيبة، فهم يجيزون للحكام شرب الخمر لأنهم يقولون: إن لفظ الخمر لا تكون إلا لما استخرج من العنب لغة وهذا من التمر وهو نبيذ فيجوز بحمد الله، وترقص عند خليفة المسلمين النساء عاريات مغنيات وأمام الندمان، فيقال إن هذا جائز لأنه ملكٌ يمين يفعل به المالك ما شاء، والملك لا حدود لاستخدامه، وقد يأتي حاكم آخر وهو لا ينام الليل ما لم تراقصه راقصة ومولع بزواج المسيحيات واليهوديات فيأمر أولاً بحجب النساء المسلمات كلياً عن المجتمع، وقد يأمر بعدم خروجهن مطلقاً من البيوت احتياطاً للأخلاق ولشرع الله، فيخترع التجار أداة من عصا طويلة في طرفها حافظة معينة (كل حسب نوع بضاعته) ليبيعوا البضائع على النساء في البيوت بطريقة مدها على العصا، احتياطاً للشرع. فهل رأيت تقوى الله ماذا تفعل بالحكام؟

ولو رجعنا لأخطر الفتاوى وأشرسها في تدمير المسلمين وجدناها بلا أصل إسلامي ولا فقه ولا دين، فمسألة قتل المسلم وقتاله للشبهة والظنة وحرمان الناس الأمن لتحقيق أهداف من يريدون السيطرة لا أصل لها في الدين مطلقاً، وإن كان أول من فعلها هو الخليفة أبو بكر

واستنكر عليه الخليفة عمر ثم رأى أن هذا فتح من الله على قلب الخليفة، لأنه سمع التبشير بأن من يمنح الزكاة كمن يمتنع عن الصلاة وكلاهما يقتل! والمسلمون لم يقبلوها عموماً حتى ظهر الخوارج الذين جُوزوا قتل المسلم وكفروه لعمل المعصية، وسرى هذا الفقه بدين ليس من الله قطعاً إلى يومنا هذا، وكل ما تراه من سجون وتعذيب وقتل واغتيال سياسي أصله من ذلك الفقه الذي لم يستند للإسلام قطعاً، وإنما للاستحسان العقلي بل للاجتهد مقابل النص الصريح في حفظ دماء المسلمين.

ومسألة طاعة الحاكم الفاجر هذه المسألة لا أصل لها وحديث حذيفة مكذوب أو محرّف ولم يقله رسول الله لأنه نقض للإسلام، وإنما أمر المؤمنين بعدم إراقة الدماء لطلب الحكم، وقد ثبت أنه أوصى علياً عليه السلام بذلك، ولم يوصي بطاعة الجائر واعتباره ظل الله في الأرض كما يقول ابن تيمية وكل علماء السلطان.

وهكذا كل المسائل التي تُستنكر مثل قضايا النكاح العجيبة وفتاوى الرضاع وغيرها كلها ليست إلا اجتهادات مقابل النص أو تحكم في الوقائع التي لا نص فيها من دون ضوابط إسلامية وفق القواعد الفقهية.

وكل قول مما نقلته لك له ألف شاهد من النصوص على ذلك. ولكن قد تستنكر جداً من كل ما عرضته غير نظرية التصويب التي أتيتك بشاهد علمي لها، مقولات مستنكرة لا تصدّق فهي لا يقول بها عاقل، كما قد تظن، ومنها مسائل:

الأولى: لا يمكن أن يكون العقل هو الداعي إلى الله وهذا ضلال مبين.

والثانية: عدم وجوب شكر المنعم.

والثالثة : إمكن تعذيب الأنبياء لأدائهم دورهم بينما ينعم الشيطان لمعصيته.

والرابعة : نفي السببية الذي يلغى كل العقول والمعقول.

وسآتيك بنصوص سريعة لتفهم إن القضية أعمق مما تتصور وأن هذه الأقوال جزء من الدين، والقائل خلافها كافر، يجب ذبحه بالسكين الحاد فوراً وبدون تأخير.

المسألة الأولى : في قولهم بعدم معقولية أن يكون العقل داعياً إلى الله.

المثال : قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ج ١٣ ص ٢٨٨. نقلاً عن أحد كبار العلماء وهو أبو المظفر بن السمعاني الذي أيده بعد قوله بالنصوص :

[فمن زعم أن دعوة رسل الله عليهم الصلاة والسلام إنما كانت لبين الفروع - أي غير أصل التوحيد والنبوة والمعاد والتكليف-، لزمه أن يجعل العقل هو الداعي إلى الله دون الرسول ويلزمه أن وجود الرسول وعدمه بالنسبة إلى الدعاء إلى الله سواء، وكفى بهذا ضلالاً]

أقول : نسي هذا الفاضل قولهم : بأن الأحكام تدرك بالعقول. وهذا يعني أن لا حاجة إلى الرسالة أصلاً، فيمكن لكل حاكم أن يصدر أحكاماً بعقله، مع أن الموضوع هنا مختلف فالإيمان بالله وإرساله الرسل لا بد أن يكون قبل إرسال الرسل، وإلا فما الموجب لتصديق الرسول إذا لم يكن الإيمان بالله نفسه واجباً، ونسي هذا الفاضل أنهم يقولون أنه لا حاجة لإرسال الرسل وهو غير واجب أصلاً ويمكن لله إن يعذب بلا سبب سواء إلتزم العبد أم لا.

المسألة الثانية : عدم وجوب شكر المنعم.

المثال: قال الأمدي في الأحكام ج ١ ص ٧٩:

[إعلم أنه لا حاكم سوى الله تعالى، ولا حكم إلا ما حكم به، ويتفرّع عليه أن العقل لا يحسن، ولا يقبح، ولا يوجب شكر المنعم، وأنه لا حكم قبل ورود الشرع]

أقول: بدون تعليق!

المسألة الثالثة: تعذيب الأنبياء مع أدائهم الأمانة.

المثال: انظر إلى تقرير العلامة الشهرستاني الأشعري في (الملل والنحل) (٦٠/٣): [وأنه لا يلزم لأحد على الله تعالى حق ولا حجة، والله تعالى على كل من دونه وما دونه الحق الواجب والحجة البالغة لو عذب المطيعين والملائكة والأنبياء في النار مخلدين لكان ذلك له ولكان عدلاً وحقاً منه، ولو نعم إبليس والكفار في الجنة مخلدين كان ذلك له وكان حقاً وعدلاً منه!]

أقول: بدون أي تعليق...

الرابعة: في نفي السببية:

المثال كما قال في تهذيب شرح السنوسية (متوفر على النت) صفحة ٩٣:

[أنه لا تأثير لإيجاد ولا إعدام لشيء من الكائنات في أثر ما، ولو قل، فلا تأثير للنار في الإحراق ولا للطعام في الشبع ولا للماء في الري ولا لغيره في سبب من الأسباب العادية وغيرها، فلو كان لشيء من الأسباب العادية وغيرها تأثير ما لزم أن يستغني ذلك الأثر عن مولانا جل وعز، ويفتقر لمن أثر فيه وذلك محال لأنه لو استغنى البعض لاستغنى الكل عن

مولانا جل وعز[وقال في ص ٩٥ : [ملاحظة: إن من اعتقد أن تلك الأسباب تؤثر في ما قارنها بطبع أو علة فلا خلاف في كفره، ومن اعتقد أنها تؤثر بقوة جعلها الله فيها فهو فاسق مبتدع وفي كفره قولان والراجح أنه فاسق ومبتدع، وأما من اعتقد أنها لا تؤثر بطبعها ولا بقوة أودعها الله فيها وزعم أن التلازم بينها وبين ما قارنها أمر عقلي ولا يصح فيه التخلف، فهو جاهل بحقيقة الحكم العادي وربما جره جهله إلى الكفر، وذلك إذا أنكر نحو معجزات الأنبياء والبعث لأنها كلها على خلاف العادة، وأما من اعتقد أنها لا تؤثر بطبعها ولا بقوة جعلها الله فيها، وزعم أن التلازم بينها وبين مسبباتها أمر عادي يصح فيه التخلف، فهذا هو المؤمن المحقق الإيمان، الذي ينجو بفضل الله تعالى من مهالك الدنيا والآخرة]. واستشهد بالحاشية بما قاله الإمام إبراهيم البيجوري (الناس في هذه المسألة وهي مسألة التأثير أربعة فرق: الأولى: تعتقد أن النار أو السكين مثلا تؤثر بطبعها وذاتها وهذه الفرقة لا نزاع في كفرها. والثانية: تعتقد أن النار أو السكين مثلا تؤثر بقوة جعلها الله فيها، وهذه الفرقة اختلف في كفرها والأصح عدم الكفر كما قيل في المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة أودعها الله فيه.)

فهذه الصورة للمنشأ الفكري يا أستاذنا الدكتور بهجت بدون رتوش.

وهناك تفصيلات تدهش العقول في لوازم هذه القضايا.

إذن يجب عندهم أن نقول بانعدام السببية وإلا فإن الله يفقد استغناؤه ويكون محتاجاً.

ويجب أن نقول بصحة وجود النقيضين وإلا فإن الله يفقد قدرته على فعل المستحيل، (هذه لا يصرحون بها لفظياً، ولكنها عملياً هي الأساس للفكر السلطاني، وهم يكتنون لذلك بطرق ملتوية مثل قولهم بعدم المنع من توقف الدليل على نفسه كقولهم بان دليل صحة الشرع هو

الشرع نفسه، وهذا قطعاً يؤدي إلى التناقض ولكنه غير مهم، مثل جواز النقص على الله لأنه قادر عليه وهذا قطعاً يؤدي إلى اجتماع النقيضين، وهناك مئات الشواهد على عدم الإلتزام بمنع اجتماع النقيضين عندهم، وقد اعترف بعض الكتاب بأن بعض الأغبياء قالوا بأن عدم تعلق إرادة الله بالمستحيل هي تقص لقدرة الله فقال: لا يقال: يلزم من عدم تعلقهما بالواجبات والمستحيلات نسبة العجز إلى الله تعالى لقصور قدرته وإرادته عن التعلق بهما، لأننا نقول: لا عجز ولا قصور، وإن توهمهما بعض الأغبياء من المبتدعة، وقال الصاوي والبيجوري: (فعدم تعلق القدرة بالواجب والمستحيل ليس بعجز، بخلاف عدم تعلقهما بالممكن.

وأما قول الإمام الغزالي "ليس بالإمكان أبدع مما كان" فقد استشكلوه قديماً لإيهامه العجز وهو عليه محال، وأجيب عنه بأجوبة منها؛ أن المراد بالإمكان إمكان الخلائق فالمعنى ليس في إمكان الخلائق تغيير ما أراه الله وأبدعه. ومنها أن المراد إمكان الله تعالى باعتبار تعلق علمه أولاً، وتعلق القدرة بالتنجيزي لا يكون إلا على طبق ما سبق به العلم، وإلا لانقلب العلم جهلاً ومنها أن المراد ليس في الإمكان جعل الحادث قديماً. (الصاوي)

اعترض البقاعي على الغزالي في قوله: ليس في الإمكان أبدع مما كان بأنه نسبة العجز إليه تعالى، لكن أجيب بأن المراد أنه لا يمكن أن يوجد أبدع من هذا العالم لعدم تعلق قدرة الله وإرادته بإيجاده، ولو شاء الله تعالى لأوجد أبدع منه، فليس في كلامه ما يقتضي نسبة العجز إليه تعالى كما توهمه البقاعي فاعترض عليه (البيجوري).

حسب نقل سعيد فودة ولكن العجيب أن سعيد نفسه يقول بحصول المستحيل في الكون بل في صفات الله كقوله بارتفاع النقيضين فقال بأشياء كثيرة أنها (لا وجود ولا عدم) مثل

الحال والصفات النفسية، والبحث في ذلك طويل وشائك فانك تجده منفيًا في مكان مثبتًا في
آخ

فماذا يبقى من العقل والدين بعد التساهل في أحكام النقيضين والجزم في نفي السببية؟

وإذا كان الحساب والعقاب بلا ضوابط فلماذا نعبد ونتعبد؟

ومن أعجب العجب أن يستدلوا على نفي السببية بأشياء مثل عدم حرق النار لإبراهيم عليه السلام، متغافلين عن أن الأسباب لا تتصف بالعامل الواحد، وإنما هناك ظروف محيطية بالتأثير كما هي ظروف التفاعل في الكيمياء فإذا فقد شرط التأثير أو ظرفه انتفى التفاعل وهذا نفسه جزء من السببية، وقد تغافلوا أن السبب لا يكتمل إلا بوجود شروطه من مقتضي وعدم مانع وفاعل ومنفعل وغيرها من شروط السببية، فهم يستدلون بعدم إحراق إبراهيم لأنهم يعتقدون أنه لو كانت النار سببًا للإحراق لما تمكن الله من نجاته من الإحراق، وهذا من أعجب العجب! فهم يعتقدون بأن السبب لو كان موجودًا لكان الله غير قادر على تغييره وكأنهم لا يعلمون أن الأسباب هي بيد الله وظروفها بيد الله.

فهذا واقع الاختلاف المنهجي الخطير، وليس مجرد اختلاف بين نصويين وعقليين، فالتصنيف غير دقيق، وقد عرضنا أن العقليين الشيعة يقولون أن النص إذا ورد فلا مجال للتحايل عليه، ومن يدعي النصوية والتقيد بالشرع ورفض العقل يقول: أن النص خاضع لكل ما يمكن إبطال مفعوله، وخاضع للاجتهاد مقابله، ويبرر كل اجتهاد مقابل نص صريح، وأن الإنسان يستطيع إدراك أسرار التشريع بل إدراك نفس التشريع فيستطيع أن يشرع مثل الله بل إن الله يعتبر حكم هذا الحاكم صحيحاً، وله أجر على خطئه حتى لو خالف أمره تعالى، لأنه مصيب في كل حال.

هذه الفروق التشريعية والعقائدية خطيرة جداً الآن.

فلو أردنا أن نفتح ملف العقل والنقل في التشريع فلا بد من فتح هذه الملفات الخطيرة، من أجل أن نصل إلى قواسم مشتركة بيننا من أجل التفاهم حول الفتوى وكيفية صدورها والآليات الصحيحة التي يجب الاعتناء بها.

فمن سيتنازل يا دكتور؟

نحن بالنسبة لنا لن نستطيع أن نتنازل من أجل عيون الحكام ومقلديهم الذين يريدون استسهال قتل المسلمين وإحكام القبضة عليهم.

فلا نستطيع أن نلغي عقولنا ولا نستطيع أن نسمح بالتدخل في التشريع باسم الاجتهاد، ونعتدي على الله وعلى النصوص المقدسة التي تخلو في الحقيقة من كل هذه الترهات.

بالنسبة للآخرين لا يستطيعون التنازل عن مبادئهم لأنها تعطيهم مرونة سياسية وإدارية لإدارة الناس والعقول، خارج قيود الدين.

ولا مشكلة عندهم أن ينقلبوا على مبادئهم، ولكن لا ينقلبون على نظرية إمكانية الانقلاب نفسه.

فقد رأينا أنهم جميعاً يستنكرون رضاع الكبير الآن بينما هذا مما يصرحون به أنه دين وأنه اجتهاد السيدة عائشة مقابل شرع الله ونصوصه الصريحة، وهو مقبول، وهو تشريع، وقد رأينا أنهم الآن يشتمون من يقول بطهارة بول الرسول بينما في بحوثهم جميعاً حين يتعرضون لرواية شرب بول الرسول من قبل أم أيمن الحبشية فيمدحونها ويثنون عليها ويعتبرونها دالة على الطهارة لعدم اعتراض الرسول بل مدحها كما يقولون.

وكل فتوى من هذه الفتاوى المشتومة صحيحة معتبرة عندهم، ويوجد من يقول بها قطعاً، ولكن لو طرحت على العامة ثم استنكرها الناس، فسيقولون فوراً أنها باطلة ويطردون قائلها من الجامعة، ويتم براءة الإسلام من هذه الفتوى، والحمد لله على السلامة.

الفتوى يجب أن تصدر ممن بذل الوسع بحجة مع الله، ليعلم ما به براءة الذمة أمام الله، وهذا يحتاج إلى آليات عقلية ودينية يجب أن تتوفر في الفقيه وفقهه وأصول فقهه والمركز العقائدي لفقيهه، وهي لا يمكن مطلقاً توفرها حين يرتبط الدين بالدولة، ويكون مرتبطاً بمصالح محلية أو إقليمية، وإنما يجب أن تتوفر له أجواء بعيدة عن السلطة ليكون بعيداً عن التأثير غير الديني على الأفكار.

فأنت ترى أن الشيعة حينما تكونت لهم دول فقد كانت مرجعيتهم خارج دولهم نفسها، ففي العصور المتأخرة أي منذ ٦٠٠ سنة تقريباً فإن إيران الدولة الشيعية لم تكن مرجعيتها داخلها وإنما كانت بين النجف وكربلاء في بلاد الدولة العثمانية المناوئة. وكل ذلك للابتعاد عن التأثير السلطاني على الحكم الفقهي، ونحن نعلم أنه متى ما وقع الفقهاء تحت تأثير الدولة انحرف فقهم إلى التبرير وهذا لا يمكن أن يكون ديناً حقيقياً.

وهنا يجب أن نقول حقيقة مهمة جداً مرتبطة بنظرية التصويب والتخطئة، وهي بحسب طريقتنا في التخطئة فإن فتوى المجتهد الشيعي لا تعبر عن الإسلام، وإنما تعبر عن طريقة المجتهد للعدز أمام الله.

ولهذا فمن وجهة نظرنا العلمية والدينية لا يمكننا اعتبار رأي أي عالم شيعي هو الإسلام ولا هو المذهب، الذي يحاسب عليه الإسلام أو المذهب، حتى لو كان رأيه له الكثير من الأنصار، لاحتقال نقل القناعات بين العلماء، ولكن سرعان ما تظهر تحقيقات أعمق، فمثلاً

أنا شخصياً أجريت تحقيقاً على موضوع الرق وجدت الكثير من فقهاءنا يغفلون عن حقيقة مهمة، وهي: أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يبق الرق عملياً فحتى حين يأتيه أسرى فقد كانوا يتحررون بطريقة سهلة، فأنت ترى أسرى قريش لم يبق منهم أحد عبداً، ولم يأخذ أمة، وأسرى اليهود أو العرب لم يبق منهم أسير عبد مع كثرتهم، والنساء يتزوج بهن المسلمون ولم يبقين كإماء إلا من رفضت التحرير كريحانة بنت شمعون التي رفضت التحرير.

وهذه الحقيقة التاريخية تجعلنا نعيد النظر في الفقه السلطاني المتعلق بالرق، فإن من أصبح رقاً في الإسلام في بداية الحكم النبوي إنما هم الرقيق من حروب غير المسلمين، ويتم بيعهم للمسلمين فما أن يصلوا للمجتمع الإسلامي إلا وينخرطوا بالمجتمع ويتحررون بل يكون لهم مكانة في المجتمع فيكونون العلماء والحكام في الولايات والقادة للجيش.

ولهذا نجد في الواقع الإسلامي تساهلاً في مفهوم الرق باعتباره مرحلة عابرة حتى أصبح في العرف الإسلامي لا يفرق بين المكاتب العشرية والاسترقاق فتجد الكثير من الأعاجم يتكاثرون مع العشائر العربية فيقال عن الواحد منهم (مولاهم) وهم (الموالي)، وقد تجد تسمية الجيوش التي يستدعيها السلطان لحمايته من الأعاجم فيسمون الموالي باعتبار أن السلطان أعطاهم صفة عشيرته. وليس استرقاقهم.

ولكن لا شك بوجود انحراف عن الخط الذي سار عليه الرسول صلى الله عليه وآله عملياً وفق تطبيق الحكام المسلمين لهذه الظاهرة، فقد تهادى المسلمون بقبول الجواري والغلمان المسروقين من أوروبا، والمدربين في روسيا في العهد الأموي والعباسي وما بعده.

وما يفعله الفقهاء من معالجة النصوص إنما هو لتنظيم علاقاتهم وفق الشرع، لا تكريس عملية الاسترقاق نفسها وتركيز عملية الرق، كما يحاول أن يوحي الكثير ممن ينظر بخبث إلى الفقه الإسلامي، وخير دليل فإن المجتمع الإسلامي لم تحدث فيه ثورة لتحرير الرقيق كما حدث في أمريكا وأوروبا بالقوانين وغير ذلك، ولكن أين الرقيق الآن؟ فلا يوجد إلا في دولة أو دولتين متخلفتين في العالم الإسلامي، وأصحابها يستحون من المسلمين أنفسهم، فينفون وجود الرقيق عندهم، مع أن أغلبهم ليسوا رقيقاً بل هم مخطوفون أو مغرر بهم من البلدان الإسلامية وغيرها.

ف نجد سماسرتهم ينشطون في كل بلد فيها حروب وفوضى فحين الحرب اللبنانية كانوا ناشطين بخطف البنات والأولاد وحين حدثت الحوادث في الصومال نشطوا في سرقة الأطفال وفي أفغانستان وفي العراق وفي الهند وغيرها كثير، وقد اكتشفت خيوط لمجموعات ساقطة من السماسرة التي تشتري من المجرمين الخاطفين لتبييعها إلى هذه الدول العربية الإسلامية الخجولة التي لا تعلن هذه الإنجازات بإيواء المسروقين والعبث بهم باسم الرق في الإسلام.

هذا الحال من اختفاء ظاهرة الرق - إلا عند جواسيس الكفار - يعد أهم سلوك عملي للقضاء على الرق رغم الاعتراف بقوانينه كحالة قانونية عالمية سابقاً. والفقهاء إنما يحرص على تنظيم علاقة الرق إن وجدت، وهذا عمل مشروع ولازم حتى لا يفقد المجتمع حقوقه، ولا يفقد الرقيق كفالته وإيوائه بعد حدوث هذه الكارثة عليه. وليس ببعيد عنا حين تمرد الرقيق في الغرب بعد نفي الكفالة والإيواء عنهم بلا شروط قانونية ثم عمدوا إلى إصلاح ذلك بوجود كفالة الدولة لهم.

فالفقيه وفق المنهج الشيعي حين تتجمع عنده خيوط المعلومات يزداد وعياً بالحدث، ولكنه لا يعبر عن نفس الإسلام الذي هو حكم الله، وإنما الإسلام محفوظ، والفقيه يعبر عن رؤاه للإسلام، ونحن جميعاً نحاول الوصول إليه بما يبعد عنا المسؤولية الجرمية أمام الله (براءة الذمة أمام الله)، وهذا هو دور الفقيه الشيعي بالضبط بالنسبة للتعبير عن الإسلام، واعتقد أن هذا المفهوم غير موجود بهذه الصورة عند فقهاء السلطان، بل هو كارثة حقيقية بالنسبة لهم لأنهم هم الإسلام كما يعتقدون.

فدعوتك للتفاهم بين السنة والشيعية جيدة جداً، ولكنك لم تدرك حجم القضية ومشكلتها وعمقها.

وبالنسبة لنا فنحن نقبل أي تفاهم ولكن بقاسم مشترك هو العمل وفق قواعد براءة الذمة عقلاً لرفع الآثار السلبية للمسؤولية الشرعية على عاتق الفقيه.

ولهذا أرى اقتراحك جيداً للتفاهم حول أصول الفتيا، ولكنه غير عملي للأسف لأن المسألة تتعدى الشكليات، حيث لا مصلحة لفقهاء السلطان بالتقارب مع الشيعة ولا مجال عند الشيعي لأن يتنازل عن قداسة العقل ولا أن يتنازل عن تقرير العقل لحدود قابلياته نفسه. فالوثوق به ومحدوديته من المسلمات عند الشيعي، وهذا يخالف عدم الوثوق به مطلقاً مع عدم محدوديته وتفعيله في الفقه والاعتماد على ما لا يحكم به في الحقيقة كما يذهب إليه الجانب غير الشيعي.

الهجوم على الأزهر داخلياً: التوقيت والأسباب

هل الهجوم على هذه الفتاوى في مصر هي انحراف أم تصحيح؟*

جوابي بشكل أولي: أن هذه الهجمة ليس المقصود بها فتاوى هؤلاء العلماء في جامع الأزهر وإنما هي الهجوم على الجامع الأزهر وتبنيه لمحاربة التكفير والقتل، فهي هجمة معاكسة لإيقاف هجمة علمية عملية دفاعية، على كل ما يجري في العالم الإسلامي من دمار بواسطة الفتاوى المغرضة.

وشرح ذلك باختصار:

كلنا يعلم بتنبه العلماء المسلمين وبعض الدول الإسلامية أخيراً إلى خطورة موجة الفتاوى التكفيرية والجهادية والانتحارية في المسلمين، وتحريم الانتحار باليهود المغتصبين، فقد انتشرت هذه الفتاوى وأدت إلى خلخلة حقيقية ودمار هائل في المجتمع الإسلامي وإلى زعزعة مفهوم الإسلام في قلوب عامة المسلمين ممن لا ناقة له ولا جمل في الدين والفتاوى والدراسات الإسلامية.

وقد عقدت ندوات ومؤتمرات لدراسة ظاهرة إفتاء من أطال لحيته وقصر ثوبه وأمر أتباعه بقتل المسلمين قربة إلى الله.

* نُشر هذا الموضوع في عام ٢٠٠٧

هذه المحاربة بدأت تتبلور في فكرة أساسية تتعلق بأهلية الفتوى من جهة وبصحة الفتوى ومطابقتها للأصول العلمية من جهة ثانية، وقد وجد العلماء بمختلف مذاهبهم أن فتاوى قتل المسلمين على الهوية - أو بدون هوية باعتبار كل من خالف المفتي يجب قتله - هي فتوى لا تستند إلى شروط الصحة في المفتي ولا للشروط في الفتوى ولا تنتمي للفكر الإسلامي بكل أطيافه حسب ما يعلن من جميع المجتمعين في المؤتمرات - رغم تحفظنا على المبالغة في نفي ذلك مذهبياً فإن مذاهب ممثلة في المؤتمرات فتني بصراحة بوجود قتل مخالفيها لأن مخالفيها يقولون أنهم ضالون لا ينجون يوم القيامة وهذا القول يجب القتل عليه، وهذا يختلف عن القول بعدم نجاة مخالفيهم في الآخرة.

إن ظاهرة وعي ما يحدث من خرق أمني في جسد الإسلام باسم الفتوى الشرعية، أصبحت ذات بعد حركي في المجتمع الإسلامي، بمعنى أن الدائرة الثقافية الإسلامية بدأت تعمل وفق هذا الوعي لإيقاف هذه النزعة لاستسهال الفتوى بالدماء والحقوق بلا أي مستند شرعي.

ويجب علينا أن لا نستبعد أن تكون هجمة الفتاوى غير نابعة من إرادة إسلامية، وإنما هي إرادة خارجية مدعومة لها هدف معين، لا يخفى على أي متعقل لمعنى تكوين القوة.

وما يحدث بالفعل من تأخر في مسيرة المسلمين في كل نواحي حياتهم، يدل على أن هذه الهجمة لن تكون نابعة من مصلحة المسلمين، وإنما هي نابعة من تعطيل مصالح المسلمين، وعند هذا يمكن أن نسأل عن المستفيد من ذلك؟

ولكن عملياً، نحن نواجه حالة إسلامية فهناك مسلم يطيل لحيته ويصلي في أوائل الأوقات المحددة ويلتزم الجامع، وفي نفس الوقت يعمل ليل نهار على تغذية الخلل الأمني في بلاد

المسلمين، بدعوى الجهاد ضد المسلمين، واعتباره هو الجهاد الحقيقي ضد الكافرين، ولا يوجد وراء عبادان قرية، كما يقول المثل العربي القديم، أي لا يصل الجهاد إلى الكفار فعلاً.

فبدأ التصدي لهذه الحالة من جميع الجهات الإسلامية، وكان الحظ الأوفر هو لمشيخة الجامع الأزهر في مصر من الناحية السنية. لأن القائمين على فتاوى جهاد المسلمين وقتلهم، يدعون أنهم ينتسبون لأهل السنة، فكان دور الجامع الأزهر في الشجاعة للتصدي لهذه الفتاوى، وإصدار فتوى رهيبة مضادة لهؤلاء باعتبارهم أهل حرابة يجب قتلهم فوراً، وهذا التوجه من الجامع الأزهر قد يضعف هذه الحملة المدمرة للمجامعات الإسلامية ويمنع حدوث الكارثة التي يريدونها.

وكان الجامع الأزهر ممثلاً في أغلب هيئاته قد أفتى بشكل واضح برفض الصلاحية لهؤلاء المفتين، ومن يعتقد أن له الصلاحية لكبر سنة وغير ذلك كابن جبرين وغيره من القتلة التكفيريين، يجرّد من هذه الصلاحية باعتباره يدعو إلى تكوين عصابات الحرابة المنوعة شرعاً، والمأمورين بالقضاء عليها بمجرد ثبوت التهمة عليهم وعدم إمهالهم لأي استئناف، وذلك هو حكم المفسدين في الأرض في القرآن.

وموقف الأزهر ومؤيديه صحيح جداً، وهو مطابق للأصول الأصيلة للفقهاء وللنصوص الإسلامية، فحكم المحارب والمخيف للمسلمين هو القتل فوراً وهذا لا تساهل فيه.

وقد قام علماء الأزهر بحملة مشكورة لبيان هذا الحكم للناس وعلى مقدمة ذلك الشيخ سيد طنطاوي والشيخ علي جمعة حفظهما الله.

فهنا يجب فهم الحركة ضد فتاوى أزهريّة لكسر سمعة الأزهر، وتدميره داخلياً.

إنها عملية إيقاف تام للتصحيح الذي يقوم به الأزهر الشريف.

وإلا فبريك ما الذي ذكر (المخلصين جداً) بمسألة مفبركة على الشيخ علي جمعة قالها قبل

سبع سنين؟

وما قيمة القول أو عدم القول بطهارة بول الرسول عملياً؟ مقابل دعوة الشيخ علي جمعة للإعتدال ونبذ العنف والوقوف في وجه المحاربين المخيفين للمسلمين الذين يجيزون تفجير المسلمين وتدمير مجتمعهم؟ وفتواه الشهيرة كما أفتى الشيخ سيد طنطاوي.

إنها قصص مفبركة قطعاً، وقد انساق لها الصحفيون باعتبارها قضايا مثيرة مدرة للريح وبعضهم مكلف بذلك بحسب وظيفته.

فالقول برضاع الكبير لم يتبناه الأزهر سابقاً ولا لاحقاً، وإنما تبنته الحركة السلفية القائلة بوجود قتل المسلمين، والتي فرخت لنا مفتين بلا أهلية، وقد حارب الأزهر هذا النوع من فتاواها، وكان قادة هذه الحركة ولا زالوا يردون على كل من ينتقد حكم السيد عائشة في رضاع الكبير، بغضب وعصبية طيلة مئات الأعوام ولقيام الساعة.

فلماذا أثيرت هذه المسألة الآن من قبل رجل يحمل المنهج والطريقة السلفية في الفهم داخل الأزهر، فيعتبرونه هو الأزهر نفسه، بينما هو من خارجه في الولاء حقيقة، وهو أقرب إلى تفكير الألباني السلفي، فلماذا هذا التحريك من الداخل والهجمة التسخيفية والتسقيطية للأزهر الشريف من الخارج؟

لماذا لم نر الحركة السلفية تناصر هذا السلفي داخل الأزهر؟ لتعلن حقيقة ما يؤمنون بأن هذا الحكم إسلامي وصحيح ولا يجوز نقضه ويبينون معتقدهم؟ كما يقولون هم، وهذه

فتاواهم السابقة وأحاديثهم التي لا تخلو من خبال في الموضوع، كقول الألباني أن الرضاع من ثدي المرأة مباشرة لا يثير الشهوة، ودفاعه المستميت عن الحديث الصحيح عنده.

هل عدم نصره فتوى وهابية سلفية من قبل الوهابية وترك الأزهر يواجه التسقيط عملية عشوائية لقول لم يقله هو وإنما قاله سلفي في داخل الأزهر؟

هل هناك سبب غير إيقاف طلب الإصلاح في المسلمين؟

هل هناك سبب لغير الاستمرار في الفتاوى القاتلة؟ لأن أقوى من يقف ضدها قد استسحقه الناس وهو الأزهر الشريف؟

هذا ما يجب أن نعيه ونعي أن المعركة الخفية أكبر مما يظهر لنا على السطح، فلا يجب أن نفرحنا نقطة سقوط مدعاة لهيئة تسير سيراً صحيحاً لإصلاح فساد خطير يواجه المجتمع الإسلامي، أنها خديعة واضحة لمن يجمع خيوط القضية.

فالشيخ علي جمعة مثلاً مقر له أنه تجتمع فيه صفات المفتي وفق أصول المذهب السني الشافعي في مصر، فهل يقاس هذا (لو عثر عثرة فقهية مدعاة) بمن يقوم بدفع المسلمين لقتل بعضهم؟

إن الهجوم عليه وكأنه واحد من دعاة الفتاوى بلا ضوابط والاستهزاء به على أنه بلا ضوابط فقهية، مرفوض كلياً لأنه غير حقيقي ولا يمثل الواقع، ولا يمكن تشبيهه بهؤلاء الصبيان في الجوامع الذين يفتون الناس بغير علم ولا دين، وإنما يستلمون فتاوى جاهزة وكلمات

جاهزة للتغطية على الفتاوى، يعرضونها كأدلة ملقنة، وهي لا تشبه الأدلة، وليست منها، وليست على علاقة بموضوع الحكم مطلقاً.

حينما يصبح العالم الإسلامي لا يفرّق بين المفتي الشيخ علي جمعة وبين دعاة التكفير الذين تحرك ضدّهم الأزهر الشريف وكل عقلاء المسلمين، فإن العالم الإسلامي قد فقد آخر ما عنده من التمييز.

وكل الهجمات على الأزهر من دعوى أنه خالف في الفقه، فهذا غير صحيح من جهة مذهبية وفقهية وفق الفقه الشافعي، وهو غير مهم وغير منظور في الإسلام اليوم مقابل ما يقوم به الأزهر ضد الحملة التسقيطية للإسلام.

وقد أضعفت هذه الحملة دور الأزهر كمنقذ للفكر السني من براثن الإرهاب باسم المذاهب السنية، بينما نُسي أصل الموضوع وهو دور الفتاوى في تدمير الكيان الإسلامي.

فهل هناك عاقل يقول بأن فتوى طهارة بول الرسول يمكن ان تدمر العالم الإسلامي الواقعي؟ بينما السلامة في فتاوى قتل جميع المسلمين بما فيهم القتلة أنفسهم (فقد أجازوا لأنفسهم قتل أنفسهم قرابة إلى الله، فلا يبقى مسلم إطلاقاً).

فهل هذه الفتاوى القاتلة هي بنفس مستوى فتوى طهارة بول الرسول صلى الله عليه وآله من الخطورة على الكيان الإسلامي؟

النظر الأولي يدل على ان القضية لعبة صغيرة انساق لها الناس بدون شعور منهم، وبجهل بما يجري في حقيقة المعركة الحضارية، وقد ساهم عوام المسلمين على انتصار من يريد

تدمير الإسلام من الداخل بدل الستر والانصراف الى قضية قتل المسلمين وخطورتها على المجتمع الإسلامي.

ومن الشبهات التي يجب أن نفكر بها في هذا الموضوع هو أن مصدر هذه الفتاوى وهم السلفية قد خنسوا وسكتوا وكأنما الأمر لا يعنيهم!

بل مظاهر الفرحة في كتابهم المؤيدين لهم واضحة بين سطور كلامهم.

إن الشعب المصري والمثقفين المصريين اخطئوا في معالجة موضوع الفتاوى، ولم يفرقوا بين فتوى وفتوى. من ناحية علمية ودينية.

إن رضاع الكبير لا يقول به المذهب الشافعي ولا بقية المذاهب إلا في شواذ آرائهم، وإنما يقول به السلفية، ومن نطق بهذه الفتوى إنما يمثل نفس الفتاوى القاتلة للمسلمين فإن من يجيز قتل المسلم يمكنه أن يجيز هتك عرضه قربة إلى الله ولا يكتفي بمص الثدي كما يطلب الألباني علناً.

يجب علينا كمسلمين عقلاء أن نفرّق بين الخلاف العلمي بيننا كمذاهب إسلامية، وبين أن نسمح للمؤامرات لإيقاف الإصلاح وتدمير المصلحين.

ولو سمع مني الأخوة السنة في مصر وغيرها، فإنه يجب رد الاعتبار للشيخ علي جمعة وللشيخ سيد طنطاوي والوقوف معهم ضد تدمير العالم الإسلامي من الداخل، وأما ما لا يفهمه المسلم من فتوى، يمكنه أن يستوضح أصلها من الفقهاء، فإذا لم يقتنع بها فيمكنه تقليد غير مذهبه من المذاهب الإسلامية التي توافق هواه - هذا إذا كانوا يريدون الدين على الهوى أو ما يسمونه العقل والتذوق العقلي - وأما إذا كانوا يجيدون الدليل فيمكنهم اللجوء

في المسائل الخلافية إلى أقوى الأدلة في مذاهب المسلمين المعترف بها في الأزهر الشريف ممن يجزي التعبد بها وهي المذاهب الستة كما يصرّح الأزهر.

وشكراً للدكتور الحلواني حفظه الله وأتمنى أن ينظر فيما قلته ونقلته بعين العقل والفهم لمصيبة الإسلام باللعب السياسي الذي دمر كل شيء في حياة المسلمين حيث انتفى العدل وحل الجور بدله وانتفى الدين وحل بدله حكم الخبثاء.

الفرق بين السلفيين والإخوان والعلاقة مع إيران

بالنسبة للفرق بين الإخوان والسلفيين فإن الكثير من السياسيين يعتقدون أن السلفيين أفضل لأنهم يتمسكون بالسلطان والسلطان يمكن التفاهم معه بينما الإخوان متمردون على السلطان بخلاف الفقه السني، فهو تمرد على التسنن معروف ومشهور. وفي الحقيقة رأينا شيئاً غريباً وهو أن المجموعتين حينما تنتقل إلى العمل الجهادي خارج حدود سلطانهم يتصرفون بوحشية على حد سواء وتتحد ثقافتهم وإدارتهم، فإن القاعدة ليست سلفية وإنما هي إخوانية أمريكية، ولكنهم فعلوا أكثر مما يصدر من السلفيين، وبنفس الوقت فإن السلفيين كان خير مصدر لهم بالتبرع ورفدهم بالرجال وقبول تثقيف شبابهم بثقافة الخروج على السلطان (الخوارج) فلا تعرف الفرق بين السلفي والقاعدي أبداً حينما يكون في منطقة خارج سلطة السلطان، وهذا يعني أن هؤلاء حينما يتحكمون هم بالحكم فلا فرق بينهم، بينما حينما يكونوا تحت سلطان معين، يختلف أمرهم، فإن السلفيين يتبعون السلطان لأنه جزء من دينهم، وأما الإخوان فإن دعوتهم هي تكفير الناس والباطنين ووجوب القيام عليهم ولا نعلم نظرهم في سلطان إخواني يخرج عن إرادتهم فهل يجدون نظرية يمكن أن تدرجه في الكفر وجاهلية القرن العشرين كما يسمونه؟

سألني مدير مكتب مجلة دير شبيغل الألمانية في أحد العواصم العربية هذا السؤال: هل كنتم تتوقعون هذا السلوك من الإخوان في مصر؟ وهل كنتم تتوقعون سقوطهم، فأجبت: بأنهم خالفوا ظننا بهم وتأخروا كثيراً لإقناع الناس بنهجهم السيء، ورويت له قصة حقيقية وهي أن الملك حسين بن طلال فجأة نزل عليه الوحي الأمريكي بأن يحسن إلى

الإخوان بدل أن يسجنهم، فاستوزرهم وأعطاهم أول وزارة وهي وزارة الصحة، فقام الوزير بأول قرار له في الوزارة بالفصل بين الرجال والنساء في جميع الدوائر التابعة للوزارة فعطل عمل الوزارة، فخرج الأطباء مظاهرة وإضراب عن العمل وطالب الشعب بطرده من الوزارة، ولم يبق أسبوعين فقد كان عمل الملك حسين هو إطلاع شعبه على حقيقة هؤلاء وجهلهم بحاجات الناس.

فإن ما قام به مرسي هو ملاحظة مع الناس وعدم إظهار ما ينوونه فعلاً وتأخر في اظهار الفضائح.

أما إيران فنظرها مختلف عما ننظر إليه، لأن إيران دولة تؤمن بالفكر الاستراتيجي في بناء كيانهم، وهذا يتفق عليه غالبية الشعب فضلاً عن الحكام، وهو يحتم على الحاكم الإيراني تحديد المصالح والمسارات التي يريدتها، وبما أن إيران تقودها قيادة تؤمن بالتقارب مع المسلمين عموماً ولو بالسكوت عن بعض المبادئ إيماناً منهم بأن السكوت لا يضرهم وهو يهدئ الخواطر ضد التخويف منهم، فإن الأولوية عندهم الاتفاق مع الإسلاميين حتى لو كانوا عملاء في الواقع، وهذه الـ"حتى" إنما هي يقين عندهم وليس مجرد فرض، لكن نظرهم يقول بأننا دولة إسلامية ترفع لواء الإسلام فإن اتفقتنا هي مع الإسلاميين مهما كانوا ما داموا مصبغين بهذه الصبغة، ولكن بما أن هؤلاء يتبعون جهتين متداخلين الأولى هي أمريكا والثانية هي الحكام الطائفيين فإنهم لا يستطيعون الاتفاق مع إيران ما لم تقبل أمريكا والحكام الطائفيين وكلاهما تتعلق إرادته بعدم الممانعة الإسرائيلية، فلو أن إيران اتفقت مع هذه الحركات أو بعضها فيعني أن سهم إيران في أمريكا صاعد ولا علاقة للأمر بهؤلاء بالفعل، مثلاً إن إيران دعمت مرسي بل ساندته في حملته للفوز وكان فوزه يعود لتحرك إيران وحزب الله في مصر بما لا يعرفه الناس ولا يستطيع الكلام أكثر من هذا،

وحين زار مرسي إيران أهان الإيرانيين وأظهر دعوة طائفية مناقضة لمبادئ الإخوان المعلنة مع أخذه معونات ودعم من الإيرانيين، ثم تبين لإيران بعد سقوط مرسي بأربعة شهور أو أكثر بأن مهمة مرسي الأساسية هي فصل حماس عن الذراع الإيراني في المتوسط، وهذا يعني أن مرسي عمل ضد الاستراتيجية الإيرانية، ولهذا دارت نقاشات حادة مع الإخوان ومع حماس وتبدل الموقف الإيراني، فأصبح المجاهدون الفلسطينيون هم حركة الجهاد الإسلامي وأصبحت امكانياتهم عشرة أضعاف امكانيات حماس بين عشية وضحاها، فلم يبالوا حينما دخلوا حرباً مع إسرائيل قبل شهر بإسرائيل ولا بإعاقة حماس لجهادهم بل الغريب الذي لم يلتفت إليه الناس أن إسرائيل هي من أوقف الهجوم حينما رأت الاستعداد الغريب فإن الجهاد أطلقت ٤٥٠ صاورحاً خلال ثلاثة أيام بمعدل ١٥٠ صاورحاً في اليوم وصرح قائد الأركان الإيراني بأن بإمكان الجهاد أن تطلق عشرة أضعاف العدد يومياً، فحسبت إسرائيل أنها في مرحلة انكشاف حقيقية فكعت وامتنعت وطلبت الهدنة وعملتها والتزمت بها وأخذت تحرك أفراد حماس المخترقين للدخول في صراعات مسلحة داخلية مع الجهاد.

فإذن إيران أجابت الإخوان جواباً صريحاً أن من يضرب استراتيجيتنا نجد بديله بسرعة ولا يهمننا أن يخسر ساحته وناسه لأنه خسر المعلن من مبادئه.

أما قطر الداعمة للإخوان فحاكمها تارة يقول أنه سلفي وأنه اقرب لمحمد بن عبد الوهاب من آل سعود وتارة يقول بأنه راعي الإخوان وأنه إخواني ١٠٠ بال ١٠٠، والحقيقة أنه موظف برتبة مدير للحركات من قبل الأمريكان وحين وجد أن وجوده أصبح مهدداً نتيجة فشل مشاريعه بسبب التهديد الإيراني حين كشفت إيران حركة الانقلاب التي تدير قطر وطلب من الأمريكان عدم التدخل في أخذ أمير قطر وحكومته جميعاً من بيوتهم، وبسبب

التحالف الإيراني الروسي الصيني في المواجهة الإقليمية، وأن أغلب ما يجري في المنطقة هو بتقنيـع إيراني، فقد وصل به الفشل إلى أن يجر إلى عتبة إيران طائئاً، فاختار أن يسلم كل الملفات إلى إيران وسلمها بالفعل فأراد السعوديون الانتقام منه لأنه دمر مشروعهم، ولكن إيران أفنعت السعودية عبر سلطنة عمان أن هذا الضغط على قطر سوف يؤدي إلى مواجهة بيننا لأننا اتفقنا مع قطر على حفظ كرسيتها فلا يجوز معاقبتها للاقتراب منا ويجب عليكم أن تقتربوا أنتم، وحين زار الرئيس الأمريكي السعودية طلب منهم التوافق مع إيران لكن السعودية طلبت رفع مستوى التقابل مع إيران بإحراز فوز في سوريا وفي بعض الأماكن حتى لا يكون لإيران اليد العليا الكلية ووافق الرئيس الأمريكي لهذا الطلب ولكن سعيه لم ولن يكتمل. وأما تركيا فقد عقد اردوغان عقداً سياسياً مع إيران على أن ينسحب من الساحة السورية وأن ينهج نهجا تصالحياً في الاقليم ويترك التدخل في العراق. ولكنه قام بمعركة كسب مما أوحى بمخالفة بنود الاتفاق، ولا نعلم ما هو التبرير الذي بعثه للإيرانيين وهل قبل الإيرانيون ذلك؟ أم حسبوها نقطة مخالفة؟

فلسياسة الإيرانية الآن هي الاحتواء المزدوج للسلفيين وللإخوان، وأن لا مجال لسلامة العالم من الدمار إلا المسالمة والتفاهم على المصالح وترك التحريض السياسي بكل اشكاله الطائفي والقومي والعريقي والاقليمي، لأن إيران مستعدة للحرب باعتبار تجربتها بشن حرب عليها أطول من الحرب العالمية الثانية زمنًا وبقدرها تفجيرًا وأما المواد المتفجرة فبقدرها مرتين أو ثلاثة، فلا يمكن الآن أن يخدع الإيراني في المنطقة لأنه يعرف توجهات الجميع وهو يريد لجم هذه التوجهات وإلا فسيقتدهم توازنهم، وقد أثبتت إيران قدرة مهولة في الميدان حيث المواجهة الآن في سوريا بين التكتيكات الإسرائيلية المدعومة غربياً وبين التكتيكات الإيرانية ودائما تهزم التكتيكات الإسرائيلية الغربية في الساحة السورية

بشكل ازعج القيادات الغربية بما جعلهم يؤمنون بتطور لا يمكن لجمه إلا بالتقرب إليه وتهدئة هذا الحماس حتى يفتر التطور، واهم ما يهم إيران هو إيقاف غليان المنطقة لأن هذا الغليان والعقوبات الاقتصادية تعرقل التقدم الإيراني نحو العالمية في الإنتاج والعائدات، وهذه هي أحد أهم أسس الأهداف الاستراتيجية الإيرانية، فإيران تقول فعلياً إما التهدئة التي نريد أو تسليط الأذرع الفاعلة التي تعرف كيف تخيف وتزعج بشكل ناعم، إن إيران الآن قادرة على أحد أمرين هما: الأول تجميع المنطقة واستقرارها والثاني هو تفكيك المنطقة وتدميرها، وهذه القدرة محسوبة من قبل جميع القوى الكبرى ولهذا تتعامل معها الآن بحذر شديد، وهو أحد أهم الأسباب لإيقاف الهجوم على سوريا فضلاً عن إيران، فإن ما يصرح به الإسرائيليون من الهجوم على إيران إنما هو للاستهلاك المحلي أو هو الحكم في حال قرار الانتحار الإسرائيلي الجماعي وهذا ما تتمناه كل الشعوب الاسلامية والشعوب الحرة ولكنه آخر أمنيات الإسرائيليين. فالآن لا يمكن أن تقرر إسرائيل التحرش الفعلي بإيران لحين قلب موازين القوى وهذا في المستقبل المنظور غير ممكن إطلاقاً، وإن أكثر ما يخيف الإسرائيليين هو فكرة إيران في المعركة فإن إيران رفضت استخدام المواد الممنوعة في المعركة المستقبلية فلا تريد النووي ولا تريد الكيميائي وهذا يعني أن لديها قدرة نارية وقدرة نقل النار إلى الأماكن المؤثرة وقوة استخبارات تعرف بها غرف نومهم وهذا أمر مرعب لأنه في الحرب أمر قانوني ولا يحاسب عليه الإيرانيون بخلاف استعمال الممنوعات فلا تستطيع إسرائيل ولا الغرب إيقاف التقدم الإيراني في المعركة إذا حدثت، لأن مجلس الأمن سوف لن يستطيع أن يدين إيران فيما لو ضربت وأجابت بأسلحة مسموحة في الحروب، ولن يستطيع أن يتهم إيران باستخدام الأسلحة الممنوعة، وقد أثبتت نجاعة هذه السياسة في سوريا رغم عدم خضوع الحكم السوري للسياسة الإيرانية وإنما هناك تعاون ونصائح لعدم استخدام الممنوعات وقد حاول الغربيون وعملائهم في المنطقة استخدام الممنوعات ونسبتها

لسوريا ولم يثبت ذلك أبداً وكل اللجان التي علمها مجلس الأمن رغم الضغوط على تلك اللجان من أجل الكذب على سوريا أو التكلم بكلام غائم غائم يمكن الاستفادة منه إلا أن جميع المحاولات فشلت وتبين حقيقة الأمر بأنهم هم من يريد زرع الدليل على السوريين ولم يستطيعوا ذلك، مما يعني أن إيران تعمل باستراتيجية تقادي المواجهة مع القانون الدولي من أجل عدم إيجاد ذريعة لاستعمال القوانين الصارمة ضد النظم التي وضعت في مجلس الأمن والتي من شأنها سلب سيادة الوطن كلياً ورهنها بيد ثلة من السفلة، وهذا ذكاء يحسب للإيرانيين بخلاف غياب صدام وجماعته حيث خسر السيادة بقبول وقوعه تحت البند السابع من عقوبات مجلس الأمن.

السؤال المهم في الساحة السياسية: هل تقبل الحركات المرتبطة بأمريكا مثل الإخوان والسلفيين التفاهم مع الإيرانيين في هذا الظرف وهل تقبل هذه الحركات بشرط الإيرانيين الانسحاب من سوريا والعراق ومنطقة الخليج كل إلى بلده مع التجرد عن العمل التخريبي؟

أنا اشك الآن ان تقبل هذه الحركات لأنها تعتمد على الإرادة الإسرائيلية في الحقيقة وهي لازالت ترى وجوب تدمير العالم الاسلامي بهذه الحركات، وثانياً قد فلت الأمر من يدها فقد تكونت قيادات لا تقبل إلا القتال وهي لا تفهم معنى الفعل السياسي وهناك خلاف كبير بين القيادات للحركات فالإخوان لا يستطيعون فرعهم المسمى بالقاعدة بكثير من القضايا وهم يعولون على القرار الأمريكي والتواصل الأمريكي مع القاعدة فهم لا يؤثرون على الظواهري حقيقة (غير أن رسالة ماجد الماجد إلى الظواهري التي عثر عليها قبل كم يوم تدل على أن السعودية لازالت تؤثر على الظواهري بشكل من الأشكال وهذا يحتاج إلى تدقيق ليس بيدنا خيوطه).

فالنتيجة لتساؤلك أخي الكريم أن إيران تريد أن تحتوي الطرفين بدون مانع منها، وهذا الأمر يتوقف على قناعة الأميركيان وحكام الخليج بخسارتهم المعركة ووجوب التسليم لإيران، وأما إخوان مصر فلا أعتقد أن تساعدكم إيران في الوقت الحاضر لقيامهم بنقض الاستراتيجية الإيرانية في سوريا وفي فلسطين، ولأن الأمر في مصر غير واضح، مع أن الجيش المصري يناصر إيران في المعركة الإقليمية بشكل فعال في الوقت الحاضر فلا تقبل إيران التفريط بمصر من أجل جماعة لم يعرفوا كيف يتعاملون مع حلفائهم؟ وأعتقد أن إيران ستتوسط لتخفيف الضغط على الإخوان لأن لقواعد الإخوان صلة بإيران لحد الآن ولو صلة صداقة على أقل تقدير.

الانتخابات والمجتمعات العربية

قبل كل شيء لا يقبل فقهاءنا مفهوم الانتخابات بمعنى التصعيد للشخصيات فقط، وإنما لهم رأي آخر وهو التوكيل أو التفويض في استعمال حقوقهم في هذه الدولة فإن لكل إنسان حق في مجموع مجتمعه وهيئته، فلا بد من أن يستعمل حقه لتوجيه الصواب في مسار البناء وحفظ النظام، وهذا بمعزل تماماً عن سلبيات خبث السياسيين وجهل وحقارة بعض المواطنين، فحين يؤيدون الانتخابات إنما يؤيدون عمليات التوكيل من أجل حفظ الحقوق وإقامة النظام.

فهنا الفلسفة الحقيقية لقبول فقهاءنا الانتخابات إنما ينطوي على مصلحة عظيمة جداً، وهي سيادة القانون ورقي المجتمع لتكوين مدنية متقدمة بإرادة الشعب والقيادة المفترزة من قبل الشعب.

إيران دولة شيعية قديمة تتقاذفها الصراعات بين الشاهات والفقهاء لمدة ثمانية قرون فلا يصح القياس بها إطلاقاً وثورة الإمام الخميني قدس سره لم تكن وليدة زمنه بل هي ثورة مبدئية منذ سنة ١٧٨٠ ميلادي حيث حكم القاجار بحكم غير مقبول شرعاً وتطورت مطالبها وحيثياتها خصوصاً من أيام فتح علي شاه أوائل القرن التاسع عشر، وحين تصدى الشيخ الآخوند في أواخر القرن التاسع عشر لظلم ناصر الدين شاه وغيره من الشاهات بدأت فكرة تكوين الولاية المستقلة عن الشاه وتطوير الحكم الاسلامي حتى كتب تلميذه الشهير الشيخ النائيني رسالته التي تنص على عدم شرعية الحكم الفردي ووجوب توكيل جمعية عمومية مراقبة للحاكم ولنفسها وهي مقادة من قبل عموم الشعب بالنظر للتوكيل.

فالقيااس هو مع الفارق.

حيث نحتاج إلى شعب مرت عليه هذه الأفكار وقد تم تداولها كما في إيران حيث تم التداول حوالي ٢٠٠ سنة، وهذا الأمر لا يتوفر في العراق.

ويجب أن يكون هناك شعب مثقف قادر على التشخيص بنفسه وبثقة ولا يستعمل أسلوب بني إسرائيل في البقرة فكلما طلب الله منهم حدًا سألوا عن غيره حتى لعنهم الله، فإن ما يجري الآن شبيه بهذه المرحلة، فكلما يضع الشرع والعقل مواصفات للنائب المطلوب وأن هذا الاختيار خطر جدًا فقد يأتيهم بوحش كاسر أو بمؤمن طاهر فلا يكادون يميزون وبالأخير يختارون الخطأ كما فعل بنوا إسرائيل في ذبح البقرة.

إذن نحن نتكلم عن سلبيات التطبيق وهذا كلام صريح فإن سياسينا أثبتوا خبثًا وبعداً عن الدين والإنسانية والإنصاف وأن الدولة ملك لهم وكل ما يحتاجونه هو الضحك على الناس، وأثبت الشعب العراقي بجميع فئاته سنته وشيعته وكرده وعربه بأنه يقبل أن يضحك عليه السياسيون ويصدق أكاذيبهم.

فهذا واقع ملموس، ولكن هل هذا سيئة حقيقية لنظام الانتخاب؟

أعتقد أنه لا.

إن هذه السيئة هي نتيجة تدني الثقافة والتعليم الحقيقي وليس التعليم المهني فقط.

فإن الشعوب التي لا تعرف التفريق بين الحقيقة والكذب وبين الزيف والواقع هي أمة تحتاج إلى إعادة صياغة.

وهنا تتولد شبهة الدور، ولكن الدور يأتي حينما لا يوجد مصلحون ينبهون الأمة، فيكون الحاكم الذي يأتي من الانتخاب هو الذي يمنع التعليم الحقيقي والتمييز الصحيح وبالتالي يأتي من هو مثله في الانتخابات المقبلة، وهكذا تدور القضية بلا نهاية.

لكن بحمد الله فإن مراجع الدين أقاموا تام الحجة على المجتمع العراقي وهم يخطبون يومياً في القرى والأرياف والمدن والجامعات عبر وكلائهم يبشرون بالتغيير نحو الأفضل وعدم الإنخداع ووضع المواصفات، ففي زمن الأنبياء لم يكن لهم صوت إلا في قرية وبين جملة محدودة من البشر ولكن الآن نرى الإعلام والتنبيه يدخل الدور رغماً وتسمعه حتى ربات الحجال، فهل يعقل أن يعذر الناس بعد ذلك؟

وفي مجال التطبيق نرى الكثير من الأخوة يصرح بأن التمييز صعب وعسير وأنه ليس بمقدور أحد أن يعرف ما في القلوب.

وهذا تفكير مأسوف عليه حسب مبادئ الشيعة ومعارفهم وهو يمكن أن يصدر ممن لا حلية له في العلم.

التشيع مبدأ علمي معرفي مبني على التمييز بين الحق والباطل والخطأ والصواب ولا يقبل التبرير إلى ما هنالك من قائمة طويلة يعرفها كل مثقف شيعي.

فلا يصح أن ندعي بأن التمييز غير متيسر.

بل حتى توجيهات المراجع بسطت الأمر في التمييز إلى درجة النزول إلى مستوى الأميين فقال المراجع كل مجرب لا يجرب، ومن عرف عنه الفساد والفشل لا ينتخب، ولا تقبلوا التبرير للفشل والفساد، فمن يرى أن فشله بسبب الآخرين عليه أن يستقيل ليفسح المجال

لآخرين وعليه أن يكشف الحقيقة إذا كانت موجودة وهناك محاكم ومجلس نيابي فيه لجان يمكنها أن تحكم.

فهل فعل الفاشلون ذلك أم حولوا فشلهم إلى انجازات؟

ثم إن هناك آلاف من المرشحين أليس فيهم من يضمن الناس فيه النزاهة لتاريخه وعمله السابق؟ فهذا أمر غريب مع أن بعضهم أختيار وصلحاء ولم يعرف عنهم فساد مطلقاً.

يقول بعضهم أن الجميع أتونا من الخارج ولا نعرفهم، وهذا الكلام غير صحيح إطلاقاً فإن الجميع هم أبناء عشائر معروفون حتى لو سافروا فترة الجور الصدامي، ومع ذلك فإن نسبة العائدين إلى أهل البلد قد لا يتجاوز العشر فلماذا يتم انتخاب العائدين الذين يتهمونهم إذن؟

ثم إن أكثرهم أصحاب مقامات في الدولة ولهم تجارب فهل علينا أن ننسى صالح عملهم أو طالحة نهائياً فندعي أنه ليس فيه من يوثق به؟ إنه يجب أن نتق فيمن جربنا فساده؟

ثم إن من لا يعرف التمييز عليه أن لا ينتخب إطلاقاً لأنه إنما يجري قرعة فاشلة على جملة من الفاسدين في نظره وليدع الأمر لمن يميز، وما أتعس عبداً يعلن أنه لا يميز.

فأنا إذا سمعت هذا الكلام من البسطاء وقد سمعته ولم أقبله منهم ورددت عليهم فاعترفوا بأنهم لا يريدون تشغيل عقولهم فهل هناك أبسط من ملاحظة الفشل والفساد؟ وحكمه واضح عقلاً فكيف بالمتقفين؟

حدث معي في مؤتمر مهم في طهران أن اجتمع بعض الخواص والمتقفين الكبار فتباحثنا حول الوضع في العراق فقال بعضنا بأن الفشل هو السمة العامة للحكم في العراق ونحتاج إلى

نجاح، فملفات الفساد واضحة وملفات الأمن لا غبار عليها وملفات الخدمات أبين من الشمس وملفات الوزارات أظهر من البدر وهكذا، فإذا بأحد المثقفين ينبري للجواب بقوله أنه ليس مهمًّا ملفات الفساد ولا الفشل ولا أي ملف إنما المهم هو الحفاظ على الرمز الذي تمثله الحكومة الحالية لنستمر في الحياة. فتعجب الحاضرون من هذا القول الصادر من مثقف كبير وكاتب شهير ومدير لحركات إسلامية من أجل أن يؤيد صديقه، فيرى أنه لا يجب النظر إلى الفشل ولا إلى الفساد ولا إلى الإفساد، فإذا وصلنا إلى هذه المرحلة فقد حق علينا القول.

الخلاصة أن مبدأ الانتخاب الذي نؤمن به ليس هو بعينه مبدأ الانتخاب في الديمقراطية أو في العرف السياسي الحاضر الذي عليه إشكالات كثيرة، إنما هو مبدأ ينشد التغيير والتمكين لإقامة النظام وحفظ البشر وحقوقهم التفصيلية.

والسلبيات هي نتيجة ضعف الثقافة المبنية على طلب الشرعية في بناء الدولة، ونتيجة عدم أهلية السياسيين الذين يتحايلون على الناس.

وقد إنبرى المراجع للبيان بشكل تفصيلي بما يرفع السلبيات تمامًا، ولكن الجهلة يريدون التسمية!

قال لي أحد السياسيين: أنت حل لي هذه القضية فإنني خطبت في قرية (.....) في قضاء الكوفة، فقال لي شيخ عشيرة أمام الجماهير: بأننا تعلمنا منذ أيام صدام بأن صوتنا يذهب لمن يقدم لنا أكياس المال ولا نعرف غير ذلك، فكيف يمكن اقناعهم؟

فقلت له إذا كان هذا طلب جميع الشعب فإن هذا الشعب ميؤوس منه حيث تم تسميمه بأفكار شيطانية، ولكن هل كل الشعب كذلك؟ وهل كل النواب مستعدون ليدفعوا لهؤلاء،

فقال أغلب الشعب تربي على هذه الحقيقة وأقوى النواب لديهم أجنداث خارجية مدعومة مالياً تفرح لهذا الطرح الرخيص، فقلت له إذن اعملوا العكس واستعينوا ببيان المراجع فإنه ينفعكم في دحر هذه المظاهر الشيطانية، ولكن للأسف كتلته لا تريد الإلتصاق بالمرجعية.

قال لي أحد المرشحين أن رئيس حملته أخبره أنه بلا ولائم وخراف مذبوحة لا يمكن أن يلتصق اسمك في ذاكرتهم. فقلت له ماذا ستفعل قال سأدخل بلا ولائم ولا يهمني أن أخسر ولكن علي أن أفهم الناس خطأ هذا السلوك الذي يعتبرونه سلوكاً حتمياً وليس عليه غبار.

فما نشر صورته الأخ الحبيب من صور لهدايا! قدمها المرشحون للناخبين لا يمثل سقوط النواب فقط بقدر ما يمثل سقوط المجتمع الذي يريد هذا السلوك وبشدة.

وهنا أسجل اعتراضاً على المرجعية الدينية وعلى النخب السياسية فأنا منذ البداية أي قبل عشر سنوات كنت أكرر أنه يجب على الخطباء والمحاضرين التبيان للناس خطورة هذا السلوك وهذه المطالب من قبل التافهين الذين لا يشعرون بالكرامة ولا يعرفون النظام ولا الدولة، ولكنهم لم يعتنوا والآن أصبح مرضاً متأسلاً لا يريد أن يفارق العراق، وكانوا يقولون أن علينا بيان الحقيقة والمواصفات الصحيحة وعلى المجتمع التطبيق وهو المسؤول عن اختياره، بينما هذا الاختيار متجه في الغالب لتأييد الطالح وترك الصالح، وهم الآن يعانون منه كثيراً لأنه منطلق الشيطان وسبيل الفساد والإفساد.

نظرية الحكم عند الأعلام

هذا موضوع مهم وخطير يجب أن يتفهّمه كل المحييين لإسلامهم من أجل تعميق النظر للإسلام باعتباره يحتوي على منهج سياسي قانوني بإطار فقهي دقيق، وليس كما يقال بأن الإسلام لا يستطيع معالجة نظام سياسي يكرّم الإنسان ولهذا أخذ المسلمون يستعيرون نظامًا من الخارج، وذلك لأن المسلمين لم يستطيعوا فهم إسلامهم.

نحن نقول لا بد من حكومة تحكم البشر ولا بد أن تكون الحكومة منزّهة عن الظلم والجور، ولهذا نوجب أن يكون الحاكم الذي يبلغ عن الله ويحكم باسم الله أن يكون معصومًا.

وفي حال فقد المعصوم لا بد للأمة من حفظ النظام، وإقامة سبل الانتصاف للمظلوم من الظالم، وإدارة شؤون الأمة.

وعليه فهناك عدة نظريات لمنح الشرعية للحاكم والحكومة: منها نظرية السيف والتسلط بالقوة ومنها نظرية الشورى ومنها نظرية البيعة وهذه كلها نظريات لا أساس لها في الشرع الشريف، ولم يستطع أي من القائلين بها إثباتها بالأدلة الشرعية، وهي أقرب ما تكون لتبرير سلطة الجائر.

وهناك نظريات شرعية لها أدلة دقيقة، وإن كانت محل نقاش بين الأعلام، منها نظرية ولاية الفقيه المطلقة ومنها نظرية ولاية الفقيه المقيدة وهناك نظرية ولاية الأمة على نفسها.

إن أغلب فقهاء مدرسة الأعلام الثلاثة يميلون إلى نظرية ولاية الأمة وحقها في تقرير ما تريد، لما يرونه من فقد الأدلة على الولاية العامة.

وهذه النظرية قائمة على أن الأصل هو حرية الإنسان وعدم جواز التسلط عليه، وبما أن الإنسان الفرد لا يستطيع بمفرده إقامة النظام فلا بد من إيجاد مؤسسة الدولة، التي يدعمها ويمولها كل المجتمع كما لو كانت شراكة مساهمة من الجميع، وأساس اختيار الحاكم وأعوانه إنما هو بطريقة الانتخاب الذي هو عبارة عن التوكيل من قبل المواطنين، باعتبار أنه حق لكل فرد بالتوكيل عن نفسه لإقامة النظام.

هنا تأتي مسألة مهمة وهي هل هذا التوكيل شرعي ومقر شرعاً؟ والجواب نعم وله أدلة مطولة وهي مبنية على مبادئ متعددة منها مبدأ الحق.

وبما أنه مبني على نظرية (الحق) فما نوع هذا الحق وكيف يكون؟

والجواب هو حق التوكيل وهو حق طبيعي للإنسان معلول لأمر أصلي وهو السلطنة على الذات، وهو غير قابل للنقل والانتقال ولا يمكن إسقاطه إلا بإسقاط أصله ومنشأه. فامتناع إسقاط حق التوكيل كامتناع إسقاط حق الرجوع في الدين، وحق رجوع الزوج في الطلاق الرجعي، فهو ليس كحق الخيار وحق الاختصاص يمكن التنازل عنه.

كما أنه غير قابل للتقييد ولا التوجيه ولا السلب، وهذه كلها بين مخالفة أصل الحق، وبين نقض الغرض منه.

وقد اختلفوا في تفسير هذا الحق بين التكويني والاعتباري وما بينهما، كما بحثوا منشأ هذا الحق ومنتزعه الأساسي، وقد تكفل أخونا الشيخ علي ١٩٧٩ ببيان هذه الجهة كما بدأ في بيان المبحث وفقه الله، والذي نرجو أن يمتعنا ببحثه الكريم.

فإذا تبين هذا نقول إن القائلين بولاية الأمة لهم العديد من الأدلة عليها وعلى استخدام هذا الحق، وقد يطول الكلام فيها.

وعلى الإجمال فهم يرون أن الأدلة قاصرة عن منح الولاية للفقهاء سواء كانت مطلقة أو مقيدة لأن لسانها في مقام القضاء وبيان الأحكام، وحتى مع القول بالولاية فهي تحتاج إلى شرعية الاختيار الشعبي لتفعيلها لأن شرط الولاية هو بسط اليد، وهذا لا يكون فعلاً إلا بقبول وتوكيل أكبر قدر من المجتمع، وذلك أن أهم شيء في الحاكم وفي الدستور هو منح الصلاحيات للحاكم، وبما أن لسان الشرع ليس فيه ما يثبت منح الصلاحيات بشكل مطلق، وإنما هي محاولة اجتهادية قبلها قوم ورفضها آخرون، فليس أماناً إلا تأدية الأمانة من باب التوكيل، فيكون الحاكم وكيلاً عنّ انتخابه لأداء مهمة حفظ النظام وتطوير المجتمع ومن هنا تأتي الصلاحيات.

وهناك تعقيدات كثيرة في هذه النظرية تختلف عنها في نظرية ولاية الفقيه البسيطة، ومن جملة التعقيدات هو اعتبار مبدأ المراقبة للوكيل الحاكم من أجل منعه من سوء استغلال السلطة والصلاحيات، وإلزامه بالتقيّد بالقوانين والنزاهة في التعامل.

وهذا كله مرده إلى دراسة الحق المبحوث عنه هنا، وكيفية أداءه وصوره المفترضة علمياً.

وقد أبدع علمائنا في مبحث الحق والحكم والتفريق بينهما، وقد قالوا بكل صراحة أن الفرق بينهما سنخي وليس فرقاً صفتياً، ولهذا قالوا أنه لا يجوز المقارنة بينهما لاختلاف موضوعهما.

وبهذه النظرية وتشعباتها نرى أن الفقه الإسلامي يستبطن نظرية حكم جيدة تفوق الديمقراطية في الشرعية والسلامة والتقدم الحضاري، وهي عند القائلين بها تتضمن شرعية أصلية، وعند القائلين بولاية الفقيه المطلق تتضمن شرعية بديلة، كما هي شرعية الدول الإسلامية حين فقد سيطرة الإمام المعصوم.

وهي لها أسسها وجذورها القانونية والفقهية المعقدة والدقيقة، ولا بد لمن يؤمن بها أن يحافظ على أسسها وشرعيتها.

فحتى لو استغل المسلم شرعية الديمقراطية واسمها، فليس أمامه وهو مسلم إلا أن يتمسك بشرعية النظم الإسلامية، ويحافظ عليها سواء كان على أساس ولاية الفقيه أو على أساس ولاية الأمة، ولكن ولاية الفقيه لا تكون إلا في بلد اختار أن يكون حاكمه فقيهاً مطلق اليد، بينما نظرية ولاية الأمة على نفسها تتكيف مع كل حال وهذا ظاهر لمن فهم عمق القضية.

ومن جملة المحافظة على أسس هذه الشرعية هو الحفاظ على مفهوم الحق ومصاديقه، لأنه هو أساس الشرعية التي يتمحور عليها النظام الشرعي، ولا يجوز انتهاك هذا الحق بأي طريقة كانت.

وبحث الأستاذ الفقيه الشيخ علي ١٩٧٩ كان كميزان الحرارة (الترمومتر) لتعيين حرارة التفعيل لهذا الحق، ومراقبة السلطات التشريعية والتنفيذية على أساس هذه الشرعية، التي آمن بها فقهاء النجف، وبنوا عليها أساس نظريتهم لإعطاء الشرعية للدولة العراقية،

التي يساهمون ببنائها جزاهم الله خير الجزاء. فهو قد طالب بتحديد الممارسة على حدود النظرية، ولم يقبل الفشل في تطبيقها. وهذا نوع من القوة العاصمة للفقهاء من أجل ثبات النظرية والتطبيق، ويبدو أن الشيخ علي ١٩٧٩ حفظه الله يوافق الفارس الثالث من مدرسة الأعلام الثلاثة [الشيخ محمد حسين الأصفهانى والآغا ضياء الدين العراقي والميرزا النائيني] العلامة الشيخ محمد الحسين النائيني رحمه الله حيث اشترط الرقابة الشعبية على الفقيه وعلى الحاكم في مجال التطبيق والنظرية، من أجل الاقتراب من العصمة، وهذا ما أميل إليه أيضًا بحسب ما حكمني الدليل بحسب مقتضيات العقل العملي.

ولا ألوم من لم يكن من أهل الاختصاص أن يعجز عن فهم هذا الموضوع أو أهميته، أو يفهمه بطريقة متشنجة، لأنه بحث دقيق وهو يُعرض للعلن للمرات الأولى، حيث أن مثل هذه البحوث كانت حبيسة الدراسات الخاصة، لما لها من حساسية لدى الحكام ورفض لها، وقد يزداد القتل للمؤمنين على أساسها، ولهذا لم تكن تطرح هذه المسائل بشكل ثقافي، وإنما تطرح على شكل مباحث غامضة مليئة بالمصطلحات التي لا تجعلها جذابة أو ذات أهمية، بينما هي أهم ما يواجه عالمنا اليوم وأمس وغد. لأنه يتعلق بصلاحيات الحكم وتأسيس الدولة وشرعية النظام، ولو علم الأخوة الذين لا يعرفون خلفيات هذه الدراسات ومقدار ما كان يراه الشيخ النائيني في استبداد السلطان واستبداد الهيئة الدينية ونسبتهما للجهل ولعدم العناية بالدين، لكفروه، ولكن من يدرس التاريخ والدين والسياسة يعرف دقة الرجل وسلامة مقاييسه في تناول القضية.

وبهذا يتبين أن عملية بناء الدولة عملية فلسفية وقانونية يربعاها الفقيه بدقة كبيرة، ولها تبعات وذيول كثيرة يصعب حصرها وبيانها لمن ليس له اختصاص.

أرجو أن أكون قد وضحت بشكل مبسط ما يحتاجه المسلم في فهم نظريات الحكم.
وتعقيداتها الفلسفية والقانونية.

ولاية الفقيه المقيدة والمطلقة

الأخ الكريم سلامة أبو الخير جعلك الله من أهل الخير .

سألتَ سؤالين وهما :

١- ما الفرق بين ولاية الفقيه المطلقة والمقيدة في مقام التولي والتحكم؟

٢- من هم الأعلام الثلاثة ، ومن هم أشهر فقهاءهم؟

الجواب على السؤال الأول :

جوابه من فرعين :

أ- بيان مفهوم الولاية.

ب- بيان الحدود والصلاحيات.

أما الأول : فهو يعتمد على نقطة جوهرية وهي قضية النصب من قبل المعصوم عليه السلام فأكثر من يقول بالولاية المطلقة يقول أنها بالتنصيب لقوله عليه السلام : (فقد جعلته عليكم حاكماً).

وهذا مما يستدعي كون الفقيه له الولاية والسلطة لأنه نصب في مقام القضاء الذي هو من شؤون الدولة مضافاً إلى أن المتتبع لا يجد في العصور المتقدمة انحصار خصوصيات القضاء في الفصل في الخصومة فقط، بل كان القضاة يهتمون بأمر أخرى مثل الولاية على القاصرين

والولاية على الأوقاف وغيرها مما جعلهم يستفيدون من سلوك القضاة في تلك الأزمنة
التعدي إلى مسائل إدارة الدولة وليس فصل الخصومة فقط، وهو في الحقيقة توسعة في مفهوم
القضاء وعدم قصره على مفهوم فصل الخصومة فقط.

وأما الثاني: فهو يعتمد كلياً على الأول فمن وسّع في مفهوم القضاء ولم يقتصر على كونه
خاص بفصل الخصومة فقط فإنه حتماً سوف يتوسع في الصلاحيات وينتقل إلى المعنى
الأوسع وهو إدارة شؤون البلاد والعباد بكل ما فيها من صلاحيات ولذا سميت الولاية
المطلقة.

وأما من لم يوسع في مفهوم القضاء وجعله مقتصرًا على فصل الخصومة فقد بقي مقتصرًا
على نفس صلاحيات القاضي وظل متمسكاً بولاية الفقيه في القضاء فقط لأنه منصوب فيه
من قبل المعصوم عليه السلام، وهذه هي نوع من (الولاية المقيدة الخاصة)، بخلاف من قال
بالتوسعة.

من هذا الفريق الثاني هناك جماعة تقول أن ما يقوله أصحاب الولاية المطلقة في نقلهم عن
صلاحيات القضاة في زمن الأئمة صحيح، ولكن ليس بتلك السعة التي يقولون بها، بحيث
تكون كل شؤون البلاد والعباد بأيديهم حيث لا دليل على هذه التوسعة ولهذا يقول
بالولاية المقيدة.

فالفرق بينهما في مجال الصلاحيات وسعتها، وليس في شرط الرقابة من عدمه، ولكن
القائلين بولاية الأمة، يشترط بعضهم الرقابة العاصمة عن الخطأ في التطبيق وفي استخدام
الصلاحيات منعا للفساد واستغلال السلطة.

فالعوم والخصوص والإطلاق والتقييد في الولاية هي باعتبار الجهة أي إذا كانت متعلقة بعموم أمور المسلمين فهي عامة ومطلقة وإذا كان بخصوص بعضهم أو بعض أحوالهم وأمورهم فهي خاصة.

وهناك قول ثالث لا يقبل القول الأول ولا الثاني.

ويقول إن لدينا مسلمة فقهية تقول: (لا ولاية لأحد على أحد) ولكن لا نأخذ بكليتها وعمومها، لوجود الخلاف على الكلية لثبوت ولاية الأب على الابن وغيرها من الموارد التي ثبتت بالنص، وليس منها الحكومة والسلطة فيبقى هذا العنوان (الحكومة والسلطة) تابع لنفس تلك المسلمة النافية للولاية، وحلاً للإشكال الناتج عن الفراغ السياسي لابد من القول أن الأمة هي ولية نفسها حيث أنه لم يثبت شرعاً ولاية الفقيه عليها وسمي هذا القول (ولاية الأمة على نفسها) وقال صاحب هذا القول إن الأمة تنتخب وكلاء عنها لإدارة شؤونها.

وهذا كلام قيل في بدايات القرن العشرين القرن الماضي إلا أن له جذور بين كلمات الفقهاء.

والآن الأخ الشيخ علي يريد أن يشرح هذه المسألة لأن القول بأن الأمة تنتخب وكلاء عنها كلام غامض وهو غير مؤصل فقهيًا، فلا بد من شرحه وتوضيحه وبيان الأسس الفقهية والعلمية التي يعتمد عليها.

وبنظر الشيخ علي أن هذا الكلام يعتمد على وجود حق شخصي للناخب.

أما ما هو هذا الحق؟ وكيف يمكن أن يكون حقاً شرعياً يلتزم به المكلف؟ فهذا ما بينه وفقه الله تعالى بأن (الحق ليس كل ما كان قابلاً للإسقاط والنقل والانتقال) فهو يدعي كما طرحه في الحلقة الأولى من بحثه أن المفهوم أعم وأشمل من هذا كما استدل بحق الحياة وحق الدفاع.

فهو يريد الخروج من شرنقة التعريف للحق المعمول بها، إلى معنى أوسع من أجل تصحيح أساس شرعية الحاكم المسلم بحق شخصي في انتخاب من يعطيه الوكالة في الولاية عليه.

وبالمناسبة هناك من الفقهاء المعاصرين من يصحح (حق الطبع) و(حق تحصيل الجنسية أو الهوية الشخصية) وهو حق شخصي لا يقبل النقل والانتقال والإسقاط لشخص آخر وغيرها من الحقوق المستحدثة هذه الأيام، وأخيراً إن ما يدعيه هذا الشيخ ليس بدعاً من القول، وهو يريد أن يطور الفقه الإسلامي ليكون قابلاً للتعامل الزمني مع تطور القانون، بأسس متينة وشرعية ولا خلاف فيها مع أي من أسس الفقه الجعفري، وهذا عمل مشكور يقدره عليه أهل المعرفة. فمحاولته هذه من الناحية القانونية والفقهية طفرة حقيقية وليست فقاعة صابون، وهو لم يأت بشيء من المقدمات من نفسه، وإنما هي بين مسلم وبين مستنبت مبرهن عليه، ومن يعرف حقيقة الموضوع وصلته بحل أهم المشكلات القانونية سيعرف القيمة الحقيقية لطرح هذا الرجل وفقه الله وكثر الله من الفقهاء أمثاله. وقد انبريت للمباركة في هذا البحث لما اعرف فيه من أهمية وخطورة على أسس الفكر الإسلامي، وعلى الأخص الفقه السياسي الإسلامي، بغض النظر عن جزئيات البحث.

وأما جواب السؤال الثاني:

الأعلام الثلاثة هم آية الله الشيخ محمد حسين الكمباني الاصفهاني رحمه الله، وآية الله الشيخ الآغا ضياء الدين العراقي رحمه الله، وآية الله الشيخ الميرزا محمد حسين النائيني رحمه الله، وكل هؤلاء الثلاثة أصحاب مدارس في علم الأصول ولكونهم متعاصرين أيضًا وتلاميذهم نفس التلاميذ سُموا بالأعلام الثلاثة، وأشهر فقهاء هذه المدرسة هم السيد الخوئي والشيخ محمد رضا المظفر وجمهرة كبيرة من العلماء يعدون بالمئات إذا لم يكونوا بالآلاف.

علة عدم توفيق العامة للفطر والأضحى

رويَ عنهم عليهم السلام: الرازي عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: قلت جعلت فداك ما تقول في العامة فقد روي أنهم لا يوفقون لصوم.

فقال لي: أما إنه قد اجيبت دعوة الملك فيهم.

قال: قلت كيف جعلت فداك؟

قال: إن الناس لما قتلوا الحسين بن علي صلوات الله عليه، أمر الله عز وجل ملكاً ينادي: أيتها الأمة الظالمة القاتلة عترة نبيها، لا وفقكم الله لصوم ولا فطر.

وفي حديث آخر: لفطر ولا اضحى

عن رزين، قال ابوعبد الله عليه السلام: لما ضرب الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليه بالسيف فسقط ثم ابتدر ليقطع رأسه نادى منادي من بطنان العرش: ألا أيتها الأمة المتجبرة الضالة بعد نبيها، لا وفقكم الله لأضحى ولا فطر.

قال: ثم قال أبوعبد الله فلا جرم والله ما وفقوا ولا يوفقون حتى يثور نائر الحسين عليه السلام.

(علل الشرائع للشيخ الأجل الصدوق - قدس سره -، باب ١٢٥ ج ٢ ص ٣٨٩)

لا أريد أن أتكلّم عن هذه الرواية فهي عند الفقهاء ضعيفة لاحتوائها على ضعيفين (مجهول ومضعف) وإن كان معناها صحيحاً بحصول عدم التوفيق للحظوة بالأوقات الشرعية منذ زمن الأمويين لحد هذا اليوم، ولكن أوضح للمستشكل أمراً في غاية الأهمية وهو أنه لا يوجد أبداً عند الشيعة عدم توفيق للحظوة بالأيام الشرعية بخلاف إخواننا المساكين من أهل السنة فقد ابتلوا بعدم التوفيق بشكل عجيب، وسأفسر له ذلك.

مشكلة الشيعة مع الحكام السنة في الأهلة ليس من جهة القدرة على الرؤية والثبوت الشرعي وإنما هي في مشكلة رؤية الحكام للهلال قبل تولده أصلاً وفي وقت يستحيل فيه الرؤية. وقد تبين الآن بالإحصائيات العلمية أن الحكام في الشرق الإسلامي لا يشاهدون الهلال حقيقة إلا بنسبة أقل من عشرة بالمائة بينما في المغرب العربي لا يتعدى ٨٥٪ كما ورد في التقارير، وأما الشيعة فيجب أن نقول بأن رؤيتهم للهلال هي ١٠٠٪ ولكن يحصل مع ذلك وجود اختلاف في أول الشهور بين الفقهاء الشيعة ليس لنفس سبب الاختلاف مع السلاطين وأتباعهم، وإنما من جهة النظرية الفقهية في طريقة الثبوت أو ماهية الثبوت أي في ماهية الحجة الشرعية في المدى الجغرافي للثبوت بعد إحراز تكوّن الهلال تكويناً، وسأوضح ذلك راجياً أن يستوعبه هذا الرجل الذي انصف ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وأرجو أن يركّز جيداً لأن الموضوع ليس سهلاً بشكل مطلق وإنما يحتاج إلى تركيز.

يشترط أهل البيت عليهم السلام أن تكون المشاهدة حقيقية وهذا يقتضي وجود إمكانية للمشاهدة لوجود فعلي للهلال حال الغروب يمكن أن يشاهد، وفي غير هذه الحالة لا يجب تصديق أي مخبر يدعي مشاهدة الهلال في ظروف عدم وجود الهلال أو عدم وجود الشروط الطبيعية لرؤية الهلال، وينبغي أن يشاهده أهل الثقة والديانة والخبرة لا من لا يؤثّق ولا

من يمكن عليه الوهم والاشتباه، ولهذا فيشترط في المشاهد المخبر أن يكون أهلاً للثقة، وهذه الأمور كلها غير واردة عند الحكام السنة للأسف وكانت أحكامهم في ثبوت الهلال مصدر تندر لأنهم يشاهدون تولد الهلال حتى قبل دخوله في المحاق كما حصل مراراً، ففي أحد السنين قبل سنة ١٤٠٠ هـ أعلن الحكام في الدول السنية عيد الفطر وقد شاهدنا الهلال بعد صلاة الصبح في نهار عيدهم بأعيننا في جهة المشرق وهذا يعني أنه لم يدخل في المحاق أصلاً! وهذا جوهر مشكلتهم ومثل هذا لم يحصل قط عند الشيعة على تاريخهم الطويل أبداً أبداً أبداً.

وأما مصدر الاختلاف عند فقهاء الشيعة فهو بعد الوقوع الفعلي لتولد الهلال وهو لسببين فقهيين وجيهين، وكلاهما حجة شرعية لا يخطئ فيها المتبع لحجته مطلقاً لأن الثبوت حكم شرعي وليس حالة كونية وهو تابع للمبنى الفقهي وتطبيقه.

السبب الأول: هو الاختلاف في الشهادة واعتمادها بين التوثيق وعدمه أو بين القلة والكثرة، فهناك قسم من الفقهاء يشترطون في الشهادة شروطاً في العدالة والتعريف قد لا تتوفر في اليهود، وهناك فقهاء يرون أن الهلال حالة كونية لا يجوز أن يشاهدها قلة من الناس فيجب أن يحصل الكثرة في الشهادة التي توصل إلى حالة الاطمئنان بالحكم، وهذا ما قد يجعل أحد الفقهاء متأخراً عن أخيه نتيجة توفر أو عدم توفر هذه الشروط في الشهادة.

والسبب الثاني: هو الخلاف الفقهي بين نظريتين معروفتين في الفقه الشيعي.

الأولى: تقول أن الشهادة الشرعية منحصرة في بلد الحكم وما جاوره ولا تتعداه وهذا يسمى نظرية (شرط اتحاد الآفاق) أي يجب أن يكون موقع المشاهد المخبر متحدًا مع موقع المشهود له ليحكم بالثبوت نتيجة الشهادة.

والنظرية الثانية: تقول أن كل الأرض هي أفق واحد بالنسبة لثبوت الهلال. فأي أفق شوهد فيه الهلال لا يتعدى وقت رؤيته الشرعية بالعين المجردة ليل بلد الحكم فالهلال يثبت لذلك البلد بتلك الشهادة، وهذه النظرية تسمى نظرية (عدم شرط وحدة الأفق).

وكل نظرية لها أدلتها الفقهية والعلمية وكل مجتهد مقيد شرعًا بنظريته ومبناه العلمي أمام الله ومسؤوليته الشرعية، وبهذا تُحدد وظيفة كل مجتهد ووظيفة مقلده شرعًا، وهو المتعين في حقه شرعًا.

والاختلاف الكوني الذي يحصل نتيجة اختلاف النظريتين كثير يكاد يكون في السنة الواحدة في شهرٍ أو شهرين أو ثلاثة من الشهور القمرية حيث لا يمكن الرؤية في بلد معين بينما يمكن الرؤية في بقية الآفاق الأخرى التي لا يتعدى غروبها صباح تلك البلدة.

وسأتيك بمثال لسنتين هما هذه السنة ١٤٢٩ هجرية ولسنة ١٤٣٠ هجرية لتعرف الفرق بين النظريتين بالنسبة لأفق مدينة المرجعية الشيعية وهي النجف الأشرف وبين بقية الآفاق التي يمكن الحكم عليها لمن يسكن نفس مدينة النجف بمنظور فقهي آخر:

سنة ١٤٢٩ هـ الاختلاف في شهرين هما شهر رجب وشوال حيث يثبت أول شهر رجب في أفق النجف يوم السبت ٢٠٠٨/٧/٥ لمن يقتصر على نظرية شرط اتحاد الآفاق وهي نظرية السيد السيستاني من الفقهاء الحاليين ويثبت أول الشهر يوم الجمعة ٢٠٠٨/٧/٤ على نظرية عدم شرط اتحاد الآفاق وهي نظرية الشيخ بشير النجفي والشيخ

الفياض من الفقهاء الحاليين في النجف الأشرف. ويثبت أول شهر شوال في أفق النجف الخميس ٢٠٠٨/١٠/٢ على نظرية شرط اتحاد الآفاق، بينما يثبت أول شهر شوال في أفق أخرى مثل أمريكا الجنوبية التي لا تتعدى خط طول ٦٠ في يوم الأربعاء ٢٠٠٨/١٠/١ وهو يوافق شروط من يقول بعدم شرط اتحاد الآفاق.

وفي سنة ١٤٣٠ هـ يكون الخلاف التكويني في ثلاثة شهور وهي: شهر محرم ورمضان وذي القعدة. ففي محرم في النجف يوم الثلاثاء ٢٠٠٨/١٢/٣٠ وخارج أفق النجف بما يوافق الشرط هو يوم الاثنين ٢٠٠٨/١٢/٢٩، وفي شهر رمضان في النجف يوم الأحد ٢٠٠٩/٨/٢٣ وعلى الآفاق الأخرى المطابقة للشروط الشرعية يوم السبت ٢٠٠٩/٨/٢٢، وفي شهر ذي القعدة في النجف يوم الأربعاء ٢٠٠٩/١٠/٢١ وعلى الآفاق الأخرى يوم الثلاثاء ٢٠٠٩/١٠/٢٠.

وعلى هذا المنوال هناك اختلاف تكويني في إمكانية الرؤية في بعض الشهور بموجب النظريتين الفقهييتين المعمول بهما عند قسمين من الفقهاء. وهذا الاختلاف في حقيقته اختلاف إمكانية الرؤية الشرعية في الآفاق المتعددة على الكرة الأرضية الذي يوجب بشكل دائم وجود اختلاف في الأوقات الشرعية للعبادات وكلها صحيحة ١٠٠٪ كما قلت لأنها بموجب منظور فقهي لاختلاف تكويني خارجي لا بد منه. فمن يرى أن الثبوت عنده مقتصر على رؤية بلدته وما جاورها من آفاق تعد عرفاً أفقاً واحداً فأول شهره وفق ثبوت الهلال في تلك البلدة وما جاورها، ومن يرى أن الثبوت للهلال يتعدى ذلك الأفق فأول شهره وفق ما ثبت رؤيته في آفاق أخرى يصح الثبوت فيها شرعاً بالنظر الطبيعي.

فلهذا ما يدعيه الشيعة من عدم الخطأ في مواقيتهم الشرعية صحيح جداً وما يدعونه من مشكلة في مواقيت أهل السنة صحيح جداً لأنهم في الغالب يرونه حيث لا يوجد الهلال أو يتعذر رؤيته وهذا باطل شرعاً مُبطل للعبادة قطعاً.

بالنسبة لرصد الأهلة فقد بيّنت لك الأساس العلمي لذلك وأرجو أن تفهمه جيداً، وما قد تراه واقعاً بين بعض الأتباع فأغلبه أمر سياسي ليس له بالتشيع دخل، وإنما هناك أحزاب ذات صبغة دينية توجه أتباعها لاستغلال الاختلاف في النتائج لتعميق التحزب عند أتباعهم وهذا لا قيمة له من ناحية شرعية، ولكن بيّنت لك أن النتائج هي وفق المباني الفقهية وهي صحيحة شرعاً مهما اختلفت وتكون العبادة بموجبها صحيحة بخلاف مخالفة الواقع كأن يحكم بثبوت الهلال وهو غير متكون.

والتقليد لمجتهدين مختلفين في الرؤية الفقهية وفي الدليل لا يسمى اضطراباً أبداً بل هو نوع من الحرية ومن الإلتزام بمؤدى حكم الشرع والعقل، ونحن لا نتكلم عن اضطراب عند العامة بل نتكلم عن حكام وفقهاء يحكمون بثبوت الهلال بما لا يصح، مورطين الناس بانحراف العبادة وإبطال أعمالهم شرعاً كأن يفطروا في رمضانهم أو يحجوا في غير يوم حجهم الشرعي.

وأما ما ذكرته من مخالفة السيد فضل الله وموافقته للسعودية فسأبين لك هذا الاستثناء وسببه، السيد فضل الله اعتقد أن الرؤية غير مأخوذة موضوعاً للحكم الشرعي وحكم الثبوت أو لأحكام العبادة وإنما هي كاشفة عن وقوع الموضوع وهو التكوين الفلكي في السماء وهذا رأي لم يقل به فقيه سني ولا فقيه شيعي قبل ذلك حسب علم الفقهاء الموجودين قاطبة وقد أنكر عليه الفقهاء ذلك وحدثت بلبلة لاستغلال هذا الإنكار بسبب حزبية بعض

مؤيديه وبعض معارضيه من أجل إثارة موضوع الخلاف وهذا غير مهم من الناحية الشيعية لأن الخلاف الفقهي واضح وهو مخالفة الواقع الفقهي والإجماع الإسلامي وما عداه لا شأن للشيعه به. ولكن على كل حال فهو يشترط تكوين الهلال في الفلك وينفى شرط الرؤية في الأرض أساساً تاركاً النص البين المتواتر المجمع عليه وهذه الفتوى وغيرها هي ما تمسك بها من قال بكاشفيتها لعدم الأهلية، وهذا بخلاف ما يحدث لحكام السنة هو حكمهم بثبوت الهلال قبل دخول القمر في المحاق أصلاً كما حدث خلال فترة حياتي عدة مرات... وأنا شخصياً من المهتمين في مراقبة الأهلة وعضو في لجنة فقهية منذ سنة ١٤٠٠هـ وأعرف الكثير من أسرار هذا الموضوع وأنا شخصياً متابع بدقة للجداول وقد أجريت مقارنات لأكثر من ٦٠٠ سنة ماضية فوجدت أنه ما من فقيه شيعي حقيقي حكم بالثبوت والقمر لم يتولد أو لا يمكن رؤيته مطلقاً في الأرض بالطريقة الشرعية وفق نظرية عدم شرط وحدة الآفاق، بينما المخالفات في الجداول العثمانية وغيرها مما سبقها ولحقها موجودة بالفعل.

سأتيك بمثالين بسيطين :

فلنأخذ هذا النص من كتاب شيعي وهو: فقه الرضا لعلي بن بابويه - ص ٥٦ في تاريخ نسخ مخطوطة الكتاب قال: (في يوم الأحد رابع عشر شهر محرم الحرام سنة ١٠٥٠ هـ)

و١٤ محرم سنة ١٠٥٠ هـ هو يوم الأحد ٦ أيار ١٦٤٠م وهذا تاريخ صحيح ومطابق لشرط الرؤية وأول محرم من تلك السنة بحسب شروط الرؤية هو الإثنين ٢٣ نيسان ١٦٤٠م ولا يمكن أن يرى في منطقة آسيا وأفريقيا وأوروبا غروب يوم ٢١ نيسان فهذا تاريخ صحيح مطابق للشروط الشرعية والطبية للعين البشرية العادية.

ولنأخذ مثلاً للتاريخ السنّي من كتاب : روضة الطالبين - لمحيى الدين النووي - ج ١ -
ص ٦٢ :

(ورأيت بخطه فيها أنه ابتداء في تأليفها يوم الخميس، الخامس والعشرين من شهر
رمضان سنة ست وستين وستمائة)

والخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٦٦ هـ هو يوم الجمعة ٨ حزيران سنة ١٢٦٨ م
حسب معايير الرؤية ويكون أول شهر رمضان هو يوم الثلاثاء ١٥ أيار ١٢٦٨ ميلادي ولا
يمكن أبداً أن يرى الهلال غروب يوم الأحد ١٣ أيار لأنه في المحاق فكيف رأوه وكان
عندهم رمضان ١٤ أيار؟ فما ورد بخطه فهو تاريخ غير مطابق لشروط التكوين فضلاً عن
شروط الرؤية، فتأمل. وأمثلة هذه المقارنات بالمئات ولكن ليس كل تاريخ في كتب السنة
غير مطابق للشروط فهناك مطابقات أيضاً ولا ندعي أن عدم التطابق ١٠٠٪، إلا أنه عند
الشيعة لا يحصل مطلقاً رؤية الهلال قبل تكوّنه كما هو الحال في هذا المثال من مئات
الأمثلة.

فلا عليك من تحقيقاتنا فقد تطعن بها باعتبار البعد عنا وعن معرفتنا والتهمة لنا بالتحيز
حسب سوء الظن المفترض رغم أننا ننقل المحسوس الملموس وليس التخيل أو التقول، ولكن
ما تقول في إجماع علماء الفلك السنبيين في البلدان السننية على أنه خلال خمسين سنة
مضت لم يوفق أهل السنة لصواب الحكم بالثبوت إلا في ٨٪ وقد عرض ذلك الدكتور محمد
عودة في برنامج (بلا حدود) على قناة الجزيرة* وهذا ليس سراً بل إن صحاح مرصد
حلوان ومخالفة الأزهر في أحد السنين بناء على بيان شديد اللهجة من مرصد حلوان: بأن

* بُثَّ البرنامج مع محمد شوكت عودة (رئيس المشروع الإسلامي لرصد الأهلة) بتاريخ ٢٠٠٨/١/٢ م على شاشة قناة الجزيرة
الفضائية، وبالإمكان مراجعة نص الحوار على موقع القناة على الإنترنت.

الحكم بالهلال إنما هو حكم به قبل تولده أصلاً وقد سخر البيان بعقول المسلمين الذين يقبلون الحكم بالرؤية لهلال لم يتولد بعد، وقد قال الدكتور محمد عودة كلمة طالما كنا نردها في المؤتمرات وفي الندوات الخاصة حين نسمع بمن يطالب بإيجاد مرصد أو قمر صناعي لمراقبة الهلال فكنا نقول: ما فائدة ذلك إذا كان حكام المسلمين يرونه قبل المرصد والقمر الصناعي بل قبل الملائكة لأنهم يرون غير الموجود أصلاً، فقد قال الدكتور محمد عودة نفس الكلمة لمن طالب بوجود آليات رصد علمية حيث اعتبر أن المشكلة هي دعوى الرؤية والمشاهدة بما لا يستطيع القمر الصناعي ولا المرصد رؤيته، وأتذكر في سنة ١٣٨٧ هـ طلب المرجع السيد محسن الحكيم استيراد تلسكوب صغير خاص بمراقبة القمر لتعليم الطلاب في مدرسة الحكمة فرفضت السلطات العراقية السنية ذلك بشدة، ولا أعرف ما كان جواب الحكومة الحقيقي في ذلك ولكن سمعت في وقتها أن أحد الفضلاء علق عليهم قائلاً: إذا كانوا يعتقدون إننا بهذا التلسكوب سنتفوق عليهم في موضوع ثبوت الهلال فهذا لا يلزمنا لأنهم يرونه قبل أن يراه صاحب المرصد وقد شاع ذلك التعليق في وقته.

وقد نقل لي شيعي عن أحد علمائنا أنه زاره قاضي بغداد في يوم العيد، وروى له قراءته لكتاب الحيوان وذكر فيه: إن من عجائب الحيوانات رؤيتها للأشياء بما لا يعقل فهناك صقر يرى غذائه على مسيرة ثلاثة أيام. فقال له ذلك العالم الشيعي: لماذا تعجب شيخنا فقاضي بغداد يرى الهلال قبل رؤية الناس بثلاثة أيام! وهذا الحادث بحدود الأربعينيات من القرن الميلادي الماضي، فالقضية معروفة وقديمة ولم أعمم وأظلم يا صديقي بل إن الظلم الحقيقي هو التعامي عن مشكلة حرمان الناس من إتمام طقوسهم الدينية بالشكل المجزئ والمبرئ للذمة.

ومن العجائب أنني شاهدت في هذه السنة في ذي الحجة من سنة ١٤٢٨ هـ شيخاً وهابياً من السعودية على إحدى قنوات الفضائيات يستنكر على الناس النقد لمخالفة علماء الفلك فقال أن الصوم والفطر والحج بيد السلطان وعبادات الناس مرهونة بأمر ولي الأمر فهو إذا قال في اليوم الفلاني (موقف عرفة) فمعناه أنهم ملزمون بالتعبد بهذا اليوم ولا دخل لرؤية الناس في ذلك، وهذا من غرائب التبشير للسلطين من دون رادع ديني، فبرك هل هذا كلام فقيه يعرف قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين»؟

ويا صاحبي فإن المدرسة السننية هي من قرر متابعة السعودية في مؤتمر إسلام آباد في الأهلة، ولكن السعودية لم تقبل أن ترضي أحد من المسلمين بقناعة علمية ودينية، فلماذا تقبل المدرسة السننية المتأخرة هذا القرار؟ وكل الأعياد والتواريخ للدولة العثمانية وما تابعها هي للمدرسة السننية وقبلها العباسية والأموية وكلامنا مع هذه المدرسة على هذا الأساس من المسؤولية.

ثم إن كلامنا عن مراقبة أكثر من ألف وأربعمائة سنة من الخلاف في هذا الموضوع ونحن ندعي أنه خلال كل هذه المدة لم نخرج كشيعة مرة واحدة عن الضابطة الشرعية وعن حديث الرسول الأكرم عليه وآله الصلاة والسلام الذي ذكرته، بينما لم يلتزم الجانب السنني بأي ضابطة خلال طول هذه المدة وإن نسبة إصابة الواقع عند أهل السنة قليلة جداً. وأذكرك -إذا كنت تعلم سابقاً- أنه وقع خلاف من أول سنة هجرية وهو هل كان محرم تلك السنة في يوم ١٥ تموز سنة ٦٢٢ أو يوم الجمعة ١٦ تموز سنة ٦٢٢ -من التاريخ البيوليانى وليس الغريغوري- كما نذهب وقد أيدت معايير الرؤية البصرية ما نذهب إليه (طبعاً الخلاف لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما كان بعد ذلك بمدّة

حين تمت المعادلة بين السنين الهجرية القمرية والميلادية الشمسية) وهذا يدل على رغبة عجيبة في سبق الزمن وعدم ضبط العبادات بشكل متعمد رغم أهميتها الدينية. فما تبريرك لمن يتعمد أن يفطر الناس في رمضان؟ أو يحج بهم في غير يوم الحج؟ ولو قلت لي أنهم لا يعلمون فسأقول لك أنت مشتبه وهذا التاريخ الطويل من الصراع والكلام والنصائح لأكثر من ألف سنة، فنحن نقول كل هذا الزمن إنكم تتعمدون عدم إصابة الصوم والحج حتى أننا اضطررنا لوضع أحكام فقهية للعيد والحج تقيية لأن الحكام يخالفون حديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ويعاقبون من لم يتابعهم على مخالفتهم ولا يقبلون مطلقاً أن يغيروا الخطأ فما يفعل المسلم غير تقيتهم في سبيل تحصيل إبراء ذمته أمام الله مع هذا الإرهاب والظلم والجور.

وقد حدث معي شخصياً أنني في سنة ١٩٨٦ م وضعت برنامجاً لمعايير الرؤية وبعثت إلى الباحث الفلكي حميد مجول النعيمي* عبر وسيط أن نشترك في ذلك البحث فجاءني الرد أن تهديداً بالقتل صدر لكل من يحاول أن يقيّد موضوع الحكم بالهلال فتركنا الموضوع ثم بعد مدة هرب النعيمي وهو سني المذهب إلى الأردن وغيرها، ولم يسمع له أي حاكم كما لم يسمع لغيره ممن ينادي بخطأ هذه الأحكام في ادعاء رؤية الهلال قبل تولده أو في ظروف لا يمكن فيها الرؤية.

* وهو حالياً مدير جامعة الشارقة في الإمارات.

خلل نظرية كانط الأخلاقية

(كانط) كان أشبه بالفكر المعتزلي مع نكهة حشوية، وفي الستين من عمره كتب كتابه الشهير «نقد العقل المجرد» فقد كان ينتقد التجريبيين وكذلك القائلين بتجريد العقل عن التجربة. وفي أواخر حياته كتب «نقد العقل العملي»، وهنا خرج كلياً عن العقل العلمي وفلسفته في معيارية الأخلاق، ويبدو أنه تأثر بالفكر الأشعري في نفي مدركات العقل العملي بإشكالات خارج محل الخلاف وبعيدة عن محل الإبتلاء، فأصبح في آخر حياته يشير إلى نسبية الحقيقة مع أنه كان ضد هذه الفكرة تماماً وكان يقول بمدركات العقل النظري والعقل العملي.

فيبدو أنه لا يمانع من الأخلاق على نحو المصلحة (نفاق أخلاقي = الأخلاق البراغماتية).

وهنا نحن نؤكد أنه بدون القول بمدركات العقل العملي لا يوجد أخلاق إلا أخلاق النفاق وهي ليست أخلاق في الحقيقة بل هي ممارسة سلوكية لتجمع أخلاقي عندهم لأهداف مصلحة لا علاقة لها بنفس القيم وإنما بما تدر من ربح.

إذن، فإن (كانط) يعرض عدة صور أخلاقية مختلفة في مسار حياته، وفي النتيجة يأخذ بالفكر الأشعري النافي لأي ميزان للأخلاق بل النافي لفعل الفرد بالأساس وهو فكر قائم على شبهة يهودية قديمة ومعروفة وهي عويصة في الفلسفة وعلم الكلام.

ضرورة آدم في نظرية دارون

نظرية دارون مبنية على جملة فرضيات أساسية فيها ويستدل عليها بأنواع من الأدلة الخاصة وذلك لتفسير نشأة الحياة والتنوع الحاصل في الأحياء.

الفرضية الأولى: التوالد الذاتي.

والفرضية الثانية: نظرية الطفرة لتفسير الاختلاف.

والفرضية الثالثة: الإنتقاء و الإنتخاب الطبيعي.

وأدلة دارون هي: التشابه الشكلي أو التشريحي وكذلك المستحاثات في الطبقات الجيولوجية. وأدلة ثانوية أخرى ولكن بعد دارون بمائة عام أضيفت أدلة أخرى منها فحص الجين الوراثي وفحص نظير الكربون للتأكد من العمر وغير ذلك من الأدلة المخبرية.

الآن نأتي إلى تطبيق أهم الفرضيات وهما الانتخاب الطبيعي والطفرة .

فأما التوالد الذاتي فهو بعيد عن خلقة الإنسان ويستدلون به على تكون الخلية من لا شيء وهذا ليس بحث وجود آدم وخلقته.

في الإنسان سنسير بطريق عكسي ، ونسأل السؤال التالي :

هل تطور الإنسان عمًا قبله نتيجة طفرة؟ أم نتيجة تطور تدريجي بطيء جدًا؟

إذا كان نتيجة تطور تدريجي انتقائي فلا بد من أن يكون هناك آلاف الوسائط بين الإنسان وسلفه سواء كان النياندرتال، أو القرد الشمبازي أو غيره، لأن النياندرتال لا يقترب بالإنسان جينيًا ولا بالقرود حسب الدراسات وإن كان الشبه بينهما في الأعضاء والوظائف وكان يرتبط بالقرود مباشرة؟ ولكن أيضًا وجد أن لا رابط بالقرود فقالوا بأن الإنسان والقرود من سلالة واحدة في وقت متأخر وأظنه في السبعينات من القرن العشرين لأجل حل مشكلة الإختلاف، فهنا السؤال أين هذه الوسائط بين الإنسان وسلفه؟ لو كان ذلك حقيقة.

العلم لم يستطع إثبات أي وسائط رغم السعي الحثيث ورغم إرادة التزوير من أجل اثبات ما يؤمنون به، فليس هناك أي وسائط حتى أنهم ادعوا وجود جثث لأناس من مليوني سنة ولكن تبين في ما بعد أنها لقرود موجودة حاليًا أو منقرضة من نفس سلالة القرود كما حدث لفتاة كينيا حيث تبين أنها قرود.

الخلاصة، أن لازم القول بالتطور التدريجي هو العثور على وسائط لا تعد ولا تحصى ولكن البحث انتهى بهم إلى عدم العثور على هذه الوسائط بالتغيرات الطفيفة.

فإذن، لا يمكن تفسير ظهور الانسان إلا بالطفرة الجينية من أحد المخلوقات السابقة عليه والتي لم نعثر على عينها (مع ملاحظة أن الدراسات الحديثة أثبتت أن الطفرة إما ضارة وهي الأكثر وأغلبها ممرض أو مميت أو نافعة وهي لا تظهر على شكل الكائن الحي أو محايدة، والطفرة التي تحدث بدلاً في نوع المخلوق لم يتوصلوا إليها وإنما يحتملون أنها توجد في روابط "دي ان آيه" في نطاق معين يوحي بالطفرة لتشابه الجزء مع جين مخلوق آخر في نفس "دي ان آيه"، ولكنهم لحد الآن يعتبرون هذا مجرد فرضية يجب اثباتها

لأنهم عثروا على الروابط في الحمض النووي ولكنهم لم يستطيعوا اثبات أنه من هنا كانت الطفرة).

وهنا نقول: إن نفس هذه الطفرة في هذا الكائن لتكوين كائن مستقل اسمه الإنسان هي نقطة بدء مخلوق جديد حتى لو فرضنا أنه من النياندرتال لأن اختلاف الجين وعدم توافقه لا يهيم مع الطفرة فإن الطفرة تعني تغير الجين فلنسلم بهذا، وإن واجهتنا مشكلة أن النياندرتال إنقرض قبل ٣٥ ألف سنة بينما هذا الإنسان الحالي لا يوجد أي دليل على وجوده قبل خمسة عشر ألف سنة فالفارق بينهما عشرين ألف سنة، فلننّباله ونقول بإمكانية أن يولد الإنسان من طفرة من نياندرتال ما قبل وجوده بعشرين ألف سنة فإن اللامعقول معقول في نظرية دارون.

إذن، هذا الكائن الذي حدثت به الطفرة قبل حوالي خمسة عشر ألف سنة هو آدم، ومنه تناسل البشر.

ولا يوجد أي مانع علمي حسب نظرية دارون في هذا الفرض، بينما هناك موانع كثيرة في فرض التطور التدريجي تفرضها نفس نظرية دارون وتمنع حصولها لعدم القدرة على إقامة أي دليل بوجود آلاف الفروض المحتملة لتطورات بطيئة بين الكائن السابق وبين الإنسان الحالي، وعدم العثور لا يعني منطقيًا عدم الوجود ولكن لا يمكن فرض وجود مع عدم العثور فهذا تبرع دجلي، أي من ناحية الدليل فإن ما يفرض واقعيًا لا بد أن يعثر عليه مع كل هذا البحث والتنقيب لأكثر من مائتي عام.

وهنا نأتي إلى حقيقة تم اكتشافها بعد اكتشاف مندل لقوانينه الوراثة وبعد تطور البحث الجيني بالتقنيات الحديثة، وتحديد معالم الحمض النووي الـ DNA فإن نتائج كل

البحوث عن كل البشر تدل على أن كل البشر من أب واحد، له معالم إنسان شرق البحر المتوسط وهم يقصدون إنسان وادي الرافدين، ولم يعثروا على إنسان خارج عن هذا الأب المشترك، وقد تم تكذب إدعاء علماء أستراليا بأن إنسان أستراليا وإنسان غينيا من نسل كائن ثان هو بالتزاوج بين النياندرتال وبين الإنسان، وقد قيل بأن هذا البحث فيه نواقص وفرضيات مسبقة مع أن تسلسل نسب عوائل الـ DNA (السلالات البشرية) موجودة على النت تقسم كل سلالات البشر وفق التدرج السلالي في النسب، وكلها تنتهي لأب واحد حتى إنسان أستراليا.

وهذا الأب الواحد هو آدم ، وليسمه ما يسمه المشكك أو اللاديني ففي النتيجة هو نفسه في الواقع الخارجي.

لماذا خلقنا الله؟

هناك عشرات الأجوبة، وسأجيب بجواب للطرفة والابتسامه.

خايب الحظ يسأل دائماً لماذا يساعدنا فلان ولماذا تنعم علينا الدولة؟ ولماذا .. ولماذا ..؟

ولكنه ما سأل نفسه يوماً لماذا أرضعتني أمي وسهرت معي؟

لأنه مستفيد بلا منية وهو يخاف أن يمن عليه منعم ما، لأنه لا يحب أن ينعم عليه شخص ويمن عليه.

إن من يسأل لماذا نزلت عليّ النعمة كنعمه الوجود يحتاج إلى جلسة مصالحة مع الذات ليستخرج الجواب من داخله بأسئلة مرتبة، هل الوجود أفضل أم العدم؟ هل مقسوم لي النعيم أم الجحيم؟ هل أنا من يختار النعيم الأبدي أم غيري؟ هل يحسن شكر المنعم أم يحسن الإساءة إليه؟ .. و.. إلخ.

وعندها سيجيب نفسه بنفسه.

بصراحة، إن من يسألني هذا السؤال أرى أن يدخل دروس ابتدائية في الإنسانية قبل أن أجيبه، لأنه يفكر بطريقة غير إنسانية إطلاقاً، فبدل شكر المنعم يعترض على النعمة وينسب إليه الشقاء عدواناً وظلماً وجهلاً.

على كل، هناك أجوبة دينية وأجوبة كلامية وأجوبة فلسفية وأجوبة عرفانية لهذا السؤال تُطلب في مواقعها.

الولاية الخاصة والولاية العامة

الولاية (العامة أو المطلقة) دعوى كبيرة وعامة، وكلامهم ليس في مطلق الولاية وإنما في الولاية المطلقة فإن الخاصة منها قطعية ولا يكاد يقام شرع في مجتمع حتى لو كان منعزلاً بدونها.

يكفي لعدم القول بالعامة أو المطلقة التشكيك في مبانيها أو أدلتها، ويكفي لعدم القول بها التضييق في تعريفها ومصاديقها، ويكفي لعدم القول بها التصريح بشرعية بديلة عنها قائمة مقامها سواء بطولها أو بعرضها، فهذا نفي للإطلاق والعموم.

هذا بالإضافة إلى التصريح بنفي الأدلة أو بنفيها أو تعيين غيرها.

نعم ليس كل من لم يقل بالولاية العامة قائل بولاية الأمة على نفسها، وذلك لأن هناك من يقول بولاية الفقيه الخاصة المقيدة، ولعلمهم الأغلب. ومن يقيد الولاية الخاصة تقييداً كبيراً قد لا يجد حلاً لإدارة أعمال الأمة إلا بالحسبة وهي من الإمضاء، بخلاف من يضع قيوداً خفيفة.

وللتمييز بين من يقول بالولاية الخاصة المقيدة وبين من يقول بولاية الأمة على نفسها نستطيع أن نميز بالطريقة التالية: إذا كان الفقيه يقول بأن الحكم وحفظ النظام من حق الأمة ومن حق الناس بل من تكليفهم الخاص فهذا قول بولاية الأمة على نفسها، وشرعية الحاكم فيها مستمدة من توكيل المكلفين بها، وإذا كان يقول بأن الولاية مجعولة للفقيه من الشارع على حفظ النظام فهذه هي الولاية الخاصة. ولا يكفي القول بمقتضيات الحسبة

لأنها أعم من الجميع ، بل هي تتماشى مع أقل درجات الولاية لأنها نوع من أنواع الحلول الاجتماعية السياسية الآنية الممضاة.

وبهذا التمييز يتبين الأمر لكل من يريد أن يفرّق.

فمن يريد أن يثبت نسبة القول بالولاية العامة لفقيه عليه أن يكشف عن تصريح تام له بالولاية (العامة) ليس فيه أي تشكيك أو توضيح في المفهوم. فكل من لا نستطيع اكتشاف قوله بالولاية العامة فهو قائل بغيرها لمقتضى طبيعة عموم الولاية وللتكليف حين الشك بالزائد.

لهذا فكل من لم نستطع إثبات قوله بالولاية العامة فهو قائل بخلافها. فكيف بمن يصرح بعدم كفاية أدلتها؟

وعلى هذا قس ما حاولت إثبات نسبته إليه كالشيخ النائيني رحمه الله. فهو مصرّح بحق الأمة في إدارة أعمالها، ومصرّح بالشرعية البديلة، وقد صرّح بتضييق صلاحيات الولي وهذا ضد الولاية العامة، وصرّح بمناقضة الاستبداد الديني وهو ضد إطلاق الولاية، وصرّح بعدم كفاية الأدلة على الولاية، فالشيخ النائيني رد كل ظهور مدعى في الولاية العامة، وقد توقف في الرد الابتدائي للظهور في مقبولة عمر بن حنظلة بعد أن وصفها بأنها أحسن ما يستند إليه في المقام ولا بأس بظهورها، ولكنه في النهاية استشكل في القول بعموم الولاية ممثلاً لها بتعيين الجمعة أو إمامها، فإذا كانت الولاية لا تشمل مثل هذا فقد انقلبت إلى غير العموم والإطلاق بلا شك ولا ريب، ولا يشك في ذلك من له معرفة بأصول كلامهم.

وسأورد تمام كلامه ليبين لك وجه الرد، وإن كنت أشك بأن تقبل ما تقرأ هنا. لأنك سوف ترى قبول الظهور ورد الإشكال عليه، ولن ترى رفض الولاية بأساسها الذي يعني عدم

الاعتناء بالمقبولة. وهذا خلاف رغبتك، وكل دين خلاف الرغبة الارتكازية عند مقلدة الناس باطل (وللتنبية فقد أورد بعد المقبولة رداً على دليل قالوه أيضاً وهو مسألة صرف سهم الإمام فقد قيل أنه لولا الولاية الممنوحة لما جاز صرف سهم الإمام فرد بأنه من مصاديق الأعراف وليس من مصاديق الولاية).

فانظر قوله في منية الطالب - تقرير بحث النائيني للخوانساري ج ٢ ص ٢٣٦ :

«نعم، لا بأس بالتمسك بمقبولة عمر بن حنظلة، فإن صدرها ظاهر في ذلك، حيث إن السائل جعل القاضي مقابلاً للسلطان، والإمام (عليه السلام) قرره على ذلك، فقال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجلين من أصحابنا تنازعا في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة، أيحل ذلك؟ ... إلى آخره. بل يدل عليه ذيلها أيضاً، حيث قال (عليه السلام): "ينظر إلى من كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً" فإن الحكومة ظاهرة في الولاية العامة، فإن الحاكم هو الذي يحكم بين الناس بالسيف والسوط، وليس ذلك شأن القاضي. ثم إن وجوب أداء سهم الإمام - أرواحنا له الفداء - إلى الفقيه ليس إلا من باب أنه أبصر بموارد صرفه، بعد العلم بأنه (عليه السلام) لو كان حاضراً لصرفه، [وكيف كان فإثبات الولاية العامة للفقيه بحيث تتعين صلاة الجمعة في يوم الجمعة بقيامه لها أو نصب إمام لها مشكل]».

أقول: يا سيدي الكريم إذا كنت تفهم النصوص الفقهية فهذا النص لا شائبة فيه، وإذا كنت ترى فيه شائبة فهذا يعني أنك لست مؤهلاً للفهم أصلاً. وهذا جواب طالب مبتدئ وليس فقيهاً كاملاً حيث له اعتبار آخر بعنوان التصدي.

كل ما ناقشت به الشيخ علي وما ناقشتني به أستطيع أن أردّه بالتفصيل ولكن كالعادة سوف لن تفهم ردي وتنسخ وتلصق ما تراه متعارضاً، ويطول الكلام على فراغ. أرجو أن تبين ما تريد بالضبط؟ لنتفق معك أو نختلف.

هل عندك أطروحة تتعلق بموضوع الحق؟

هل ترى كما يرى الشيخ مالك وهبي بأن الحق غير أصيل وأن لا حق في البين وإنما هناك تكاليف، فتفضل وبيّن لنا كيف تكون شيعياً إمامياً ولا تقول بالحق؟

وإذا كنت تقول بالحق فبيّن لنا كيف تتعامل مع هذا الحق؟ وكيف تؤسس عليه نظرية دستورية فقهية لبناء مجتمع مدني قابل للتعامل مع ظروف غير موثية إسلامياً؟ هل تعلم بأنني شخصياً أميل للنظر لولاية فقيه معينة؟

ولكن عليك أن تكون مرثاً في مجابهة الأفكار، وليس بطريقة القص واللصق وبطريقة الفهم بالقلوب.

فأين قلتُ أن الشيخ بشير عدو الولاية المطلقة؟ وأين قال الشيخ النائيني أنه يقول بولاية الفقيه المطلقة؟

وإذا كنت لا تفرّق بين من يقول بولاية الفقيه المطلقة التي لا يسأل فيها الفقيه وبين من يقول بالمسائلة فكيف يمكن الحوار معك؟

وإذا كنت لا تفهم التخريج للحمل على الأحسن لمن تحب، فتراه إساءة فكيف يمكن التفاهم معك كما فعلت مع الشيخ علي؟ مع أن الحق معه، وأنت لم تفهم ما يقول من مبرراته التي في صالحك.

وإذا كنت لا تفرّق بين مقامي الثبوت والإثبات فقد اعتبرت الفرض إثباتاً واعتبرت دعوى الظهور المجرد من دون الرد إثباتاً، فكيف يمكن الحوار معك؟

وإذا كنت تردّ على إشكال (الدور) في الحق بجوابك عن النسبة بين المقبولية والانتخاب، وان النسبة بينهما العموم، فما علاقة هذا بذاك؟ فكيف تريد أن تحاور الآخرين يا أخي الكريم؟

وإذا كنت لا تفرّق بين المرجع المرحوم السيد جواد التبريزي النجفي وابنه السيد محمد تقي وبين المرجع الشيخ جواد التبريزي حفظه الله، فكيف يمكن التفاهم معك؟

وإذا كنت لا تدري بأن عظيم منزلة السيد محمد تقي التبريزي حفظه الله وتأهيله العلمي عندهم إنما بعثه مراقباً للبرازيل لمراقبة اللحوم البرازيلية للتذكية الشرعية. فبماذا نتكلم معك؟

وإذا كنت تريد من المرجع أن يطلب مستوى الدقة لكتيب ثقافي يخاطب الجماهير بنفس دقة الفقيه، ولا تفرق في الأطروحتين، فكيف نتحاور معك؟

وإذا كنت لا تفهم كلام السيد السيستاني حفظه الله، وتدعي بأن لا دلالة فيه على التوقف على الانتخاب، فكيف تريد منا أن نحاورك وبأي أسلوب؟ مع أنه يقول أن لا حاجة للرسول نفسه للولاية العامة، وهذا لم تفهمه فماذا اعمل لك؟

وإذا كنت لا تفهم ما قاله الناثيني في كتيبه تنبيه الأمة: «ومن هنا يثبت لدينا بما لا شك فيه نيابة الفقهاء والنواب العموميين في عصر الغيبة في ما يتعلق بإقامة الوظائف المذكورة».

وأنه يقصد به الوظائف الحسبية وليست وظائف الولاية العامة المطلقة، وهذه قد قلنا إنها تحصل مع جميع النظريات ولا علاقة لها مطلقاً بنوع الولاية وشكلها، مع أن هذا الكتيب مكتوب للعامة وللسياسيين المثقفين، ولم يكتب للفقهاء ولكن فيه جوهر نظريته كما هو معلوم. وقد عرض النظرية متهجماً على السلاطين وعلى رجال الدين الشيعة على السواء، وقد اعتبر رجل الدين أسوأ من السلطان، لأنه من الصعب إقناع العامة بباطله باعتباره متسرّب بالقداسة.

ومن الغريب أنك تعتبر ذهابه إلى عدم الحاجة للفقهاء في الأمور الحسبية بل كفاية اخذ إذن الفقيه ثم يتنزل إلى جواز أن تكون من عموم الناس، بأنه قول بالولاية العامة؟! يا أخي أتفهم ما تنقل؟

إنه يقول أن (الولاية العامة) لا حاجة لها أصلاً في الأمور الحسبية، حين فقد الفقيه أو عدول المؤمنين، يعني أنه يصحح حتى من الكافر القيام بالأمور الحسبية، ولا يحتاج إلى شرعية. فما علاقة هذا الكلام بإثبات ولاية الفقيه المطلقة العامة؟

ومن العجب أنك لا تدري أن ما تنقله ينفي الولاية العامة جذرياً، ولكنك حين تقرأ كلمة ولاية ووظيفة الفقيه فتعتقد أنه قول بولاية الفقيه العامة. وهذا من العجب العجائب.

إذا كان هكذا فيا سيدي كل العالم يقول بولاية الفقيه المطلقة.

ولكن قل لي كيف يدير الفقيه الولي المطلق بلدًا مثل لبنان؟ هل تعطيني تصورًا شرعيًا؟ أم أنك ترى أنه بلد كفر يجب الهجرة منه؟ وكيف يحكم الفقيه الولي العام في بلاد مثل السعودية؟ وهل يجب أن يكون الشيعي هناك مواطن من الدرجة السادسة بعد الهنود والسيرلانكيين؟ أم هناك حقوقًا شرعية يمكن أن نطالب بها، ونتحاكم على أساسها في المحاكم الشرعية والدولية؟ فكيف تثبت هذه الحقوق؟ وما هي صيغتها الشرعية؟ ابتداءً في فقهننا وبعد ذلك نسأل عن فقه الآخرين.

ولا أدري يا سيدي ما أعدد لك، ولكنك مصر على تحويل البحث إلى غير وجهته، وبطريقة لا تتصل مطلقًا بالعلم وبالفقه. ولو كان لديك ذرة من فهم الفقه لعرفت أن الشيخ علي فقيه بامتياز، ولكنك استصغرتَه واعتبرته لا يفهم بقدر فهمك، استنادًا إلى تحزّب مرجعية لا يقول بها الفقه الشيعي.

يا أخي الكريم أرجوك بيّن ما تريد؟ وما هي مشكلتك؟ حتى نتعاون جميعًا على حلها عسى الله أن يهدينا للحقائق.

وأما طريقة أن تنقل ما لا تفهم، مدعيًا الدلالة، فهذا قد يأتي عليك بالندم المستقبلي حيث ستكبر معارفك وستعلم القضية بشكل تتأسف وتزعج من عدم نصحك.

وما قلت لك هذا الكلام إلا حين تذكرت موقفًا عظيمًا للمرحوم المرجع الكبير السيد محمد سعيد الحبوبى أستاذ السيد محسن الحكيم رحمهما الله، فقد كان السيد الحبوبى شاعرًا وفقهياً كبيراً ومرجعاً سياسياً واجتماعياً كبيراً وكان مجلسه يعج بالأدباء، وصادف أن جاء للنجف في أحد الأيام رجل مدعيًا خدمة الحضرة الحيدرية على مشرفها السلام، بأنه شاعر وحين سمعوا شعره أدركوا أنه أضحوكة فأخذوه إلى مجلس السيد محمد سعيد

الحبوبي رحمه الله، وقالوا بأن هذا الشاعر المفلق لديه قصيدة وبدأ بإلقائها فأدرك السيد أن هؤلاء أتوا به ليسخروا منه، فقال له فوراً: توقف يا هذا، وأعلم أن هؤلاء أرادوا أن يسخروا منك، وأنا كمتدين لا أقبل أن يقع مؤمن في موطن سخرية، ولهذا أقول لك أنك لست شاعراً، وما تقرأه مدعاة للسخرية، فلا تعرض نفسك لهذا الحال، ووفقك الله. فقبل الرجل يده وسكت. وهذا من عظيم تدوين وإنسانية هذا الرجل، وهو مدرسة لنا لتعلم الشجاعة، فننصح كل أخ يأخذ في نفسه مقلباً، ويجعل من نفسه مصدر تندر وهو يعتقد أنه يحسن صنعاً.

فلا يغرنك يا أخي قلة من يفهمون الفقه في هذا الموقع، ولكن لا تستقلهم فهم بالعشرات وهم يقرؤون سكتة، ويتدمرون من مثل هذا الشغب، وبعضهم راسلني متذمراً.

وسأقص عليك طريقة تنبهنا لسلك المقلدة، ففي سنة ١٣٩٤ هجرية أو حواليها، جاءني شاب مبتدئ في الحوزة، وطلب مني إعانته في فهم الرسالة العملية لأنه لا يفهم من أستاذه، فوافقت قربة إلى الله تعالى، وكان أول مبحث طلبه مني في نجاسة الخمر، حسب رسالة السيد الخوئي العملية، وحين وصلت إلى الاسبيرتو (الكحول) وحكمه، نسيت نفسي بأنني أكلم طالب مقلد مبتدئ، فتعرضت لرأي السيد الخوئي وبدأت بالإشكالات عليه ورد الإشكالات ورد الرد، بأسلوب تعليمي واضح، فظهرت عليه علامات الفهم مما شجعني بالاستمرار بدون شعور مني، ثم بدأ وجه الشاب يحمر ثم يحمر ثم يزداد حمرة، وانفجر في وجهي غاضباً فقال: «هل تدرسنى الإيمان أم الكفر؟» فقلت له: أين الكفر فيما نحن فيه؟ فقال: أنت ترد على المجتهد، والراد على المجتهد راد على الإمام، والراد على الإمام راد على الرسول، والراد على الرسول راد على الله، هذا كفر صريح، وتعليم الناس الباطل، وهو عمل لا يغتفر وجزاؤك جهنم. فضحكت وقلت له: اهدأ وسأعلمك بما تقول. فقلت له:

إذن يجب أن اشرح لك ما أنت مقبل عليه من العلم في مدارسنا، وهل من حق الفقيه بيان دليل الفقيه الثاني وردّه أم لا؟ وشرحت له خصائص مدرستنا الشيعية وما ينبغي فيها من أساليب التفكير الحر، والتدريب على الاجتهاد، واستمر معي بضعة شهور، وعرف كيف يتحوّل من مقلد متعصب إلى متعلّم حر، وهو الآن من خيرة العلماء العاملين الذين تفتخر بهم الحوزة العلمية حفظه الله ورعاه.

فكلي حب لك ونصيحة أبوية وإيمانية، أن لا تتباحث في مسألة فقهية قط في حياتك، لأنك في الفقه عشرة أصفار على الشمال، إلا أن تتعلم جيداً وتدرس الفقه بشكل متين. وأنصحك أن لا تتحدى الأقوياء فإنك منكسر لا محالة، ومهزوم بالضرورة، لضرورة انجذاب الكواكب للشمس. وهذا لا يرضيني فصدّق شفقتي عليك وحيي لك. خصوصاً وأنا أرى لو انبرى إليك الشيخ علي لكنت في موقف حرج جداً أو أنك تخرج فقهاء آخرين لا يعرفون الفقه جيداً فيدخلون في حيص بيص. وإن كنت متأكداً أنك لا تفهم جميع كلامي هذا وسترد على العادة .

فيا أخي الكريم حين نصرّ مع فقيه على شيء يصرح بخلافه، ويتحاشى إحراج مؤمن، فلا ندفعه دفعاً لأن يصرّح لنا بما لا نقبل، وعلينا جميعاً، أن نعرف أن دفع الطرف المقابل على كشف جهلنا بأمر ما، لا يسيء إلى العارف وإنما يسيء إلى المتعرّض، فقد نرى من العارف إعراضاً متواصلًا عن شيء يعرف حسن إعراضه عنه لاعتبارات يعرفها، ولكن بالإصرار الشديد واللجاجة يمكن أن يصرّح بأشياء تفاجئ المصرّ وهو لا يعلم بها.

وأخيرا اختصر القول أنك تريد أن تستدل بمطلق الولاية على الولاية المطلقة، ولا تلتفت إلى أن أي قيد أو تخصيص يخرج الإطلاق عن إطلاقه ويخرج العام عن عمومه. فتأمل في هذا أيديك الله ورعاك وإذا كنت مصراً فأرجو أن تعذرني.

الولاية عند السيد السيستاني والميرزا النائيني

نقلت عن كتاب الحكومة الإسلامية لسيدنا المرحوم الخميني رضوان الله عليه وهذا غير دقيق^{*} لأن الكتاب بقلم السيد محمد تقي بن السيد جواد التبريزي حفظه الله وهو عبارة عن فهم السيد التبريزي لبحث السيد في ولاية الفقيه وترجمته لهذا الفهم من اللغة الفارسية إلى العربية، وبهذا يظهر الكثير من الاختلافات الدقيقة بين التقرير وبين فكر الإمام الباحث نفسه، وهنا القضية محلولة فإن السيد قدس الله نفسه الزكية قد كتب الموضوع بخط يده وبالعربية في كتابه البيع وناقشها مناقشة محترفة بعيدة عن الإنشاء كما ورد في كتيب الحكومة الإسلامية، والعالم يأخذ من المصدر ولا يلتفت لما فيه مشاكل في التواصل، وعليه فإن المرجع في كلام السيد الخميني قدس الله سره هو كتابه العلمي العالي الذي خطه بقلمه الشريف وهو خال من هذا القول.

ما ورد عن رأي النائيني فهو يرى أن الولاية بمعنى الأولوية على السلطنة الأصلية ثابتة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بخلاف استاذه الآخوند، وهذا ما رفضه السيد السيستاني ورده في موضوع قلع نخلة سمرة، وقال أن هذه الولاية ليست ولاية عامة وإنما ولاية على الأمور العامة التي تمنح لأي حافظ للنظام.

قال النائيني قدس سره:

^{*} وقد نقل الكاتب القول بان الميرزا النائيني قدس سره قائل بولاية الفقيه العامة.

«أما الأول: ففيه أولاً أن قوله - صلى الله عليه وآله - "لا ضرر" ليس علة لقلع العذق، بل علة لوجوب استئذان سمرة وإنما أمر الأنصاري بقلع عذقه، لأنه - صلى الله عليه وآله - بإصرار سمرة على إيقاع الضرر على الأنصاري قد أسقط احترام ماله فأمر - صلى الله عليه وآله - بقلع عذقه من باب [الولاية العامة] حسماً للفساد» (منية الطالب - تقرير بحث النائيني للخوانساري ج ٣ ص ٣٩٧)

فرد عليه السيد السيستاني :

«إنه يمكن أن يكون هذا الأمر حكماً ولايتياً من قبل النبي صلى الله عليه وآله بلحاظ ولايته في الأمور العامة، (لأن قلع وسيلة الإضرار من الأمور العامة التي يتوقف عليها حفظ النظام فيحق ذلك له بما أنه حافظ للنظام وإن لم تكن له ولاية عامة على الأموال والأنفس) وبذلك يتضح النظر في كلام المحقق النائيني ومن وافقه من تخريج هذا الأمر على الولاية العامة على الأموال والأنفس فإن مجال الولاية العامة الثابتة للنبي صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى عليهم السلام إنما هو المواضيع التي لا يتوقف عليها حفظ النظام وهي المسماة (بالولاية العامة) [وأما الولاية في ما يتوقف عليه حفظ النظام فهي المسماة (بالولاية في الأمور العامة) الثابتة للفقهاء المتصدي للأمور العامة المنتخب من قبل الفقهاء]. (انتهى)

وهذا يعني أن الولاية العامة التي يراها السيد السيستاني هي ما عبر عنها الشيخ النائيني بولاية الأولوية وليس مطلق الولاية السياسية على الناس فهذه من الأمور العامة التي لا بد منها عند السيد السيستاني. وبهذا جعل من الخطأ ما قاله الشيخ النائيني: أن النبي له ولاية عامة في الأمور التي لا بد منها في حفظ النظام.

فيكون تقسيم الشيخ النائيني مردود عند السيد السيستاني باعتبار أن النائيني قسم الولاية إلى ثلاثة أقسام، قسم هو ولاية الأولوية وهذا يختص بالمعصومين وهو غير قابل للتفويض والجعل لمطلق الفقيه، وقسمان قابلان للتفويض هما الولاية العامة كما في تصرف النبي في موضوع سمرة وهو من الأمور السياسية التي ترجع إلى نظم البلاد، وانتظام أمور العباد، وسد الثغور، والجهاد مع الأعداء، والدفاع عنهم، ونحو ذلك مما يرجع إلى وظيفة الولاية والأمرء والقسم الثالث الإفتاء والقضاء.

فالسيد السيستاني يرى أن الولاية العامة للنبي محصورة في تلك الأمور التي ليست من السياسة ونظم أمور المجتمع وحفظ نظامه وهي مجال ولاية الأولوية، وأما هذه فهي لا تحتاج إلى ولاية عامة لأنه يعتقد (مبدأ الحق) في حفظ النظام، فيكون السيد السيستاني أكثر تطرفاً إذا صح التعبير في نظرية الحق وولاية الأمة على نفسها لأنه رفض مفهوم ولاية النبي العامة في حفظ النظام، وتعبير آخر يقول السيد السيستاني أنه لا حاجة للولاية العامة من الأساس في هذه الأمور. وأما الولاية العامة الثابتة للنبي فهي من تكليفه واختصاصه، ولعل منها التشريع المأذون فيه والمفوض إليه، وهي ليست مبحث الفقيه. ويحدود أن ولاية الأولوية ليست من اختصاص الفقيه فهذا مسلم عند من يقول بولاية الفقيه وغيره وكلهم يرفض إعارة هذه الولاية إلى الفقيه.

ولكن جوهر نقاش السيد السيستاني هو أن ما يعتقدونه ولاية عامة للنبي إنما هي ولاية في الأمور العامة [وهي تحصل للفقيه ولغيره] ممن يتصدى لحفظ النظام أي أنه وسع من شرعية الحاكم بشكل واسع وكبير وسهل الأمر على المسلمين بشكل مريح. ويبقى أن منشأ النظرية إذا لم يكن مبنياً على نظرية الحق، فيكون طرحه بلا أسس لأن نظرية الحق التي بحثوها، لا تشمل ما نحن فيه، باعتبارهم قد حصروا الحق بما يقبل النقل والانتقال،

فانبرى الشيخ علي ليوسّع من مفهوم الحق ويعيد ضوابطه بهذا الشكل الذي قرأناه منه، وهو على اختصاره له أهمية كبيرة جداً، ليصحح ما تلتكثروا فيه من جهة الدليل الحاسم، وليصحح لمن يقول بولاية الفقيه شرعية الفعلية بالانتخاب فإن عليها نفس الإشكال ولها نفس المنشأ. وبغير ما يقوله الشيخ علي يصبح القول بمنح فعلية تفعيل الولاية بالانتخاب من اللغو لأنه بلا دليل. فنظريته تخدم جميع النظريات في الحكم وتسندها إسناداً حقيقياً.

وهنا ملاحظة مهمة وهي من ينفي ولاية الفقيه العامة من فقهاء الشيعة لا يقول بترك حفظ النظام أو بسحب الشرعية من الدولة. كما أنه لا يقول بعدم أولوية الفقيه في تمثيل هذا الحكم، لأن الفقيه عنده أعلم من غيره في مجاري الأمور ولأنه منصوب لما هو مهم جداً في حفظ النظام وهو القضاء والإفتاء، ولهذا فهم يوجبون قيام الدولة ويوجبون السعي لشرعيتها ويحبذون أن يكون القائد فقيهاً قادراً على تشخيص الأمور أحكاماً وموضوعات إما احتياطاً أو للاقتصار على القدر المتيقن المرضي به شرعاً والمنصوص عليه شرعاً، وقد برر السيد السيستاني ذلك بنص نقلته.

فما يصدر عن بعض غير المختصين من تهمة من يقول بعدم ولاية الفقيه بأنه يعطل حدود الله ويعطل قيام الدولة ويعارض مجيء الفقيه للدولة لا صحة له إطلاقاً. وبهذا يتبين مقدار توهم الكثير من الإخوة الذين شنوا حملات من الحروب الفكرية على قضية وهمية، معتقدين المناقضة التامة، وأن كلمة عدم ثبوت ولاية الفقيه تعني تعطيل الإسلام ورميه في سلة المهملات.

وحنى نفهم تنوع الولاية عندهم إليك ما قرره الخوانساري لبحث النائيني:

«لا شبهة في أن للحاكم الذي هو الفقيه الجامع للشرائط التصرف في مال الصغير والغائب في الجملة، وإنما الكلام في أن جواز تصرفه فيه هل هو من جهة الولاية العامة الثابتة له على قول، أو لكون هذا التصرف من شؤون القضاء الثابت له بلا خلاف؟

وتوضيح ذلك: أن للولاية مراتب ثلاث:

إحداها - وهي المرتبة العليا -: مختصة بالنبي وأوصيائه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، وغير قابلة للتفويض إلى أحد،
واثنتان منها قابلتان للتفويض.

أما غير القابلة: فهي كونهم - عليهم السلام - أولى بالمؤمنين من أنفسهم بمقتضى الآية الشريفة: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} وهذه المرتبة غير قابلة للسرقه، ولا يمكن أن يتقمص بها من لا يليق بها.

وأما القابلة للتفويض:

فقسم يرجع إلى الأمور السياسية التي ترجع إلى نظم البلاد، وانتظام أمور العباد، وسد الثغور، والجهاد مع الأعداء، والدفاع عنهم، ونحو ذلك مما يرجع إلى وظيفة الولاية والأمراء.

وقسم يرجع إلى الإفتاء والقضاء.

وكان هذان المنصبان في عصر النبي والأمير صلوات الله عليهما، بل في عصر الخلفاء الثلاثة لطائفتين، وفي كل بلد أو صقع كان الوالي غير القاضي، فصنف كان منصوباً لخصوص القضاء والإفتاء، وصنف كان منصوباً لإجراء الحدود ونظم البلاد والنظر في مصالح المسلمين.

نعم، اتفق إعطاء كلتا الوظيفتين لشخص واحد لأهليته لهما، إلا أن الغالب اختلاف الوالي والقاضي، ولا إشكال في ثبوت منصب القضاء والإفتاء للفقهاء في عصر الغيبة» انتهى. منية الطالب - تقرير بحث الناثيني للخوانساري ج ٢ ص ٢٣١.

فهذه هي الفهرسة للولاية التي قدمها الناثيني رحمه الله وقرر ما يقبل الجعل والنصب للفقهاء وما لا يقبل التنصيب، ولكن السيد السيستاني لم يقبل أن تكون موارد حفظ النظام بحاجة إلى ولاية عامة أصلاً، حتى يفكر فيها بجعل أو بغير جعل، وهذا يعني بحسب رأيه أن الولاية العامة هي في غير مورد حفظ النظام، نعم هي قابلة للجعل والتنصيب بلا إشكال، ولكن القول بالقابلية للجعل لا يعني تحقق الجعل فهنا محل الإشكال عند الناثيني فهو يراها من موارد الجعل قطعاً، فقال: «لا إشكال في قابلية المرتبة الثانية من الولاية للجعل والإعطاء للغير ممن له الولاية على الناس» وهذا واضح في مرتبة الثبوت والإمكان، لا التحقق والإثبات.

ومن الغريب حرصك على إثبات القول بالولاية العامة لأعدى أعداء الولاية المطلقة كما يوصف وهو المرحوم الناثيني، فيا أخي إن هذا الحرص عندك نابع من قضية أساسية وهي الشعور والتوهم بأن إثبات رفض أي عالم محترم لولاية الفقيه العامة إنما هو إهانة كبرى ونقيصة يجب القضاء عليها عند من يقول بالولاية، وهذا في غاية الفساد بل قلنا إن

الجميع متفق على الشرعية وإعمال السلطة وحفظ النظام وإنما الاختلاف في منبع الشرعية وبعض تفصيلاتها.

أما الشيخ النائيني نفسه فهو شديد الحساسية من موضوع السلطة المطلقة ويعتبرها استبداداً مهما توفرت جوانب التقوى والعدالة ويطالب بإشراك الشعب في السلطة وتحديد صلاحيات الحاكم بشكل يجعله مسؤولاً أمام الأمة، وأن السلطة الحقيقية للأمة والحاكم مؤتمن من قبل الشعب: وهذا بعض ما قاله في كتابه تنبيه الأمة وتنزيه الملة في باب شرح حقيقة الاستبداد ودستورية الدولة:

«وبالجملة فهذه السلطة (الاستبدادية) عبارة أخرى عن الربوبية والألوهية، بخلاف النوع الثاني (سلطة الشعب) فإن حقيقته ولبّه الخالي عن القشور عبارة عن ولاية على إقامة الوظائف الراجعة للدولة. وبعبارة ثانية هي أمانة نوعية في صرف قدرات البلد في مصالحه، لا في الشهوات والميول الفردية. ولذا فإن سلوك الحاكم محدود بحدود الولاية على هذه الأمور ومشروط بعدم تجاوزها، وأفراد الشعب شركاء معه في جميع مقدرات البلد التي تنتسب للجميع بشكل متساوٍ، وليس المتصدون للأمر إلاّ أمانة للشعب، لا مالكين أو مخدمين. وهم كسائر الأمانة مسؤولون عن [= إمام] كل فرد من أفراد الأمة، ويؤاخذون بكل تجاوز يرتكبونه، ولكل فرد من أفراد الشعب حق السؤال والاعتراض في جو يسوده الأمن والحرية، وبدون التقييد بإرادة السلطان وميوله».

ثم قال بعد ذلك: «وبالجملة، فإن أساس النوع الأول من السلطنة مبني على الاستبعاد واسترقاق الأمة وفرض التحكم والأهواء عليها، وعدم مشاركتها - فضلاً عن مساواتها - للسلطان، ويتفرع على ذلك عدم مسؤولية السلطان عمّا يقوم به. كما أن النوع الثاني مبني

على أصل تحرير الأمة من هذه العبودية ومشاركة أفراد الأمة ومساواتها مع الشخص الوالي في جميع الشؤون، ويتفرع عن ذلك مسؤولية الوالي عما يقوم به».

وقد قال في باب الشبهات التي أثرت حول الحكم الدستوري:

وقد حاول البعض أن يثير عدة مغالطات حول هذا المبدأ، أما مسألة الحفاظ على العدالة في إجراء المبدأ الأول (مبدأ الحرية) وصيانتها من التبدل والانحراف فهو يرتبط بالمبدأ الثاني وهو مبدأ المساواة بين آحاد الشعب ومساواتهم مع الشخص الوالي في جميع الأمور.

في زيارة الغدير الغراء نقرأ هذه العبارة في وصف سيد الأوصياء عليه السلام: "وأنت القاسم بالسوية والعدل في الرعية"، حيث تشير إلى ما قلناه بخصوص مبدأ المساواة، ولكن أهمية هذا المبدأ وكونه الركن الثاني في سعادة الشعب وأنه يحول دون استثثار المتصددين بالنعيم والملاذات ويمنعهم أيضاً من القيام بأعمال استبدادية، كل ذلك حداً بالبعض لأن يرسوا لهذه العبادة صورة قبيحة تثير النفرة والاشمئزاز لدى المسلمين وغير المسلمين».

وفي الكتاب كلام كثير في ذم الولاية المطلقة لغير المعصوم ومحاولات كثيرة إثبات إن المراقبة للحاكم أيا كان (سواء كان مرجعاً دينياً أو سلطاناً دنيوياً) هي الضابطة العاصمة من الإنزلاق، وفيه يصنف الحكم الاستبدادي إلى صنفين صنف سلطوي دنيوي وصنف ديني ويعتبر الديني أسوأ واعقد من الصنف الأول.

وأما رأيه الفقهي فهو واضح وقد رد جميع الأدلة على نقل الولاية العامة للفقهاء، فقد رد حتى ما اعترف فيه باحتمال الدلالة على الحكم أو ما هو أعم من الإفتاء بمقبولة عمر بن حنظلة فقد علق عليها بعد أن ذكر أنها من أحسن ما يمكن أن يتمسكوا به فقد قال بعد ذكر المقبولة في منية الطالب - تقرير بحث الناينيين للخوانساري ج ٢ ص ٢٣٧:

«وكيف كان إثبات الولاية العامة للفقهاء بحيث تتعين صلاة الجمعة في يوم الجمعة بقيامه لها أو نصب إمام لها مشكل وهذا واضح في ردها لا ادنى شبهة» بعد أن قال: «نعم، لا بأس بالتمسك بمقبولة عمر بن حنظلة، فإن صدرها ظاهر في ذلك».

كما أنه رد جميع الأدلة النقلية التي اعتمدها، بقوله في كتاب المكاسب والبيع - تقرير بحث النائيني للآملي ج ٢ ص ٣٣٥:

«ولا يخفى عدم دلالة شيء من المذكورات على مزيد من إثبات وظيفة تبليغ الأحكام إلى الناس وإن أقوالهم حجة في مقام التبليغ ويجب على الناس متابعتهم فيما يبلغونه، وكونهم كأنبياء بني إسرائيل ليس دليلاً على إثبات الولاية العامة لهم إلا بتخيل عموم التشبيه، ولكنه مدفوع بأنه لم يعلم من أنبياء بني إسرائيل كونهم بما هم الأنبياء ولاية على الناس، بل الظاهر المستفاد من الرجوع إلى سيرهم عدم تصدي أكثرهم إلا لتبليغ الأحكام»

وقد رد الظهورات الثلاثة التي ذكرها الشيخ الأنصاري من التوقيع الشريف المهم:

كتاب المكاسب والبيع - تقرير بحث النائيني للآملي ج ٢ ص ٣٣٧:

«وقد استظهر منه المصنف قدس سره دلالاته على اثبات الولاية العامة للفقهاء بشواهد ثلاث:....»

ذكرها.... ثم عقب عليها:

«هذا محصل ما أفاده (ولا يخفى ما فيه) حيث إن شيئاً من الشواهد المذكورة لا يوجب ظهوراً في اللفظ يشمل بظهوره اللفظي لغير تبليغ الأحكام لأنها وجوه استحسانية أجنبية عن باب الظهورات»

وأخيراً اذكر أخي فن السماء والأخوة الكرام أن البحث هنا ليس في ولاية الفقيه وإنما في مبدأ (الحق) الذي يخدم ولاية الفقيه وغيرها في التبرير الشرعي للانتخاب والاختيار، ومعالجة مشكلة نقض الغرض التي طرحها الشيخ علي في موضوع تحديد الاختيار لمن ثبت له حق الاختيار، إن استطاع أحد المعالجة في الحكم.

الولاية عند السيد السيستاني

السيد السيستاني حفظه الله يفرّق بين «الولاية العامة» و«الولاية على الأمور العامة» وهذا صحيح جداً بآرك الله فيك، والتفريق له أسبابه وجذوره. ومن معطياته أنه يرى أن ادعاء تطبيقات الولاية العامة كما في قضية سمرة المهمة، إنما هي تطبيقات الولاية «في الأمور العامة»، وهذا «لا يحتاج» إلى ولاية فقيه فضلاً عن ولاية نبي، كما رد على الشيخ النائيني رحمه الله في تلك القضية الخطيرة.

ولكنه لا يثبت الولاية على الأمور العامة للفقير بما هو «فقيه»، وإنما يثبتها لمن «يتصدى لحفظ النظام» كائناً من يكون، فهذا هو مقتضى حفظ النوع بهذه الصلاحيات، إلا أنه أعمل أصالة الاحتياط في تعيين الفقيه حين الشك في المطلوب وهذا قد بينته مفصلاً.

وهو لا يقول بالتفعيل بالمقبولية وإنما يقول بالتسبيب بالمقبولية.

والفرق بين التفعيل والتسبيب هو أن القائل بالولاية المطلقة يرى أن أساس الشرعية جعلي، ولكنه موقوف على المقبولية في التفعيل، بينما من يرى أن الانتخاب نوع توكيل فهو «سبب» في منح الشرعية الأساسية في التصدي لحفظ النظام، ولهذا فهو لا يؤمن كشيخي «بمطلق التصدي لحفظ النظام» من جهة السيف أو الحيلة أو الغدر أو التوريث السلطاني إنما يكون «بتسبيب» التوكيل وهو الانتخاب عنده، وهو نفسه المقبولية أي قبول عامة الشعب ب. وهذا فرق جوهري كما عرضت بخدمتكم.

فإذا علمت بأنه يثبت الولاية على الأمور العامة دون الولاية العامة كما تصرّح الآن فاعلم أن كتابتك السابقة لم تكن في محلها، أيدك الله، إلا إذا كنت ترى اتحادها، ولا معنى لتفريق السيد حفظه الله، وهذا كما ترى.

وأما ما تفضلتم به من محاولة إثبات القول بالولاية المطلقة لعلماء نعرض نظريتهم السيد الخوئي والسيد السيستاني والشيخ النائيني وغيرهم أو ما افردتم من موضوع عن الشيخ المفيد بأنه يقول بالولاية العامة المطلقة، فهذا في غير محله. ولكن لعدم فائدة التفصيل اعتذر عن البيان. وغاية ما أستطيع قوله أن ما قدمته هو عكس المطلوب، وهذا يعود إلى أن هذه المباحث تحتاج إلى صناعة. ولهذا ليس عليك النزول لهذا المستوى وإنما التعطف لقبول المقدمات الآلية حتى نتقارب في الصناعة وهذا غاية الكرم من جنابك الكريم.

غالب الشابندر وأفكار حزب الدعوة

وأما الأفكار التي طرحها غالب الشابندر على الشاشة فأغلبها هي من منتجات حزب الدعوة سواء القديمة منها أو الجديدة وسأفصل بعضها واعتذر عن البعض الآخر لأسباب احتفظ بها:

الدمعة الغيبية: هذا تعبير قياسي (استاندرد) عند حزب الدعوة لوصف البكاء على الحسين عليه السلام، فغاية الأمر أنه تكلم كثيراً في تبرير هذا الوصف، وكان أفراد حزب الدعوة يصفون المنبر الحسيني ومواكب العزاء بجملة أوصاف مهينة منها (الدمعة الغيبية) باعتبارها لا تستلهم الثورة الحسينية في طلب السلطة والعمل الفدائي في طلب السلطان الذي به يمكن تحقيق الدولة الإسلامية [يعني هذه الذي نراها الآن في العراق بقيادة الحزب الضرورة والقائد الضرورة لهذا الحزب].

التغني بالجسد الإنساني في قضية تَعَنِّيهِ بجسد الراقصة المغنية شاكيراً: وهذه ثقافة قياسية (استاندرد) لحزب الدعوة تبناها كجزء من متطلبات المرجعية الحركية الواعية (المنفتحة) على الواقع التي كان ينظر لها الكثير منهم أكثر مما نظر لها مرجعهم السيد فضل الله، حيث كان يستخدم تقليب النصوص الدينية على بعضها كخلطة الإسمنت لتنتج اعتناءً بالجسد ولذاته بوصفه مقدسة تماماً مستندة لنصوص آداب الفراش وقوانين الحب والاعتناء بالجسد وعدم وجود الدليل على التلذذ بالجسد مما استدعى تنبيه المؤمنين إلى استغلال الفرصة لعدم تفويت العادة السرية كما هو معلوم بالضرورة، وهذه ثقافة تم الصراع عليها طويلاً من المؤمنين، وهي ثقافة حزبية أساسية في هذا الحزب. وكان من جملة اساليب

البرهان في ثقافة هذا الحزب هو إدخال آراء ولمعات السيد الخوئي العلمية بتحريف عجيب غريب، كما فعل غالب الشابندر حين عرض استنكار السيد الخوئي على من يقول بجواز نظر الخاطب إلى فرج المرأة المراد الزواج منها، حيث يرى أن الوارد هو النظر إلى جسدها من وراء لباس خفيف للتأكد من سلامته قبل العقد لئلا يحصل غرر أو تدليس في أصل العقد، وهذا ليس عجيباً فقد كان ديدنهم هذا واستدلّاهم بهكذا لمعات كثير حتى اعترض الفقهاء من تلاميذ الخوئي على هذا الاستهتار العلمي قائلين: إن السيد الخوئي يقول أنه ليس من مهمة الفقيه بيان غير الأحكام الإلزامية من مباح فضلاً عما هو مسكوت عنه! فلماذا ينشر هؤلاء ما يمكن أن يكون مقدمة للوقوع بالحرام بلا احتياط وكانت هذه من أكبر التهم على منهج السيد فضل الله في مجال الفتيا بالإضافة إلى التصدي من دون أهلية أصلاً كما يعتقدون بينهم وبين الله.

كره ولاية الفقيه: وهذه من مرتكزات هذا الحزب وأساسياته بل إن هذا الحزب ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك حيث قرر بأن على الفرد في الحزب أن يقدم أوامر الحزب على حكم مرجع تقليده، ومسألة التضاد مع ولاية الفقيه هي أهم ما أعلنه الشيخ مهدي الآصفي من سبب لترك الحزب وترك منصب الأمين العام، حيث أعلن ذلك في اجتماع الحزب الاستثنائي سنة ١٩٩٥ أو بعده بشهور، قائلاً: «إن تدينه يمنعه من الاستمرار بحزب لا يؤمن بولاية فقيه عادل كالموجود فعلاً وعملاً، ولهذا فإن بقاءه في الحزب يعتبر إثماً شرعياً». وترك منصب الأمين العام واستقال من الحزب فأصبحوا أيتاماً بلا فقيه أصلاً، فتركز عندهم دور الفقيه بالأجرة (تاكسي) حيث اعتمدوا فقيهاً لا يؤمن بهم ولكنه يوفر التمويل وغطاء التمويل الأجنبي ويوفر لهم التبرير الجاهز لكل ما يطلبونه مع فقاهة عصرية

ونظرة واقعية (انفتاحية) للسياسة والتلون السياسي وحاجات المجتمع العصري في الشؤون الشخصية (بانفتاح كامل على الواقع).

وأما (السيستانيّة) بلا سيستاني وبلا سيستانيين، فهذا من أصول دعوتهم الحالية وأفكارهم الجديدة لضرب نظرية ولاية الفقيه مع عدم الالتزام بالسيستاني نفسه، وهم يفسرون القضية ليس بالنظرات الفقهية وإنما بالسلوك العملي حيث أن السيد قَبِلَ قيام دولة لا تقام على أساس إسلامي وإنما على أساس حفظ النظام، ولهذا اسموا قائمتهم دولة القانون وقواتهم حفظ النظام، تعبيراً عن منهج السيستاني بدون ارتباط به لنبذ منهج ولاية الفقيه، ومن المعلوم أنه في النجف هناك الشيخ الفياض يقول بولاية الفقيه بالدليل العقلي وهم يسمونه المخبول الأفغاني، والشيخ بشير النجفي يؤمن بولاية الفقيه بالنصوص الصحيحة الصريحة، ويسمونه المجنون الباكستاني، وكلاهما يؤمنان بالولاية في الأحكام الثانوية وليس الأوليّة كما يؤمن السيد الخامنئي والسيد الحائري الشيرازي حفظهم الله جميعاً، ولا يقبل الحزب إلا أذى هذين المرجعين القائلين بالولاية والاعتداء عليهما، وأما السيد الحكيم فهو عندهم لا يقدم ولا يؤخر وعلمه لا يساوي بصلة لأنه غير حركي وغير انفتاحي. ولهذا يضيّقون على بقية المراجع ويتشدقون بالتقرب للسيد السيستاني وهو يطردهم ويعتبرهم ضالين مضلين فاسدين من أهل النار ولن يقبلهم مطلقاً ويعتقد بأنهم لو خلي الأمر لهم لقتلوه شر قتلة وهذا تعبيره بلسانه.

أما طلب غالب الشابندر تغيير مناهج التربية ويجب تبديل (المسلمون اخواننا) ب (المسيحيين إخواننا واليهود اخواننا) فهذا هو نظر حزب الدعوة بحذافيره وهو الحزب الذي يدعو إلى التنازل عن ثوابتنا الشيعية لصالح السنة واليهود والنصارى، ولهذا أجمع المراجع على نصب وزير التربية (خضير الخزاعي) وعلى انحرافه عن الإسلام فضلاً عن التشيع ولم

يسمعوا لدفاعه عن نفسه بأنه خادم المنبر وما شابه ذلك، وإنما اعتبروا سياسته التربوية سياسة غربية لا دينية وإسلاموية ضد التشيع لتضييع الهويات وخلق بشر هلامي لا صورة لهم ولا شكل ولا هوية، فهو في الوقت الذي لا يقبل مراعاة العقيدة الشيعية وفقهها ينتج كتاب التربية المسيحية وينشره في مدارس البصرة الشيعية! ولهذا حرّموا انتخابه ولتجاوز هذه المحنة قام بتعيين ثلاثة آلاف معلّم بشرط انتخابه ولكن المنتخبين له أقل من ٢٨٠٠ أي أنه حتى من أتى بهم بالأجرة لم ينتخبوه بالكامل، ومع ذلك صعد حزب الدعوة - الذي حصل على الأصوات الكثيرة بحجة رضا المرجعية عليه وسرقة إنجازات الأحزاب الأخرى وقصص بهلوانية- إلى المجلس النيابي رغم أنف المرجعية، ثم بعد ذلك قدمه كنائب ثالث لرئيس الجمهورية الكردي فالنائب الأول شيعي والثاني سني والثالث لحزب الدعوة خالص، وهنا زعل السيد السيستاني زعلاً شديداً حيث طرد السيد عمار الحكيم من جميع الأماكن التي لها علاقة بالسيستاني لكونه لم يعلن المعارضة الشديدة لتقديم عدو المرجعية خضير الخزاعي إلى نيابة رئيس الجمهورية، فخاف السيد عادل عبد المهدي لأنه شيعي بسيط فاستقال من منصبه فوراً، وبعد ذلك استغل حزب الدعوة انكشاف قضية قضائية على طارق الهاشمي حيث فلت الملف من يد الحزب (وإلا فإن ملف طارق الدموي منذ سنة ٢٠٠٣ وهو معروف ولكنه مجمّد من قبلهم بحجة الطلب الأمريكي) فقام السيد خضير الخزاعي بتهريب طارق من يد القضاء بعد أن أُلقي القبض عليه رسمياً، فأصبح السيد خضير الخزاعي هو رئيس الجمهورية الآن لمرض الرئيس الشديد وهو مجموع النواب الثلاث، جرّاء بما قام به من تدمير لتربية أبناء العراق، وكل ما يقال من فضائله أنه وقع على أوراق إعدام من أراد حزب الدعوة إعدامهم كرسائل سياسية مدعين أن ذلك

* كتب هذا الموضوع في أغسطس / ٢٠١٢م

لحفظ النظام بينما الحقيقة أنه لم يوقع على واحد بالمائة ممن حكموا بالإعدام ولم يحرك قضايا بنسبة واحد بالمائة ممن يستحقوا حكم الإعدام قانوناً وشرعاً، وإلا لتوقف الإرهاب الذي يعرفون بالتمام والكمال من يقوم به.

فما طرحه غالب الشابندر إنما هو بالاتجاه الصحيح في حزب الدعوة.

وأما قضية عيبه على الإسلام ذكر الرجل أكثر من ذكر المرأة بسبب ذكر ضمائر الذكورة أكثر من ذكر ضمائر الأنوثة: فهذا فكر حدائوي، لم يصرح به حزب الدعوة علناً وإن كان السيد فضل الله كتب في «محاضرات اسلامية / ج ٥» سنة ١٩٧٠، بأن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أخطأ حينما قال أن المرأة شرٌّ وشر منها أنه لا بد منها بل المرأة خير محض، ولم يقل أن النص غير ثابت للإمام، بل غلّط الإمام علي عليه السلام، وهذه أمور سرية لا يصرحون بها ونحن نعرفها من وقتها، ولكن من الملاحظ جداً هو استدعاء مخرفي الحدائوية المغاليس ومنحهم القصور والأموال والاجتماع بهم في دواوينهم كأحمد القبانجي وغيره، ومن لا يعلم فليعلم، ونشر كتب الحدائوية في الجامعات وتدريبها وتدریس القول أن الإسلام كان صالحاً لزمانه وأن النبي كان ممتازاً لزمانه ولكن الإسلام لا يتمتع بالصالح الزمكاني، ولهذا علينا تطوير الاسلام بإسلام ذو مبادئ جديدة تناقض المبادئ القديمة غير الصالحة للتطبيق مثل النظرة للمرأة وصورة نظام الحكم والأحكام الشخصية والتشدد في المعاملات برفض الفائدة البنكية وما شابه ذلك من دعوات تدرس في جميع الجامعات بما فيها جامعة الكوفة في النجف التي لها الآن أكثر من خمسة اساتذة يدرسون أبنائنا الحدائوية وأخطاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلما يستنكر عليهم تزداد مراتبهم حتى أن احدهم رفعت عليه قضية أخلاقية بالفعل بطالباته فارتفع شأنه ورقّي منصبه، ولو شئت أن تعرف كيفية نشر الحدائوية حتى بين طلبة الحوزة فإنك تلمس ذلك بنشر جميع

كتب الحداثوية في سوق الكتب بالحويش في النجف فستعجب على تنوعها ووفرتها ورخص أسعارها.

وأما قوله بأن الله هو المتشائم الأكبر: فهذا لعله من عقله الذي تركزت في المعايير الجنونية فأنشأت هذه الفكرة، وهذه لم نسمعها من حزب الدعوة لحد الآن إلا إذا كانت نظرية سرية لهم فهذا لا علم لنا به والله أعلم. ولكنهم مساكين منشغلين بما هو أهم وهو التكويش على مال العراق وقوته وسياسته لتحويل كل الشعب العراقي إلى انصاف سنة يكرهون مرجعيتهم ويستنهضون بالحسين والقضية الحسينية.

وأما تقديمه الفعل على العقل: فهذا من شعارات الحزب المأخوذة من شعارات الحزب الشيوعي (نفذ ثم ناقش) وهم يقولون بأن الحزب لا مجال فيه للنقاش بعد صدور أمر الحزب، وقد كنت عثرت على اقتناء قادتهم لكتاب (في التنظيم الثوري للبنين) من أجل إيجاد طرق التنظيم الخيطية وغيرها، وقد اعترف بذلك سماحة شيخنا العملي الشيخ علي الكوراني في كتاب «إلى طالب العلم» حيث كانت إحدى مؤاخذاته داخل قيادة الحزب على السرية والخيطية الرهيبة. فافروا كتابه اللطيف.

فيا حبيبي علي صراط الحق جعلك الله مع علي صراط الحق والاستقامة لم يطرق غالب أموراً ليست من حزب الدعوة وإنما كان صريحاً أكثر من اللازم بلا دبلوماسية، ومعروف عن شخصيته ذلك، فهو بلا أي دبلوماسية وبلا قشور ولا تغطية، وأما إنكار كونه مفكراً فهذا غير صحيح، فهو يعتبر من ألمع مفكريهم رغم خلافه في الثمانينات معهم ككلهم حيث اختلفوا مع كلهم كتدبير حزبي، وقد كانت دراساته الفلسفية في شبابه تعتبر من العلامات البارزة لشباب حزب الدعوة وكتابه المهم (البداء عند صدر الدين الشيرازي) وهو

رسالة أكاديمية من الدراسات الرصينة، وما يقال من تحقيره لمجرد الاختلاف معه فهو غير صحيح.

نعم رأيت بعض كبار حزب الدعوة -كما ذكروا لي شخصياً- أنهم يعتبرونه أصبح علمانياً بعيداً عن الدين، وهذا قول متدينينهم الذين ابتعدوا عن السلطة وأما أهل السلطة فقربوه وأكبر دليل هذا البرنامج في القناة التي لا يظهر فيها إلا ما يريده الحزب فقد فصل مدير الاعلام العراقي السابق لكونه سمح بظهور السيد محمد تقي المدرسي خلافاً لسياسة الحزب كما فصل قبله المدير لكونه أصر على برنامج (الإرهاب في قبضة العدالة) المشوه لصورة الإرهاب السني البعثي في العراق واتهموه بالفساد الأخلاقي وما شابه ذلك ولكن كان إخراجهم بصفقة جميلة وهي ابقاء راتبه الشهري ٢٥ ألف دولار مدى الحياة وتعيينه سفيراً للعراق لدى دولة الفاتيكان جزءاً لما ادعوه من فساد الأخلاقي.

اغتيال علماء العراق

من يعرف العراق يعرف أن العراق متختم بالعلماء وخصوصاً حملة التقدير العلمي لما بعد شهادة الدكتوراه الأستاذية (البروفيسور) فهم بالعراق بكميات كبيرة جداً يستطيعون تحويل البلد إلى واحة غناء، ولكن تم قتل الكثير وتهجير الكثير ويقول هؤلاء أن المقتولين ٥٥٠٠ عالم، لكن هناك أكثر من ٢٠ ألف عالم تم مضايقتهم وتهجيرهم أو ركنهم في زاوية عدم الاستفادة العلمية والعملية. وهذا كله بعهد الحكومة التي يقال عنها زوراً أنها شيعية، فيبدو أن العراق لا يوجد فيه إلا البلهاء السياسيين الكذابين الذين يسرقون المال العام والخاص بشبهة عجيبة، أو كذا يقولون ويصورون البلد بلا بديل.

ومع ذلك فلا زال عندنا العلماء العباقرة الذين لا يشق لهم غبار ولكنهم في طور الكبت وعدم الحماية.

إذا أردتم أن تعرفوا لمن تتوفر الحماية فهي للأُميين والإرهابيين والقتلة والصوص وما شابه ذلك من الأنواع الراقية جداً في المجتمع العراقي.

هل يعلم الأخوة أن تسعين بالمائة أو أكثر من هؤلاء هم من الشيعة؟

هل يعلم الأخوة أن القتلة الفعليين هم عصابات بعثية مأجورة للقاعدة التي هي مأجورة لإسرائيل، وبعضها بيد القاعدة بإشراف مخبرات إسرائيلية وأجنبية وقد عرفناهم حديثاً في قضايا فشلت بأيديهم وتم تخليص العلماء بطريقة شعبية وليس من قبل الدولة فالدولة والجيش الأمريكي كانوا لا يقبلون التدخل في غير شؤونهم.

أنا شخصيًا فجمعت بالعديد من أقاربي وأصدقائي.

لا أنسَ الدكتور حسن الربيعي رحمه الله ذلك الشاب العظيم المبدع في مجال الطب حيث كان له تصورات ممتازة للنهوض بالجانب الطبي في العراق.

ولا أنسَ البروفيسور الدكتور إياد الخفاجي رحمه الله الذي ابتكر العديد من المواد الكيميائية النادرة وكان يتسابق مع الدراسات في الجامعات الإسرائيلية فما أن يقرأ في المجالات العلمية توجهًا عندهم حتى يسارع إلى تطويره في العراق وإنشاء جيل من طلبة الدكتوراه للابتكار وغالبًا ما كان يسبقهم في النتائج، ومن جملة انجازاته استنباط مادة كيميائية لقتل خلايا السرطان قوتها ١٠٠ ضعف قوة السيزبلاتين وأن أثرها الجانبي أقل من عشرة بالمائة، وقد اخترع مئات الأدوية والمواد الكيميائية وكان آخر عمل يعمل عليه استخراج المعادن النادرة من كربون العادمت في المولدات الكهربائية العملاقة والمصانع بما يكفي أن يتحول العراق إلى منتج مهم للمعادن النادرة وهي بحدود خمسين معدنًا تستعمل في الهياكل التكنولوجية.

ولا أنسَ الدكتور ثامر العامري رحمه الله الذي توصل إلى السيطرة على الغرغرينيا التي عجز الأطباء من معالجتها إلا بالبتري.

وهناك المئات الذين لا يسع المجال لذكرهم ولانجازاتهم، وهؤلاء ليس لهم أي صلة بالصواريخ أو القنابل النووية أو الاسلحة الكيميائية. فمن المعتالين مئات الحقوقيين ومئات الفيزيائيين والكيميائيين ومئات رجال الدين والفكر الحر ومئات الأطباء حتى كادت أن تخلو مدينة الطب من الاختصاصيين لفترة أربع سنوات.

وكان الملفت للنظر هو أن غير الشيعي لم يقتل من العلماء، والبعثي العتيد تسلم مناصب عُليا من أجل إيقاف نمو البلد فأحد البعثيين استلم مركز الاخصاب وقد صرفت عليه الدولة ملايين الدولارات فقرر أن هذا عمل غير ضروري فأتلف الأجهزة وأعلنها أجهزة تالفة وأغلق المختبر وهو واحد من عدة مختبرات حوربت أيضاً وفي الغالب عاطلة، إن مثل هذا بالآلاف الآن يسيطرون على مفاصل الدولة ولو اعترضتَ سيقال لك بدون هؤلاء لا تتكون المؤسسات بينما الآخرون عرضة للقتل والتهميش.

إن التحالف بين أركان الحكم الطائفي في العراق مع الإسرائيليين لقتل علماء الشيعة يوحي بوجود تحالف مذهبي بين المذهب الحاكم وبين إسرائيل، ولعل الأزمة السورية تصور لنا كيف أن كثير أهل السنة في سوريا رفضوا التعاون مع إسرائيل فتعرضوا لهذا البلاء الكبير الذين يثبت شرفهم وأن القضية هي أن بعض اتباع تلك المذاهب لمصالح الحكام والأحزاب يتخادم مع إسرائيل والقوى المساندة لها.

فلا حول ولا قوة إلا بالله وأسأل الله أن يكشف غمة الشيعة من العصابات المنتسبة لهم كذباً وزوراً.

مقارنة بين كتابي الأمير مكيافيلي

والإمامة والسياسة لابن قتيبة

نبدأ بذكر فترة حياة الكاتبين للمقارنة الزمنية :

نيكولو دي برناردو دي مكيافيلي (بالإيطالية: Niccolò di Bernardo dei Machiavelli) (٣ مايو ١٤٦٩ - ٢١ يونيو ١٥٢٧) ولد وتوفي في فلورنسا، أَلف كتابه الأمير في حدود ١٥١٢م، كتبه للأمير لورنزو بن الأمير بيارو دي مديتشي.

وولد أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ هـ - ١٥ رجب ٢٧٦ هـ/ ٨٢٨ م - ١٣ نوفمبر ٨٨٩ م) وهو صاحب كتاب الإمامة والسياسة وله تأليف عديدة في التاريخ والحديث والفقہ السني.

إذن الفرق بينهما حوالي ٦٠٠ سنة، ويقال بأن مكيافلي أول كاتب في السياسة الانتهازية القائمة على الجريمة، وهذا هو الجهل بعينه.

الكاتبان بحثا في كيفية إدارة الحاكم لبلده في السياسة في كتابيهما. وكلاهما تطرق إلى نفس الموضوع وهو ضرورة استخدام الحاكم للأساليب اللا أخلاقية والإجرامية من أجل تثبيت أركان الحكم، ولكن مكيافلي بقي مسبة على السنة المثقفين والثوريين، وابن قتيبة نال

التبجيل والاحترام في العالم الإسلامي وهنا مفارقة ليست غريبة على من يعرف طبيعة الانقلاب على النبي محمد صلى الله عليه وآله فهذه هي الصورة الحقيقية: تمجيد الجريمة واعتبار الكذب والفسق والفجور فضائل عظيمة يفتخر بها الإنسان.

قال محقق كتاب الإمامة والسياسة طه محمد الزيني الاستاذ بالأزهر:

(.. وبعد، فإن كتاب "الإمامة والسياسة" للعالم الفاضل المؤرخ العظيم عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، من أشهر الكتب تداولاً بين قراء العربية، لما حواه من تاريخ حقبة عزيزة على نفس كل مسلم حبيبة إلى قلبه جديرة بالذكر على لسانه، فيها عرف المسلمون العزة، ونعموا بالسعادة، وأقاموا صروح العدالة، وقوضوا قوائم الظلم، وطمسوا معالم الكفر، وأوقدوا مشاعل الإيمان بهمة يتقاعس عن دركها الزمن، وعزيمة لا ينال منها الوهن).

بينما قال مترجم كتاب الأمير أكرم مؤمن: (وقد أثار كتاب مكيفلي جدلاً كبيراً عندما نشر في أوروبا لأول مرة، فهو يتناول أخلاقيات السياسة وهو شيء لم يسبقه أحد إليه، إلا أن غالب النقاد في تلك الفترة اجمعوا على ما فيه من أخلاقيات شريرة، وقالوا أن الكتاب لا يناسب سوى الطغاة الأشرار من الحكام).

وقال: (كما أن كثيراً من الجبابرة والطغاة كانوا يحبون قراءة كتابه الأمير، فيقال أن موسيليني قد اختاره موضوعاً لرسالة الدكتوراه أيام دراسته (وهذا مؤكد وليس يقال)، وكان هتلر يضع الكتاب على مقربة من سريره، ويقرأ فيه كل ليلة قبل أن ينام، فلا غرابة إذن لو علمنا أن ماكس ليرنو قد قال في مقدمته لكتاب "أحاديث" أن لينين وستالين قد تتلمذا على مكيفلي).

والمترجم لكتاب الأمير اكرم مؤمن يبالغ في الاعتذار من الشعب العربي المسلم لترجمته هذه القذارة لأن دينه الإسلامي سمح، ولا يقبل هذه الأفكار الشيطانية وكأنه أعمى بصر وبصيرة لم ير أن دعوة مكياfli هي دون ممارسة الحكام المسلمين، ولا يدري هذا المسكين أن هذه المبادئ التي نادى بها مكياfli هي شيء بسيط مما يمارسه الحاكم المسلم المعتصب الجائر منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بشهادة ابن قتيبة الدينوري في كتابه الإمامة والسياسة.

والسبب في هذا التفاوت بوصف الكتابين والكتابين، لعله في طريقة الكتابة، فإن مكياfli كتب قواعد ومقررات وتعليمات للحاكم صريحة بالسوء ينبغي الإلتزام بها وهي تحتوي على تعليم الخديعة والإجرام والكذب والغدر والإنقلاب على المنعم بصورة صريحة وصادقة، بينما ابن قتيبة روى ما قام به الحاكم المسلم في ما فعله من جرائم وموبقات وبوائق مبررة عند وعاظ السلاطين في سبيل تدعيم الحكم، فلا يجرؤ أحد بوصف ابن قتيبة بما وصف به مكياfli من الانتهازية والرذيلة والجريمة.

في سبيل اجراء المقارنة نبدأ بكتاب الأمير لمكياfli:

بدأ الكتاب بذكر أنواع الحكم واهمية اختيار نوع الحكم ومصادر القوة والضعف في كل نوع حكم، فقد تطرق للحكم الجمهوري والديمقراطي الشعبي والحكم الدكتاتوري وتقسيمات الحكم الشمولي إلى ملكيات وراثية وملكيات مختلطة، وبين ميزات كل نظام حكم بالنسبة للحرب والسلام والأمن والاستقرار. ونصح مكياfli الأمير لورنزو بالتوفيق بين أنواع الحكم واخذ الاحتياط للثغرات التي يخلقها نوع نظام الحكم سواء الثغرات المناسبة للأعداء الخارجيين أو للطامحين المخربين الداخليين، مع بيان أسباب سقوط الدول وهزيمتها

وأَسباب بقائها وكيفية قياس قوة الدولة، وأهمية الجيش والمتطوعة فيه وخطورة هذا الصنف من البشر وكيفية معالجته، وأخذ ينصح الأمير في الإدارة والأمور التي يستحق عليها الرجال المديح أو اللوم مثل السخاء والبخل والشدة واللين والالتزام بالعهود والغدر، ثم بحث الموازنة بين محبة الحاكم وهيبته وكيف ينال الحاكم الشهرة، وركز بفصل خاص على تجنب الحاكم للاحتقار وللكرهية.

ولنبداً برأي مكيافيلي بالمجتمع البشري ورأيه بالشعب.

المجتمع عند ماكيافيلي يتطور بأسباب طبيعية، فالقوى المحركة للتاريخ هي "المصلحة المادية" و"السلطة". وقد لاحظ صراع المصالح بين جماهير الشعب والطبقات الحاكمة، وطالب ماكيافيلي بخلق دولة وطنية حرة خالية من الصراعات الإقطاعية القاتلة، وقادرة على قمع الاضطرابات الشعبية. وكان يعتبر من المسموح به استخدام كل الوسائل في الصراع السياسي، فمكيافيلي القائل "الغاية تبرر الوسيلة" برر القسوة والوحشية في صراع الحكام على السلطة.

وبنفس الوقت كان يحتقر عامة الشعب، فيعتبر العامة غوغائية غبية وبذاكرة ضعيفة ويمكن الضحك عليها وخداعها بسرعة ويمكن السيطرة على كل الشعب بطريقة ثعلبية احتيالية بحيث لا يستطيع الحكماء فعل أي شيء تجاه هذا الكائن الغبي الذي يقتنع بما يمليه عليه الحاكم الثعلب.

وهذه مقتطفات من أفكاره ومقولاته وخلاصة مبتورة لفكرة الكتاب، لأن الكتاب نفسه مختزل ولا يمكن اختزاله بشدة فإنه يفقد معناه. ولهذا سأكتفي بذكر عينات من أقواله وأفكاره المجمعمة من قبلي:

يقول ”إنها متعة مضاعفة عندما تخدع المخادع“.

ويقول ”الطريقة الأولى لتقييم حكمة الحاكم، هي النظر إلى الرجال المحيطين به“.

ويقول ”الله ليس مستعداً لفعل أي شيء، ولكنه يسلبنا حريتنا ويشاركنا المجد الذي نحققه“.

ويقول ”إن الدين ضروري للحكومة لا لخدمة الفضيلة ولكن لتمكين الحكومة من السيطرة على الناس. كان المواطن الروماني يخشى حنث اليمين أكثر من القوانين، لأنه يهاب أولئك الذين يمثلون سلطات الرب أكثر من الرجال“.

”جميع الأمراء يريدون الظهور بمظهر الرحمة لا القسوة، ولكن عليه التأكد ألا يسيء استخدام هذه الرحمة. لا ينبغي على الأمير التردد في إظهار القسوة للإبقاء على رعاياه متحدين، لأنه بقسوته هذه هو أكثر رحمة من أولئك الذين يسمحون بظهور الفوضى بسبب لينهم. ولكن عليه أن يكون حذراً، لن يستطيع تجنب سمعة القسوة فجميع الدول الجديدة محاطة بالمخاطر. لكن بإمكانه المضي قدماً بكثير من الحكمة والإنسانية. فالثقة المفرطة ستكسبه سمعة المغفل، وعدم الثقة ستظهره بمظهر الغير متسامح.“

من هنا يأتي السؤال، هل من الأفضل أن تكون مهاباً أم محبوباً؟

الإجابة هي من الجيد أن تكون مهاباً ومحبوباً ولكن من الصعب تحقيق ذلك، والأضمن أن تكون مهاباً على أن تكون محبوباً، إذا لم تستطع أن تكون كليهما. الرجال بشكل عام جاحدون، طليقوا اللسان، جشعون ويحرصون على تجنب المخاطر. طالما أنهم مستفيدون منك، فأنت تملكهم بشكل كامل، يعرضون عليك دمائهم وسلعهم وأطفالهم عندما تكون

المخاطر بعيدة. ولكنهم يتمردون عندما يقترب الخطر والأمير الذي يعتمد على كلماتهم دون الاستعداد لإجراءات أخرى، سيزول لأنه اشترى صداقتهم ولم ينلها بنبله وعظمة روحه. يتردد الرجال في إهانة ملهمي الخوف مقارنة بملهمي المحبة، لأن الحب يتماسك بسلسلة من الالتزامات التي سيكسرهما الرجال فور خدمة أغراضهم. لكن الخوف يتماسك برعب من العقوبة لا يفشل أبداً“.

وعلى كل حال فقد أوصى مكيافيلي الحاكم الإيطالي باعتماد الجريمة وقتل الناس على الظنة والتهمة من أجل اصلاح المجتمع، كما أوصاه بالكذب والإصرار عليه، وأوصاه بقتل كل من قدم له يد المعونة وأوصله لتحقيق أغراضه (وقيل أن لورنزو قتل خاله الذي رباه وساعده على حرف مسار السلطة لتصير إليه)، كما أوصاه بالخديعة بسلب الناس أموالهم ثم ارجاع بعضها إليهم بصفة تفضل كريم بهبات ملكية لهم لاسترضائهم، وأوصاه باحتقار عامة الشعب وعدم الخوف منهم لأن ذاكرة الشعب قصيرة، وأوصاه بمراقبة النخب وقتل أو اقصاء واتهام كل من تبيين عليه علامات الطموح، وجعل شعار الغاية تبرر الوساطة نصب عينيه، فإن من كانت غايته حفظ الحكم فلا مشكلة إذا كانت الوساطة خسيصة ولا أخلاقية، وعلى العموم فإن الاخلاق عند مكيافيلي مصلحية لا علاقة لها بواقع الأخلاق وإنما هو تظاهر بالأخلاق من أجل خديعة رجال السياسة والشعب عموماً.

كما أوصاه باستعمال الدين وسيلة لتخدير الشعب مع عدم الاعتناء بالمقررات الدينية وعدم الالتزام بالدين اساساً، كما اوصى بتجريد أعدائه من السلاح والقوة وحصر السلاح بيد من ناصره وتسليطه على أعدائه، وأمره بالتسلح الثقيل وبناء القلاع والحصون الدفاعية وصنع المنجنيقات الثقيلة، واستعمال سياسة التفريق بين الناس واستمالة المشككين ضد المعاندين. وطلب منه اصطناع الوقار والترفع عن ممارسة أعمال الجند الدنيئة، وعدم اظهار الوحشية،

بل يكون مظهره لطيفاً للغاية بقلب وحش كاسر، فإن من خالف ذلك خسر كما يمثل له بأمثلة. وأمره أن لا يفعل أعمالاً طيبة بدون دراسة الفائدة منها فإن الكراهية قد تنجم عن الأعمال الطيبة بقدر ما تنجم عن الأعمال الشريرة. وعلى الأمير أن يرتكب الشر أحياناً للحفاظ على مركزه، وفي حال ارتكابه الشر عليه أن يحسن للناس بنفس الوقت، ويشيع فضائله بين الناس، فمن اعتمد الخير وحده خسر ومن اعتمد الشر وتجاهر به ولم يغلفه بالخير خسر، لأن التمسك بالخير ضعف يحتقره عليه الجند وأرباب الشر، وأن المتمسك بالشر يحتقره الشعب، والاحتقار أول طريق الاطاحة بالحاكم فمن الضروري للأمير أن يبتعد عن الخير والطيبة ليحافظ على ملكه كما يقول مكيافيلي. فهناك رذائل تؤدي إلى زيادة ما يشعر به الإنسان من طمأنينة وسعادة.

ويرى: أن الناس يحبون تبعاً لأهوائهم وإرادتهم الخاصة، ولكنهم يخافون وفقاً لأهواء الأمير وإرادته، والأمير العاقل هو الذي يعتمد على ما يقع تحت سلطانه لا تحت سلطان الآخرين، وعليه فقط أن يتجنب الكراهية لشخصه، وعليه أن يكون ثعلباً ليميز الفخاخ وأسدًا ليهرب الذئاب.

يعني عليه أن يخادع وينافق فيبدو مختلفاً وكأنه ليس هو من يزرع الخوف في قلوب الناس.

وبشكل عام فإن من يقرأ كتاب الأمير يجد أنه يوصي بأن تكون فضائل الأمير الحقيقية هي المخادعة والكذب والتلون ونقض العهود وارتكاب الفضاة والبخل والسيطرة على أموال الناس، ولكن مع التظاهر بصد ذلك تماماً، مثل الاتصاف بالكرم والجود والشجاعة والايمان بالديانة والدفاع عن الدين، من أجل كسب قلوب الشعب وجعله بجانبه فإن الشعب لا

يعرف إلا ما يراه وليس عنده قدره على تمييز حقيقة الحاكم، فأما العارفون فهم لا يستطيعون مخالفة السيل الجارف للشعب وقناعته ويخافون من أي تحرك أو قول يكشف سر الحاكم لأنهم سوف يكذبون وينتهي أمرهم على يد الشعب وأن محبة الشعب للحاكم هي السلاح الحقيقي للحاكم ضد الأخطار الداخلية والخارجية.

كما ينصح كثيراً باختلاق المشاكل لأعدائه وتشويه سمعتهم وتحسين سمعة الدولة كراعية للاستقرار والحاكم كمحافظ على الدولة وأمالك الناس وأمنهم.

أقول: (ولهذا يستعمل سياسيون الحاليون طريقة التسييط لاحتقار الخصم في نظر الشعب حتى يطردوهم من مشاركتهم في السلطة).

فهذا أهم ما يمكن اختصاره من معلومات كتاب الأمير.

وبعد هذا العرض لكتاب الأمير ننتقل إلى ما كتبه ابن قتيبة الدينوري في كيفية الحكم:

وهو كما قلنا وضعه على شكل روايات عن أحداث نموذجية يهتدي بها الحاكم، الكتاب كذلك مختزل ومركز ولا يجوز اختزاله لأن لكل قصة خصوصية فيها جهة توصية سياسية ونموذج للحكم وطريقة للتعامل مع الشعب ومع الخصوم الداخليين والخارجيين.

ابتدأه برسم صورة واضحة بأن مصلحة الحكم بعد رسول الله هو إقصاء آل الرسول والهجوم عليهم وسلبهم القدرة المالية التي يمكن أن يتحركوا بها باعتبارهم منافسين، واستخدام الدين وتحريف نصوصه وأهدافه والكذب عليه، وسيلة لافئاع الناس، مع عدم إلتزام الحاكم نفسه بالدين، مع اختراع أحكام وجرائم ضد الدين، ثم يتطور الأمر للتدخل في النصوص الدينية والتلاعب بها، ويذكر الخدع والحيل التي عملها الحاكم الذي تولى

بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكيف كانت الحيلة؟ لتشتيت ذهن الصحابة وتفريغ ذاكرتهم من كل توجيهات رسول الله في أمر الإمامة، ثم يتطور الأمر في زمن عثمان ليتحوّل الدين الاسلامي من دين يدعو لنفع الجميع والمشاركة الجماعية، إلى دين جباية لخاصة الخليفة، وأن كل الواردات هي ملك الخليفة، وشرح سبب قيام ثورة علي الخليفة الذي وصفوه بالمظلوم لارتكابه أحد عشر مخالفة للإسلام خطيرة واجمع الصحابة على خذلانه ووجوب قتله، لأنه جعل الدولة ملكاً له ولأهله، وغير أحكام الله بهواه فأخذ يأمر بتغيير الصلاة والحج والزكاة والخمس بما يراه هو حسب انحرافه الديني والأخلاقي (لم يشر لبعض مخالفات عثمان الدينية بينما أشار لبعضها الآخر).

وقد سلط عثمان - على مجتمع المسلمين ومقدراتهم - فسقة الكفار الذين لم يسلموا طوعاً قط، وإنما أسلموا كرهاً، بينما هم أشدّ عداً للإسلام وللنبي محمد صلى الله عليه وآله. ونبدأ بنقل بعض النصوص للتدليل على الاتجاه في السياسة الاسلامية (شق الخلافة) كما يعرضها ابن قتيبة.

الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٩ :

وإن أبا بكر رضي الله عنه (تفقد) قومًا تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه، (فبعث) إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده. لتخرجن أو لأحرقنهما علي من فيها، فقبل له يا أبا حفص. إن فيها فاطمة؟ فقال وإن.

ثم روى أنه جرت بين أمير المؤمنين وبين أبي بكر ملاسنة أظهر أبو بكر - فيها - ضعفاً في الحجة، وبكى وأبكى من حضر من الذين لا يدرون نواياه وظهر كالمتحير لا يعرف ما يفعل، فقام عمر، فمشى معه جماعة، حتى أتوا باب فاطمة، فدقوا الباب، فلما سمعت أصواتهم نادى بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة، فلما سمع القوم صوتها وبكاءها، انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع، وأكبدهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا علياً، فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إداً والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك، فقال: إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله، قال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه).

طبعاً هو يروي بأن أبا بكر بعد انتهاء المجلس بعثهم من جديد للهجوم على دار علي وكان يتلون ويبكي، ثم يأمر غلاظ القلوب بالاعتداء على أهل البيت واهانتهم واجبارهم.

ثم بعد ذلك خدع الناس وأوصى بالخلافة لعمر بن الخطاب والناس يتعجبون من هذا التصرف المشين: فروى ابن قتيبة بالنص:

فدخل عليه المهاجرون والأنصار حين بلغهم أنه استخلف عمر، فقالوا: نراك استخلفت علينا عمر، وقد عرفته، وعلمت بوائقه فينا وأنت بين أظهرنا، فكيف إذا وليت عنا وأنت لاق الله عز وجل فسائلك، فما أنت قائل؟

فقال أبو بكر: لئن سألتني الله لأقولن: استخلفت عليهم خيرهم في نفسي.

ثم روى أن المسلمين أغلظوا لأبي بكر فبكى وأبكى القوم، وبعد أن ذهب الناس متحيرين من هذا الشيخ الرقيق، وقد خدعهم ببكاءه وموافقتهم الظاهرية، يقول ابن قتيبة:

ثم أرسل إلي عمر فقال: يا عمر، أحبك محب، وأبغضك مبغض، وقديما يحب الشر، ويبغض الخير.

يعني القضية واضحة أنه كان يخادع الصحابة ويبرم الأمر ضدّهم وهم لا يميزون ما يجري لهم، وهنا قد اوصاه باتّباع الشر فإنه يجلب المحبة للشّير.

ثم تطرق لحوادث عجيبة غريبة من مخالفة الشرع والخديعة والجريمة، وانتقل إلى قضية عثمان وكيفية ثورة الناس عليه فقال:

(وذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، فكتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه، وما كان من هبته خمس أفريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله، ومنهم ذو القربى واليتامى والمساكين، وما كان من تطاوله في البنيان، حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة: دارا لنائلة، ودارا لعائشة وغيرهما من أهله وبناته، وبنيان مروان القصور بذي خشب، وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله، وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبنو عمه من بني أمية أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالأمر، وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلى بهم الصبح وهو أمير عليها سكران أربع ركعات ثم قال لهم: إن شئتم أزيدكم صلاة زدكم، وتعطيله إقامة الحد عليه، وتأخيره ذلك عنه، وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شئ ولا يستشيرهم، واستغنى برأيه عن رأيهم، وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة، وما كان من إداره القطائع والأرزاق والأعطيات على أقوام

بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي عليه الصلاة والسلام، ثم لا يغزون ولا يذبون، وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط، وأنه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس، وإنما كان ضرب الخليفين قبله بالدرة والخيزران). [يعني استخدم أدوات التعذيب بدلاً من التأديب بضربة أو ضربتين بالخيزرانة].

وروى أن عثمان لقي علياً عليه السلام فقال له أنه يتمنى موته ويتمنى بقاءه لأن موته فيه راحة له ولحكمه وبقائه فيه عز للدين وحل للمشكلات. وقال له من جملة ما قال وكان الإمام مريضاً وموجوعاً وقد تعصب بعصاة قائلاً:

(فأنا منك كالابن العاق من أبيه: إن مات فجعته، وإن عاش عقته. فإما سلم فنسلم، وإما حرب فنحارب، فلا تجعلني بين السماء والأرض، فإنك والله إن قتلتني لا تجد مني خلفاً، ولئن قتلتك لا أجد منك خلفاً، ولن يلي أمر هذه الأمة بادئ فتنة).

أقول: وهذا يعني انه يهدد امير المؤمنين بأن وصوله للحكم كمفتن كما وصفه لن يهدأ له بال، وهذا يعني أنه كان قد رتب المؤامرات إذا وصل علي للحكم. وهو يفسر ما جرى من اتفاق بني امية مع عدوتهم عائشة وتحريضها عليه أو نصرة تحريضها نفسها عليه.

فقال علي: إن فيما تكلمت به لجواباً، ولكني عن جوابك مشغول بوجعي. فأنا أقول كما قال العبد الصالح: (فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون).

أقول: وهذا يعني أن كلام عثمان فيه ظلم واثم كبير وهو يحمل الخديعة والدعوة لترك الحق وفيه كشف لأمر خطير دبره بعد موته.

قال ابن قتيبة: قال مروان: إنا والله إذا لنكسرن رماحنا، ولنقطعن سيوفنا، ولا يكون في هذا الأمر خير لمن بعدنا.

أي إذا سمح للحكم أن ينتقل لعلي وأمثاله فيجب أن نحارب حتى الموت ونخرب البلاد فلا يجد من بعدها خيراً في البلاد.

فقال له عثمان: اسكت، ما أنت وهذا؟ فقام إليه رجل من المهاجرين، فقال له: يا عثمان، أرايت ما حميت من الحمى (آلله أذن لكم أم على الله تفترون) فقال عثمان: إنه قد حمى الحمى قبلي عمر لإبل الصدقة، وإنما زادت فزدت.

وهنا وجد عمرو بن العاص داهية قريش أن الأمر انقلب عليه وأن حجة عثمان ضعيفة قال ابن قتيبة: فقام عمرو فقال: يا عثمان، إنك ركبت بالناس نهايبر (أي مهالك) من الأمر، فتب إلى الله يتوبوا، فرفع عثمان يديه وقال توبوا إلى الله من كل ذنب، اللهم إني أول تائب إليك. ثم قام رجل من الأنصار: فقال: يا عثمان: ما بال هؤلاء النفر من أهل المدينة يأخذون العطايا ولا يغزون في سبيل الله. وإنما هذا المال لمن غزا فيه وقاتل عليه، إلا من كان من هذه الشيوخ من أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام، فقال عثمان: فاستغفر الله وأتوب إليه. ثم قال: يا أهل المدينة، من كان له منكم ضرع فليلحق بضرعه ومن كان له زرع فليلحق بزرعه فإننا والله لا نعطي مال الله إلا لمن غزا في سبيله: إلا من كان من هذه الشيوخ من الصحابة. قال (الصحابي): فما بال هذا القاعد الشارب لا تقيم عليه الحد؟

وهكذا عالج الأمر بالكذب والحيلة والتحجج بمخالفة من قبله.

(ويعني بالشارب القاعد هو الوليد بن عقبة) وهو الذي زنا في العراء في الكوفة وصلى بالناس سكراناً وقاء الخمر في المحراب، وشهد عليه الشهود فلم يقم عليه الحد وقرّبه واجلسه جنبه في مجالس الحكم، وجعل له نصيباً من المال الذي يوزعه بين أقاربه.

ثم انتقل ابن قتيبة إلى فترة أمير المؤمنين و فترة معاوية و نختار منها هذا المقطع للاختصار، قال ابن قتيبة:

وذكروا أن النعمان بن بشير لما قدم على معاوية بكتاب زوجة عثمان، تذكر فيه

دخول القوم عليه، وما صنع محمد بن أبي بكر من نتف لحيته، في كتاب قد رقت فيه وأبلغت، حتى إذا سمعه السامع بكى حتى يتصدع قلبه، وبقميص عثمان مخضبا بالدم ممزقاً، وعقدت شعر لحيته في زر القميص (يعني هي هلست لحيته وربطتها بالكتاب للتدليل هذا إذا كان من فعلها وليس من فعل معاوية وجواسيسه). قال: فصعد المنبر معاوية بالشام، وجمع الناس، ونشر عليهم القميص، وذكر ما صنعوا بعثمان، فبكى الناس وشهقوا، حتى كادت نفوسهم أن تزهق، ثم دعاهم إلى الطلب بدمه، فقام إليه أهل الشام، فقالوا: هو ابن عمك، وأنت وليه، ونحن الطالبون معك بدمه، فبايعوه أميراً عليهم، وكتب وبعث الرسل إلى كور الشام، وكتب إلى شرحبيل بن السمط (بن الأسود بن جبلة) الكندي وهو بحمص، يأمره أن يبايع له بحمص كما يبايع أهل الشام.

(ويقصد هنا بالمبايعة كأمر أن يجمع الناس لقتال علي الذي اتهمه معاوية بقتل عثمان نتيجة الرسالة الرقيقة المبكية من زوجة المؤمن جداً عثمان الذي قتله عموم الصحابة حيث افتوا بكفره وردته عن الاسلام).

فلما قرأ شرحبيل كتاب معاوية دعا أناساً من أشرف أهل حمص، فقال لهم: ليس من قتل عثمان بأعظم جرماً ممن يبايع لمعاوية أميراً، وهذه سقطه، ولكننا نبايع له بالخلافة، ولا نطلب بدم عثمان مع غير خليفة. فبايع لمعاوية بالخلافة هو وأهل حمص.

(أقول: انتبه هذا المجرم إلى أن طلب الدم ضد الخليفة لا يمكن أن يكون شرعياً إلا من الخليفة فلا يصح طلبه من الخليفة أمير المؤمنين، فلهذا طلب المبايع لمعاوية بالخلافة حتى يكون طلب الدم شرعياً، ولكن كأنني لم أجد من يقول بأن معاوية حين قاتل علياً كان مدعياً الخلافة، فهذا غير واضح عندي)

قال الدينوري: ثم كتب إلى معاوية:

أما بعد: فإنك أخطأت خطأ عظيماً، حين كتبت إلى أن أبايع لك بالإمرة، وأنت تريد أن تطلب بدم الخليفة المظلوم وأنت غير خليفة، وقد بايعت ومن قبلي لك بالخلافة. فلما قرأ معاوية كتابه سره ذلك، ودعا الناس، وصعد المنبر، وأخبرهم بما قال شرحبيل، ودعاهم إلى بيعته بالخلافة، فأجابوه، ولم يختلف منهم أحد، فلما بايع القوم له بالخلافة، واستقام له الأمر، كتب إلى علي:

سلام الله على من اتبع الهدى. أما بعد، فإننا كنا نحن وإياكم يدًا جامعة، وألفة أليفة، حتى طمعت يا بن أبي طالب فتغيرت، وأصبحت تعد نفسك قويا على من عاداك. بطعام أهل الحجاز، وأوباش أهل العراق وحمقى الفسطاط (أي أهل مصر) وغوغاء السواد وأيم الله لينجلين عنك حمقاها، ولينتشعن عنك غوغاؤها انقشاع السحاب عن السماء. قتلت عثمان بن عفان، ورقيت سلما أطلعك الله عليه مطلع سوء عليك لا لك. وقتلت الزبير وطلحة، وشردت بأموك عائشة، ونزلت بين المصريين فمنيبت وتمنيبت، ونزلت بين المصريين فمنيبت

وتمنيت ، وخيل لك أن الدنيا فد سخرت لك بخيلها ورجلها ، وإنما تعرف أمنيته ، لو قد زرتك في المهاجرين من الشام بقية الاسلام ، فيحيطون بك من ورائك ، ثم يقضي الله علمه فيك ، ، والسلام على أولياء الله .

رد الإمام علي على معاوية

فأجابه علي : أما بعد ، فقدر الأمور تقدير من ينظر لنفسه دون جند ، ولا يشتغل بالهزل من قوله ، فلعمري لئن كانت قوتي بأهل العراق ، أوثق عندي من قوتي بالله ومعرفتي به فليس عنده بالله تعالى يقين من كان علي هذا ، فناج نفسك مناجاة من يستغني بالجد دون الهزل ، فإن في القول سعة ، ولن يعذر مثلك فيما طمح إليه الرجال . وأما ما ذكرت من أنا كنا وإياكم يدا جامعة فكنا كما ذكرت ، ففرق بيننا وبينكم أن الله بعث رسوله منا ، فأما وكفرتم ، ثم زعمت أنني قتلت طلحة والزبير ، فذلك أمر غيب عنه ولم تحضره ، ولو حضرته لعلمته ، فلا عليك ، ولا العذر فيه إليك ، وزعمت أنك زائري في المهاجرين ، وقد انقطعت الهجرة حين أسر أخوك ، فإن يك فيك عجل فاسترقه (فتأن وفي رواية النهج فاسترفه) وإن أزرك فجدير أن يكون الله بعثني عليك للنعمة منك ، والسلام .

ثم يتكلم ابن قتيبة عن قضية الحسين والأساليب الوحشية واللا أخلاقية التي اتبعها بنو أمية ضد آل الرسول لاستئصالهم .

وبدأها بتصوير من لا خلاق لهم بدين أو انسانية : قال : فنزلوا وبينهم وبين الماء ربوة ، فأراد الحسين وأصحابه الماء فحالوا بينهم وبينه . فقال له شمر بن ذي جوشن لا تشربوا منه حتى تشربوا من الحميم ، ثم بعث عبيد الله بن زياد عمر بن سعد يقاتلهم . قال الحسين : يا عمر ، اختر مني ثلاث خصال : إما أن تتركني أرجع كما جئت ، فإن أبيت

هذه فأخرى، سيرني إلى الترك أقاتلهم حتى أموت، أو تسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده، فيحكم في بما يريد. فأرسل عمر إلى ابن زياد بذلك فهم أن يسيره إلى يزيد. فقال له شمر بن ذي جوشن: قد أمكنك الله من عدوك وتسيره إلى يزيد، والله لئن سار إلى يزيد لا رأى مكروها، وليكونن من يزيد بالمكان الذي لا تناله أنت منه، ولا غيرك من أهل الأرض، لا تسيره ولا تبلغه ريقه حتى ينزل على حكمك. قال: فأرسل إليه يقول:

لا، إلا أن تنزل على حكمي. فقال الحسين: أنزل على حكم ابن زانية؟ لا والله لا أفعل، الموت دون ذلك أحلى. قال: وأبطأ عمر بن سعد عن قتاله. فأرسل عبيد الله بن زياد إلى شمر بن ذي جوشن إن قدم عمر يقاتل، وإلا فأقتله، وكن أنت مكانه. قال: وكان مع عمر ابن سعد من قريش ثلاثون رجلاً من أهل الكوفة، فقالوا: يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال لا تقبلون واحدة منها؟ فتحولوا مع الحسين، فقاتلوا.

ثم يذكر ابن قتيبة الفضايع التي ارتكبتها بنو أمية من أجل الحفاظ على سلطتهم ككذبهم وتزويرهم الحقائق في كل مرحلة من مراحلهم فقد قالوا عن أبناء رسول الله بأنهم سبباً الروم، وفي الكوفة قالوا عنهم خوارج.

ومثال آخر مهم هو قضية موسى بن نصير:

ولعلنا آخر ما نختاره هو قضية موسى بن نصير، وهو بشهادة عمر بن عبد العزيز من محبي أهل البيت واتباعهم، كما يذكر ابن قتيبة في كتابه نصاً، وقد انتدب ليقضي على فتنة ارتداد البرابرة في تونس وخسران بني أمية لأرض الاسلام من تونس إلى المغرب، فقام موسى بن نصير وشيعة العراق بهجمة قوية على المرتدين المتمردين، وعرفوا هناك بأن من دفع البرابرة لهذه الردة هو ابن الحاكم الاسباني، فقام موسى بن نصير باسقاط الدول

واحدة بعد الأخرى حتى وصل إلى الأندلس ثم إلى نصف فرنسا، فخشى الوليد بن عبد الملك أن يحتل موسى غرب أوروبا ويستقل عنه كما ذكر ابن قتيبة، بينما صرح موسى نفسه أن نيته كانت الاستدارة لأخذ بلاد بيزنطة واسقاط القيصرية في رومية تماماً ورومية هي القسطنطينية. ومن ثم أسلمة أوروبت فأمر الوليد جواسيسه بمنعه من إكمال مهمته، ولعل هذا أوفق مما نقل ابن قتيبة بأن خوف الوليد من استقلال موسى بالأندلس لأن خوف الوليد كان على الإستقلال بالأندلس وليس أن يدون فيسلمه كل أوروبا، فلماذا يمنعه إذن من اكمال حملته في وسط فرنسا ويبعث عليه؟ لعلها الكنيسة الساكنة داخل قصره.

قال ابن قتيبة بعد أن نهاء شخص اسمه حبيش من مواصلة الفتح: قال: فضحك موسى ثم قال: أرشدك الله، وكثر في المسلمين مثلك. ثم انصرف قافلاً إلى الأندلس فقال موسى يومئذ: أما والله لو انقادوا إلي لقدتهم إلى رومية، ثم يفتحها الله على يدي إن شاء الله.

أقول وهذا تصريح منه بأن نيته كانت الدوران حول المتوسط وأخذ كل بلاد أوروبا وممالكها الثلاث. والوليد إما أنه كان خائفاً أن يأتيه منتصراً فيقضي عليه أو أنه كان عميلاً للكنيسة فمنعه.

وكانت مبادئ موسى بن نصير السياسية والعسكرية قائمة على زرع الخوف والرهبنة والهيبة في قلوب أعدائه، واستمالة الشعب، وتشويش ذهن الملوك والأمراء والفتنة بينهم فجعل يقتل بعضهم بعضاً وذلك بتقليد الخطوط والكتب المزورة. قال ابن قتيبة في كيفية التخلص من صاحب قلعة أرساف الأسباني الذي أشرف على هزيمة المسلمين في تونس:

”وكتب كتاباً بالرومية جواباً لكتاب، كأنه كان كتب به إلى موسى يسأله الأمان، على أن يدلّه على عورة الروم، وكتاب فيه أمان من موسى مطبوع، فسار حتى انتهى إلى الموضع

الذي وصف له موسى، فترك الأذن بما فيها، وانصرف راجعاً في الأذن الأخرى حتى قدم على موسى، وأن الروم لما عثروا على أذن موسى استنكروها، فارتفع أمرها إلى بطريق تلك الناحية، فأخذ ما فيها. فلما رأى ما فيها من الكتب والهدية هاب ذلك، فبعث بها كما هي إلى الملك الأعظم. فلما أفضت إليه، وقرأ الكتب تحقق ذلك عنده، فبعث إلى أرساف رجلاً وملكه عليها، وأمر أن يضرب عنق صاحبها الذي أغار على سواحل أفريقية ففعل، فقتله الله بحيلة موسى".

وعلى كل حال بعد انتصاراته الكثيرة وأهمها أنه استطاع اقناع الشعوب الأوروبية بالترحيب به وبالقتال معه كما فعل في الشعوب البربرية الأفريقية حيث قاتلوا معه وانتصر بهم، فجاء موسى بن نصير إلى دمشق ومعه ثروات أكبر من خزينة بني أمية بعشرات المرات، وكان هناك صراعٌ داخليٌّ في البيت الأموي بين الوليد المريض على فراش الموت وبين أخيه هشام ولي العهد الذي يريد غنائم موسى بن نصير. فكتب هشام إلى موسى أن تأخر، بينما كتب الوليد إليه أن عجل. وأساس القضية أنه من زمن عثمان أصبحت الأحماس والغنائم ملك الخليفة يورثها لأولاده فلم يرد هشام أن تورث هذه الثروة الطائلة لأبناء أخيه الذي هو على فراش الموت وأبناؤه يلعبون به كيزيد بن الوليد وأمثاله، فكان المسكين موسى كشيعة فاقده للهوية آثر أن يجيب الخليفة باعتباره قائده الفعلي فارتكب هذه الغلطة، قال ابن قتيبة أنه بعد أن أتاه أمر سليمان بالتنهيط في المسير:

(قال: خنت والله وغدرت وما وفيت، والله لا تربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكني أسير بمسيري، فإن وافيته حياً لم أتخلف عنه، وإن عجلت منيته فأمره إلى الله. فرجع الرسول إلى سليمان فأعلمه فآلى سليمان لئن ظفر بموسى ليصلبته).

وحين وصل إلى الشام وعرض الغنائم المهولة على الوليد، قرر الوليد الصفح عن موسى بن نصير بعد أن كان نوايياً قتلته بتهمة الخيانة ومحاولة الانقلاب، وأعطاه هدية جزاء لعمله خمسين ألف درهم، بينما ما اتاه به يقدر بالمليارات من الدنانير الذهبية فأول مرة يعرف بنو أمية مقدار ألف ألف أي مليار دينار وسمعوا بأعداد وكميات مهولة لم يسمعوا بها من قبل. قال ابن قتيبة (وخرج معه أيضاً بأصناف ما في كل بلد من بزها [الثياب القطنية الفاخرة] ودوابها ورقيقها وطرائفها وما لا يحصى، فأقبل يجرد الدنيا وراءه جرّاً لم يسمع بمثله، ولا بمثل ما قدم به).

المهم أن الوليد أخذ غنائم الأندلس ومات بعد أربعين يوماً، فأتى هشام خليفةً للوليد فأخذ بتعذيب موسى بن نصير تعذيباً شديداً وكان يخرد موسى من التعب والعذاب، واستمر الأمر في التعذيب والاهانة ثم اغتيل أبناؤه القادة على أفريقيا والأندلس ومات موسى إما بالسم أو التعذيب ولم يكتب ابن قتيبة أنه في آخر حياته سلبوا ماله وجعلوه يستعطي في باب الجامع لقمة الخبز كما ذكرت الاخبار.

ولعل قصة موسى بن نصير ذكرها الدينوري بتفاصيل كثيرة لتعليم الحاكم المسلم حسن سياسة موسى وقوته وقدرته واساليبه وأهمية الغدر من الحاكم للقيادات الناجحة التي تتبع المهنية والشرف والاخلاص في العمل، وقد روى نفسه كيف أن بني أمية عذبوا خادمتهم المخلص خالد القسري بالسلاسل والحديد والنار حتى الموت، وقتلوا واغتالوا الكثير من خادمتهم الناجحين إما لسبب اخلاصهم لمن سبقهم أو بسبب تعاظم سلطة هؤلاء الخدم لهم.

وهذه هي أدنى بمراتب من السياسة التي رسمها مكياfli فهو قد عاب الغدر بالقيادات المخلصة والانتفاع بهم ومنحهم السلاح والقوة، وطلب من الأميرالحيلة معهم إذا بدرت

منهم علامات الطموح، بتغيير مهامهم ومواقعهم حتى لا تتعاضم قواهم فيشكلوا خطراً على الأمير.

بقيت ملاحظة مهمة: وهي أن مكيافيلي كان يذكر مصير من يعمل الشر وعقابه التكويني، بينما ابن قتيبة كان يترك عواقب الظلم والشر لأنه داعية للشر الحقيقي ولا يريد أن يذكروا الله وعقابه للأشرار حتى لا يخاف الشرير من فعل الشر وهكذا يتفوق الفكر الاسلامي الخلافتي على مكيافيلي وشره.

ولو قارناً بين الكتابين وبين رسالة أمير المؤمنين عليه السلام لملك الأشر رضي الله عنه لكننا رأينا تخلف الكتابين وعظمة رسالة أمير المؤمنين وأفضليته حتى على الفكر التنويري الحديث المعروفة بالسياسة النظيفة مقابل السياسة القذرة التي يدعو إليها ابن قتيبة ومكيافيلي.

ونكتفي بهذا المقدار من المقارنة.

أهمية المنهجية في الحوار مع الملحدين

الملحد ليس من حقه أن يشرّق ويغرّب في النقاش لأن المنهجية تبدأ من الحوار في اثبات أو نفي الخالق الأول. وأي بحث في خصائص الديانات أو استسخاف الأحكام كما يحلو للملحد هو تجاوز في البحث على أصل موضوع البحث.

مثلاً، لو أردنا أن نبحث عن أهمية الحمية الغذائية بالنسبة للسمين فيطرح المناقش ليجيب على الموضوع بدراسة أهمية الآيس كريم للمناطق الحارة ويصر على أنه هو جوهر الموضوع! فمثل هذا المناقش لا يستحق أن يوصف بالعلمي.

التراتبية المنهجية المرتبة مهة جداً.

لو أثبت الملحد بالدليل عدم وجود الله فيبقى كل كلام المؤمن لا قيمة له سلباً أو إيجاباً فلا يحتاج إلى إعلانه استسخاف الأحكام العقلانية المقبولة عند البشر والمجوجة عنده، ولو فشل الملحد في اثبات نفي الخالق فكل كلامه ونقده عبارة عن تجاوز وجهل مركب . هذا جواب مختصر يتعلق بالمنهج.

أما انتقاد الممارسات أو التطبيقات فهذا تحرك العاجز لأن التطبيق إذا كان خلاف التشريع عند المطبق فالنقد موجه إليه من قبل أصحاب ذلك الدين أو المذهب قبل نقد الملحد بمعايير سطحية باعتباره خالف مذهبه، وإذا كانت الممارسة وفق فقه الممارس فيوجه النقد للفقه نفسه. وهذا يقتضي أن يوجه لكل فقه على حدة ضرورة اختلاف الأسس والأحكام الفقهية

من دين لآخر ومن مذهب لآخر فلا يصح أن يشتم المسلم على حكم يهودي أو مسيحي، كما لا يصح نقد الشيعي على فتوى وهابية أو أي مذهب آخر.

وقد قيل ذلك لريتشارد دوكنز وأنه كيف ينتقد المسلمين على صورة الرب عند المسيحية، فلعله كائن بشكل آخر؟ فقال: "أنا أعرف هذا الرب ولا بد أن المسلمين عندهم نفس الرب!" .. وهذا كشف عن الجهل الواضح.

أما عن جهل المسلمين عموماً وبعض الشيعة ومحاولتهم الحوار فيما لا يعرفون فهذه مصيبة حقيقية ، بأن لا يخجل الجاهل من جهله ويعتبر نفسه بطلاً لمجرد أنه حاور، ولا يهيمه الفشل وعدم الاقتناع. وهذه الحالة كاشفة عن نواقص في الثقافة وفي السلامة النفسية . وعلى كل حال نتمنى من الملحدين أن يتفضلوا علينا بالبرهان على نفي وجود الله فهذا هو الذي يهمهم وقد تبناه كعلم كما يقولون.

هل حُرِّم الخمر تدريجيًّا؟

ليست هناك مشكلة في الفكر السني أن يجيز الحاكم بيع الخمر أو رخصة دور البغاء، فإن معاوية كان يتاجر بالأصنام وبالخمر وفرض ضرائب على العاهرات الباغيات ورخص دور البغاء، فإذا رأى مسلم سني أن هذا من المحرمات وليس من حق الحاكم مثل هذه الأحكام! فهو ممن لا يقلد بني أمية ولا بني العباس وهذا جيد. وهو اقرب للعقل والتدين. ولكن في المجتمع الذي يبلغ فيه الفجور مستوى ضاعطاً ولا ينبغي إغفال رغباته وهياجه على الرغبات، باعتباره حالة صعبة يجب معالجتها بذكاء وعمل جاد يؤدي إلى عكس ما يريده أهل المعاصي.

فماذا يفعل مثل هذا المسلم المحتاط لدينه؟

عليه أن لا يقدم بنفسه قانون يجيز هذه المحرمات.

وأن ينسحب من الإمضاء أو التصويت على أي قرار من هذا القبيل، إلا إذا كانت الرخصة لغير المسلم ممن يجيز هذه الموبقات ويعتبر هذا المحرم جزءاً من شخصيته، فعندها إن ما يقوم به هو إقرار لحكم شرعي مختلف في اتساعه وهو بيع المحرم لمستحله وعليه الاحتياط قدر الإمكان. فهذا ما ينبغي عمله للتخلص من التكليف الذي يستتبعه العقاب.

ولكن ما عمله حزب النهضة أنه صوت بالإيجاب على تخفيض الكوس على أسعار الخمر وتوفيره، و[راشد] الغنوشي يبرر ذلك بأن تدرج نزول حكم الخمر في القرآن يجيز حكم التدرج في التطبيق، وهذا جهل عجيب في الحقائق القرآنية والدينية أولاً، وخلاف سلوك المسلم من الابتعاد عن التوقيع على محرم.

الخمر لم يكن في تدرجياً في حكمه كما يدعي بعض السطحيين فكانت أول آية نازلة هي آية التحريم القاطع، وأما قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ (النساء: ٤٣) } فلا يقصد بها الخمر وإنما حالة السكر ويقصد بها النعاس الشديد وعدم الانتباه بقرينة كونه في الصلاة، فإن من لا عقل له كالسكران لا صلاة له من الأصل تخصصاً لا تخصيصاً، وهكذا ورد في التفاسير، وأما قوله تعالى: { وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا } (النحل: ٦٧) فليس له علاقة بالخمر وإنما بانتاج السكر والحلوى وليس الإسكار، ولا يقول بالإسكار إلا الجهلة واتباع السلاطين المخالفين لله ورسوله، وأما قوله تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا } (البقرة: ٢١٩) فهذه آخر آية نزلت في الموضوع، ويذكر ابن كثير بأن هذه الآية نزلت بعد آية تحريم الخمر بشكل صريح: "قال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، عن عمر أنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال (عمر): اللهم بين لنا في الخمر بيناً شافياً. فنزلت هذه الآية التي في البقرة: { يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس } فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيناً شافياً. فنزلت الآية التي في النساء". والحديث إسناده صالح وصححه الترمذي.

يعني بكل وضوح أنّ شَرَابَ الخمر من المسلمين اعترضوا على حكم الله وطلبوا البيان المقنع: وقد بيّن الله أنه محرم، وهذا معنى (فيهما إثم)، وأن فيه منافع دنيوية وهذا واقع مثل التطهير فكانوا يصبون الخمر على الجروح، واستعماله كوقود ولحل بعض الكيمياويات مما يخدم البشرية والتجارة وبعض أنواع التداوي، ولكن أتاهم الجواب أن الإثم أكبر من النفع في شربه واستعماله بهذا الشكل. فهي آية تحريم ليس فيها ترخيص إطلاقاً وما يدعى بأنه كان يفهم منها المسلمون الترخيص فهو كذب على الصحابة الخمارين.

فكل ما قاله الغنوشي عن التدرج في التشريع في الخمر لا صحة له.

وتصرفه لا يتصف بالإيمان وترك المعصية.

ومع ذلك أنا شخصياً أعتقد بأنه يعتقد من داخله بأن الخمر حلال حلله حكام بني أمية وبني العباس وبني عثمان التتري، والحاكم عندهم مشرّع وناسخ لأحكام الله كما تدل عليه أفعالهم دون أقوالهم ولعلمهم يقولون بعض الأحيان فعندهم أن عمل الصحابة ناسخ للقرآن وعمل أهل المدينة ناسخ لأحكام الكتاب، ومن لا يصدق فعلية مراجعة أحكام النسخ فإنهم يؤمنون داخلياً أن الخمر محرم في الكتاب والسنة ولكنه حكم منسوخ من قبل الحاكم المسلط على الشريعة. وعليه لا مشكلة حقيقية وما يقال في تدرج حكم الخمر إنما هو تغطية تبريرية للحكام.

ويبقى السؤال الخطير: من أين أتى الغنوشي بحكم أن التدرج بالتشريع يقتضي التدرج بالتطبيق؟

طبعاً هذا من كيسه وليس هناك فقيه سني قديم يقول بذلك، فلو قاله أحد من الفساق من وعاظ السلاطين، فهو مقترري على الله، لأنه بعد نزول الشريعة بالكامل حسب قولهم لا

يوجد تدرج، وعندهم منسوخات آية السيف أنهت كل رحمة أو عقل أو ديانة وذوق رفيع
وإنما الذبح لمن يخالف الأحكام، فهذا هو قولهم فمن أين أتى التدرج بالتطبيق عندهم؟



تم الكتاب في ليلة ميلاد قطب الإيمان وصاحب العصر والزمان
مولانا وإمامنا **الحجة بن الحسن** عجل الله فرجه الشريف ١٤٣٨ هـ